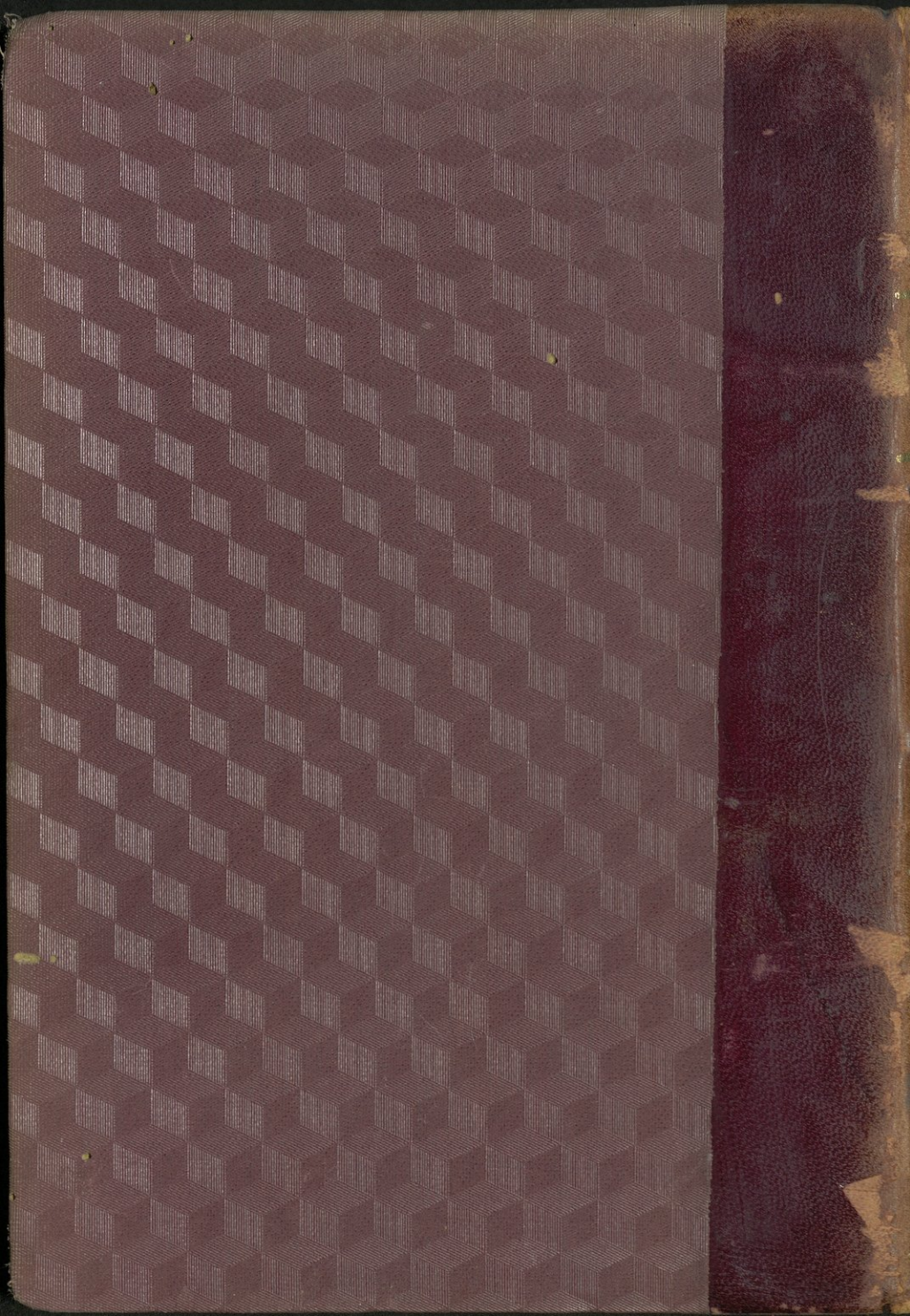




AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT





21 Dec 1844

297.44.

F47aA

قال الله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ الآية . سورة يوسف

٧٠٤
٥١

أسرار القصص

لواضعه

السيد

علي كرمي

الأمين الأول لدار الكتب المصرية

ورئيس المعيرين

الجزء الرابع

يشمل خلاصة سير

أئمة الدين وبعض الصالحين

رضي الله عنهم أجمعين

59189

الطبعة الأولى ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

Oct. Dec. 1944

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه أستعين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،
وعلى آله وصحبه والتابعين

أما بعد فهذا الجزء الرابع من كتاب أحسن القصص
وهو يشمل خلاصة سير ومناقب الأئمة المجتهدين ، هداة الأمة
الاسلامية وحماة الدين ، الذين أقاموا قواعد الدين على أساس متين ،
ودعوا الناس الى عبادة رب العالمين ، فملأوا بشريعتهم وعلومهم الآفاق
والبلدان ، وسارت بجيش ذكرهم الركبان ، في كل زمان ومكان
وهؤلاء الأئمة الأعلام هم :

- ١ - الإمام الكوفي أبو حنيفة النعمان
- ٢ - الإمام مالك بن أنس رفيع القدر والشان
- ٣ - الإمام الشافعي المتصل نسبه الشريف بآل عدنان
- ٤ - الإمام أحمد بن حنبل الذي سلك بعلمه الطريق الأحمد في
السروالاعلان

٥ - الإمام الليث الذي عم الأنام بالكرم واللفظ والغيث

وقد أنشد بعضهم في مدحهم :

« قوم الى الله ساروا بالعلوم على نجائب الفكر ركبانا ووجدانا »

« وفارقوا الأهل والذات واغتربوا وقد جفوا في طلاب العلم أوطانا »

« حتى انتهوا منتهى علم ومعرفة وذكرهم عطر الأكوان إعلانا »

« هم الأئمة لازالت علومهم تبدى لنا رشفها روحا وريحانا »

وقد أضفت اليهم سير بعض الصالحين من آل بيت النبي المختار

عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام

فيرى المطالع على سيرهم ومناقبهم المثل الأعلى في الدين والعلم

والأخلاق

والله تعالى أسأل أن ينفعنا بهم وبعلمهم ، ويحفظنا ببركاتهم ، وأن

يهدينا للعمل بشريعتهم ، والسير على طريقتهم ، إنه سميع مجيب الدعاء

السيد علي فكري

الأمين الأول لدار الكتب المصرية

ورئيس المغيرين

١٢ ربيع الأنور سنة ١٣٥٣ - ٢٤ يونيو سنة ١٩٣٤

١ - الامام ابى حنيفة النعمان

« مختصر من كتاب حياة الامام للاستاذ السيد عفيفى القاضى الشرعى »

مولده ونسبه

ولد الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضى الله عنه
(بالأنبار بالكوفة) سنة ثمانين من الهجرة النبوية فى عصر الدولة
الأموية فى خلافة عبد الملك بن مروان

وذلك فى حياة جماعة من الصحابة رضى الله عنهم
ويقال : إن أباه (ثابتا) هو الذى أهدى (الفألوج) لسيدنا على بن
أبى طالب رضى الله عنه يوم عيد النيروز ، وقيل : كان ذلك يوم
المهرجان

وكان (ثابت) أبو أبى حنيفة يقول : أنا فى بركة دعوة صدرت من
على رضى الله عنه فى حقى

اسمه وكنيته

اسمه : النعمان وقيل : معنى النعمان الدم ، أو الروح ، فيكون
اتفاقا حسنا ؛ لأن أبا حنيفة روح الفقه وقوامه ، ومنه منشؤه ونظامه

كنيته : أبو حنيفة (مؤث حنيف) وهو الناسك أو المسلم ، لأن

الحنيف هو المائل الى الدين الحق

وقيل : ان سبب كنية الإمام بذلك أنه كان ملازماً لصحبة الدواة

وحنيفة (بلغة العراق) الدواة فكنى بها

صفته - كان الإمام أبو حنيفة من أحسن الناس صورة ، وأبلغهم

نطقاً ، وأكملهم إيراداً ، وأحلامهم نعمة ، وأبينهم لما يريد

وكان حسن الوجه ، حسن اللحية ، حسن الهيئة والثياب ، حسن

المجلس ، حسن السمت ، هيوماً ، شديد الكرم ، كثير المواساة

لإخوانه ، كثير التعطر ، ولذا قيل :

كان إذا خرج من منزله يعرف بريح المسك قبل أن يراه الناس

أصله - هو عربي المولد والنشأة ، وجدوده من فارس ، ولاغضاضة

إذا كان الإمام فارسي الأصل ، فالتقوى أعلى نسب ، وأقوى حسب

لقوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾

وقوله عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا

لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ إِلَّا

بِالتَّقْوَى »

فالاعتبار إذاً للتقوى ، لا للنسب المجرد ، وشرف العلم والتقوى ،
فوق شرف النسب والحسب

بشارة النبي ﷺ بالإمام أبي حنيفة

قال الإمام السيوطي رحمه الله : ذكر العلماء ، أن النبي صلى الله
عليه وسلم بشر بالإمام أبي حنيفة في الحديث الذي أخرجه البخاري
ومسلم وهو :

« لو كان العلم معلقاً عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس »
وفي هذا الحديث الشريف أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة
بأبي حنيفة ، وفي الفضيلة التامة له ، لأنه لم يبلغ أحد في زمن أبي حنيفة
من أبناء فارس في العلم مبلغه ولا مبلغ أصحابه
علومه - أخذ الإمام أبو حنيفة من العلوم بأوفر نصيب ، وبلغ فيها
مبلغاً يشار إليه بالبنان ، وقد تفوق في علوم النظر والقياس ، وإصابة
الرأى حتى قالوا عنه : « أبو حنيفة إمام أهل الرأى »
أما العلوم الشرعية والعربية ، والأدبية والحكومية ، فكان في كل
هذا بجزراً لا يمارى ، وإماماً لا يمارى

وأما الفقه ، فقد ذكر الإمام الشافعي : أن الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه

وأما الحديث ، فقد قال الإمام أبو يوسف : ما رأيت أحداً أعلم بتفسير الحديث من أبي حنيفة كان بصيراً بعلل الحديث ، وبالتعديل والتجريح ، مقبول القول في هذا ، وأنشد الإمام أبو المؤيد :

« نعمان قد سبر العلوم بأسرها حتى علّامها ذرى الأطواد »
 « ثم انتهى منها الى الفقه الذي قد راح في الأغوار والأنجاد »
 « وهدهد لما لجّ في طلب الهدى محمود فطنته الى حمّاد »
 « ثم انبرى من بعده يفتي الورى حقاً برغم معاطس الحسّاد »
 « لقد ارتقى في فقهه في قلة هدمت معاهدها قوى الإلحاد »
 « فرّق الضلال حدّوا اليه مطيهم فهداهم ولكل قوم هادى »

زيادة نشاطه وإقباله على العلم والتدريس والافتاء

قال الإمام رحمه الله : كنت أجلس للتعليم ، وأصبر لأصحابي طرفي النهار مع المداومة ، فرأيت ليلة فيما يرى النائم كأنني أنبش قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأستخرج عظامه فأجمع بعضها على بعض ، فأعظمنى ذلك وأفزعنى ، فتركت المجلس ، وأرسلت رجلاً أميناً ثقة

إلى (ابن سيرين عالم الرؤيا) يسأله عن هذه الرؤيا ، فذهب الرجل وسأله فعبرها تعبيراً رجوت منه الخير ، فحف عني ما كنت أجده من تلك الرؤيا ، وعدت إلى العلم والتعليم

قال يحيى بن نصر : ما الذى عبّر ؟ قال الإمام : السماع من غيرى أحسن . قلت : على كل حال أحب أن أعلم

قال : صاحب هذه الرؤيا يُحيى علماً قد أُميت ؛ وفي رواية أخرى يحيى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

شجع هذا أبا حنيفة ، وزاده نشاطاً ، فزاد إقباله على التدريس والإفتاء ، وكثرت أصحابه حتى صارت حلقة درسه أوسع الحلقات في المسجد وأعظمها ، وعمل أشياء أعجزت غيره وتفوق على الجميع ، واستحكم له الأمر ، فانصرف إليه وجوه الناس ، وأكرمه الخلفاء والأمرء والحكام وأشرف الدولة

وما زال كذلك حتى ارتفع شأنه وزاد إقبال الناس عليه ؛ ولكن مع الأسف كان خصومه وحساده يصغرون من شأنه ، ويشوهون من سمعته ، ويؤلفون في ذمه ، والانتقاص من قدره ، المؤلفات ؛ ولكنه لم يعبأ بهم ، ولم يلتفت لأقوالهم ، وكان يقول :

« عفا الله عنى قال فينا مكروهاً ، ورحم الله من قال فينا جيلاً »
تفقهوا في دين الله ، وذروا الناس ، وما قد اختاروا لأنفسهم ،

فيحوجهم الله تعالى للعلم
وعلى الرغم مما أصابه من ذم الخصوم ، وكيد الحساد ، كان حافظاً
لسانه لا يذكر أحداً بسوء ، وكان لا يخوض فيما لا يعنيه ، ولا يستمع إليه ،
ولم يعتب أحداً قط ، وكان أعقل من أن يسלט على حسناته ما يذهب
بها ، وكان طويل الصمت ، كثير الفكر . دقيق النظر في الفقه ، لطيف
الاستخراج في العلم والعمل ، والبحث والتقيب ، كثير العقل ، قليل
المجادلة للناس ، قليل المحادثة لهم
وكان يعلم أنه لا يسلم من ذم الناس وحسدهم أحد فطرح المبالاة
لسكلامهم ، واستعمل المبالاة لكلام الله تعالى ، وهذا هو العقل كله
والراحة كلها ، وهذا هو المثل الأعلى الذي يجب أن يكون مثل العلماء
وأهل الكمال والفضيلة ، وقد أنشد بعضهم :

« لأبي حنيفة في العلوم منار ملئت بها الآفاق والأقطار »
« شيخ البرية في العلوم ومن له تروى المناقب عنه والأخبار »
« متعبد لله طول حياته وعليه منه سكينه ووقار »
« قد كان يحبي ليله متهجداً وله بكل وظيفة أذكار »
« وعطاؤه قد كان سمحاً للورى وله بذاك على الدوام فخار »

تلاميذه - لا يمكن حصر تلاميذ الإمام أبي حنيفة الآخذين عنه ،
ولم يظهر لإمام من أئمة الإسلام من الأصحاب والتلاميذ مثل ما ظهر
لأبي حنيفة ، ولم ينتفع العلماء وجميع الناس بمثل ما انتفعوا به وبأصحابه

ومن هؤلاء العلماء (حماد بن أبي سليمان) وهو الذى لازمه حتى تخرج
به ، وكان أقره أهل زمانه وأكرمهم

خصائصه - اختص الإمام أبو حنيفة عن غيره من الأئمة بخصائص منها :

١ - أنه وُلد فى زمن جماعة كثيرة من الصحابة ، واتفق المحدثون
على أن أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا على
عهده وهم :

أنس بن مالك ، خادم الرسول ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وسهل بن
سعد الساعدي ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة

ولا خلاف فى ذلك فهو من أهل القرن الذين شهد لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالخيرية ، ووصفهم بالعدالة

روى الشيخان : (البخارى ومسلم) وغيرهما عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال :

« خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم »

وروى مسلم وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« خير الناس القرن الذى أنا فيه ، ثم الثانى ، ثم الثالث »

وأنشد الإمام أبو المؤيد :

« غدا مذهب النعمان خير المذاهب »

كذا القمر الوضاح خير السكواكب »

« تفقه في خير القرون مع التقى

ومذهبه لا شك خير المذاهب »

٢ - أنه اجتهد في زمن التابعين ، وكان مقدماً في الفتوى معظماً

في زمنهم

وقيل : إنه أخذ عن أربعة آلاف شيخ من التابعين ، أويزون وأنه اتفق له من الأصحاب ما لم يتفق لأحد من بعده من الأئمة

٣ - رواية الأئمة الكبار عنه حتى قيل : لو لم يستدل على فضل

الإمام أبي حنيفة إلا برواية الكبار عنه لكفى ، ومنهم (عمرو بن دينار)

فإنه من شيوخ أبي حنيفة وكبار العلماء

٤ - أنه أول من دَوَّنَ علم الفقه ورتبه أبواباً ، ثم تابعه الإمام مالك

ابن أنس في ترتيب الموطأ ، فلم يسبق أبا حنيفة أحد ؛ لأن الصحابة

والتابعين إنما كانوا يعتمدون على قوة حفظهم

فلما رأى أبو حنيفة العلم منتشرًا خاف عليه فجعله أبواباً مبنية

وكتباً مرتبة

وهو أول من وضع كتاب الفرائض ، وأول من وضع كتاب

الشروط ، وهو كما قال المتنبي :

« إمام رست للعلم في كنه صدره »

جبال جبال الأرض في جنبها قفٌّ

٥ - انتشار مذهبه في أقاليم ليس فيها غيره وهي : الهند ، والسند والروم ، والترك ، وبلاد ما وراء النهر ، وغالب بلاد العجم وغير ذلك
٦ - أنه كان يأكل وينفق على أهل العلم وغيرهم من كسبه ، ولم يقبل الجوائز (العطايا)

٧ - أنه مات محبوباً ساجداً لله
٨ - أنه كان كثير العبادة ، والقيام بالليل ، وقراءة القرآن
روى عنه : أنه كان يحكي نصف الليل ، وقد ختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة : ختمة بالليل ، وختمة بالنهار
وأشد الامام أبو المؤيد في خصائصه :

« إن الامام أبا حنيفة لم تدق عيناه قط لذادة الإغفاء »
« وعلى كتاب الله مذهبه بُني الله ثم السنة الغراء »
« ثم اجتماع المسلمين فانهم نظروا بنور الحق في الظلماء »
« ثم القياس على النصوص فانه زهر لأهل الملة الزهراء »

٩ - أنه كان يخاف الله ، ويؤثر رضا ربه على كل شيء ، ولو أخذته السيوف في انه تعالى لاحتمل ، وكان يصلي ويبكي ويدعو ويقول :
« رب ارحمني يوم تبعث عبادك ، وقني عذابك ، واغفر لي ذنوبي يوم يقوم الأشهاد »

١٠ - قيامه لله حق القيام ، فانه كان إذا رأى منكراً ذهب ذلك

اللين، واحمرت عيناه، وانقلبتا في أم رأسه، وانتفخت أوداجه، ومارأى منكراً قط إلا أزاله

مناقب الإمام رضى الله عنه

ترفعه ورفضه لمناصب الدولة - عرض الخلفاء والولاة والأمرأه مناصب الدولة على الإمام أبى حنيفة فأبى أن يتولى واحداً منها، فضر به وعذبه وحبسوه على هذا الإباء فأصر عليه حتى مات مسجوناً من جراء امتناعه من أن يتولى القضاء، ويدل على ذلك ما يأتى :

١ - روى الخطيب عن الربيع بن عاصم قال : أرسلنى يزيد بن هبيرة ولى العراقين لمروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية فقدمت بأبى حنيفة فأراداه على بيت المال فأبى فضر به أسواطاً

٢ - وعن أبى حفص الكبير وغيره قالوا : كان ابن هبيرة والياً على العراق فى زمن بنى أمية فظهرت الفتنة بالعراق فجمع ابن هبيرة فقهاء العراق ببابه فيهم (ابن أبى ليلى، وابن شبرمة، ودادود بن أبى هند) وغيرهم، فولى كل واحد منهم شيئاً من عمله، وأرسل إلى أبى حنيفة ليكون على خاتمه، ولا ينفذ كتاب إلا من تحت يد أبى حنيفة، ولا يخرج شيئاً من بيت المال إلا من تحت يد أبى حنيفة، فامتنع أبو حنيفة، فحلف ابن هبيرة إن لم يفعل ليضربنه

فقال له جماعة هؤلاء الفقهاء : إنا ننشدك الله أن تمتلك نفسك فإنا
إخوانك وكلنا كاره لهذا الأمر لم نختره، ولم نجد بداً من ذلك ، فأبى
وقال :

لو أرادني أن أعد له أبواب المسجد لم أفعل ، فكيف وهو يريد أن
يكتب بضرب عنق رجل مسلم ، وأختم أنا على ذلك الكتاب ؟ فوالله
لا أدخل في هذا أبداً .

فحبسه صاحب الشرطة جمعتين لم يضربه ثم ضربه أربعة عشر سوطاً
٣ - روى الخطيب عن عبد الله بن عمرو قال : كلم ابن هبيرة
أبا حنيفة في أن يلي قضاء الكوفة فأبى ، فضربه مائة سوط وعشرة
أسواط ، في كل يوم عشرة أسواط ، وهو على الامتناع ، فلما رأى ذلك
خلى سبيله

٤ - روى عن بشر بن الوليد قال : كان أبو جعفر المنصور أمير
المؤمنين أرسل إلى أبي حنيفة وأراد أن يوليه القضاء فأبى
خلف عليه أبو جعفر ليفعل ، خلف أبو حنيفة لا يفعل . فقال الربيع لأبي
حنيفة ألا ترى أمير المؤمنين قد حلف ؟ فقال : أبو حنيفة أمير المؤمنين أقدر
على كفارة يمينه مني على كفارة يميني ، فأمر بحبسه ، ثم دعا به فقال : أترغب
عما نحن فيه ؟ فقال أبو حنيفة : أصلح الله أمير المؤمنين ، يا أمير المؤمنين
اتق الله ، ولا تشرك في أمانتك من لا يخاف الله ، والله ما أنا مأمنون

الرضا ، فكيف أكون مأمون الغضب ؟ فلا أصلح لذلك

فقال أمير المؤمنين : كذبت ، أنت تصلح لذلك

فقال : يا أمير المؤمنين ، قد حكمتَ على نفسك ، إن كنتُ صادقاً
فقد أخبرت أمير المؤمنين أني لا أصلح ، وإن كنت كاذباً فكيف يحل
لك أن تولى قاضياً كذاباً ؟ ومع ذلك فاني رجل مولى ، ولا تكاد
العرب ترضى بأن يكون عليهم مولى ، فأمر به إلى السجن ولبث به إلى
أن مات ودفن في مقابر الخيزران

٥ - وفي رواية أخرى ، ان أبا جعفر المنصور دعا أبا حنيفة وسفيان
الثوري وشريكا النخعي فدخلوا عليه ، فقال لسفيان : هذا عهدك على
قضاء البصرة فألحق بها ، وقال لشريك : هذا عهدك على قضاء مدينتي
وما يليها فامض ، وقال لحاجبه : وجّه معهم متوكلاً بهم ، فمن أبي منهم
فاضربه مائة سوط ، فأما شريك فانه تقلد القضاء ، وأما سفيان فانه هرب
إلى اليمن ، وأما أبو حنيفة فلم يقبل ، فاضربه مائة سوط وحبس إلى
أن مات رضى الله عنه ورحمه رحمة واسعة

زهده وورعه : ١ - عن ابن المبارك قال : قدمت الكوفة فسألت

عن أزهد أهلها ؟ ف قيل : أبو حنيفة

٢ - وعن الحسن بن صالح قال : كان أبو حنيفة شديد الورع ،

هائبا للحرام، تاركا لكثير من الحلال مخافة الشبهة، مارأيت فقيها أشد
ديانة منه لنفسه ولعلمه، وكان جهاده كله الى قبره

٣ - وعن الحسن بن زياد قال : والله ما قبل أبو حنيفة جائزة ولا هدية

٤ - وعن بكر بن ابن ابراهيم قال : جالست الكوفيين فلم أرفيهم
أزوع من أبي حنيفة

٥ - روى أنه ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال : أتذكرون
رجلا عرضت عليه الدنيا بخذا فيرها ففر منها ؟

٦ - روى عن محمد بن شعاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبي
حنيفة : قد أمر لك أبو جعفر أمير المؤمنين بعشرة آلاف درهم ، قال :
فما رضى أبو حنيفة . فلما كان في اليوم الذي توقع أن يؤتى بالمال فيه
صلى الصبح ثم تعشى بثوبه فلم يتكلم ، فجاء رسول الحسن بن قحطبة
بالمال فدخل عليه فلم يكلمه ، فقال من حضر : ما يكلمنا إلا بالكلمة
بعد الكلمة ، أى هذه عادته فقال : ضعوا المال في هذا الجراب في
زاوية البيت

ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته ، وقال لابنه : اذا مت
ودفنتموني فخذ هذه البكرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له :
هذه وديعتك التي أودعتها أبا حنيفة ، قال ابنه : ففعلت ذلك . فقال

الحسن : رحمة الله على أيك لقد كان شحيحاً على دينه

٧ - قيل لأبي حنيفة : تعرض عليك الدنيا فتعرض عنها ولك عيال؟

فقال : الله تعالى للعيال ؛ وإنما قوتى أنا فى الشهر درهمان ، فما جمعى

لمن يسألنى الله تعالى عن الجمع لهم إن أطاعوه تعالى أو عصوه ؟ فإن

رزق الله تعالى غداً ورائع على العاصين والمطيعين . ثم قرأ : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾

٨ - وعن عبد الله بن المبارك قال : وقعت الى الكوفة أغنام من

الغارة واختلطت بغنم أهل الكوفة فسأل أبو حنيفة : كم تعيش الغنم ؟

فقالوا : سبع سنين ، فترك أكل لحم الغنم سبع سنين

ورأى بعض الجند أكل لحماً ورمى فضله فى نهر الكوفة ، فسأل

عن عمر السمك فقيل له : كذا وكذا . فامتنع من أكل السمك تلك المدة

٩ - وقال الإمام القشيري : كان أبو حنيفة لا يجلس فى ظل شجرة

غيره ويقول : كل قرض جرّ منفعة فهو ربا

١٠ - وعن يزيد بن هارون قال : مارأيت رجلاً أروع من أبى

حنيفة ، رأيت يوماً جالساً فى الشمس عند باب انسان فقلت له :

(م - ٢ - رابع)

يا أبا حنيفة لو تحولت الى الظل ؟ فقال : لى على صاحب هذه الدار درهم
ولا أحب أن أجلس فى ظل فناء داره . قال يزيد : فأى ورع أكثر
من هذا ؟

أمانته - عن عبد الله بن صالح قال : قال رجل للحكم بن هشام
أخبرنى عن أبى حنيفة ؟ قال : كان أعظم الناس أمانة ، فقد أراداه السلطان
على مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره ، فاختار عذابه على عذاب الله .
قال : ما رأيت أحداً يصف أبا حنيفة كما وصفته . قال : هو والله كما قلت
وعن وكيع قال : كنت عند أبى حنيفة فجاءت امرأة بشوب خَزَّرٍ
(حرير) فقالت : به لى . فقال : بكم قيل لك تبيعينه ؟

قالت : بمائة درهم . قال : هو خير من ذلك

قالت : تهزأبى ؟ قال : هاتى رجلاً . فجاءت برجل فاشتراه بمخمسة درهم
وعن على بن حفص البزاز قال : كان حفص بن عبد الرحمن
شريك أبى حنيفة فبعث اليه أبو حنيفة بمتاع وأعلمه أن فى ثوب كذا
وكذا عيباً فإذا بعته فبين ، فباع حفص المتاع ونسى أن يبين ولم يعلم
من اشتراه

فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمان المتاع كله ، وكان ثلاثين ألف درهم
وفاصل شريكه (بآينه) أى قاطعه

قناعته - كان إذا وضع بين يديه الطعام ترك منه بقدر ما يأكله
ثم يطعمه لانسان فقير أو لمن في بيته يحتاج إليه
قال أبو حنيفة لعيسى بن موسى أمير الكوفة :

« كسرة خبزٍ وقعبُ ماء وفرد ثوب مع السلامه »

« خير من العيش في نعيم يكون من بعده ندامه »

وفور عقله - لقد بلغ الإمام أبو حنيفة من وفور العقل ما جعله يستنبط
مذهباً وما جعل الإمام الشافعي يقول : ما قامت النساء عن رجل أعقل
من أبي حنيفة

وذُكر أبو حنيفة عند هارون الرشيد يوماً فترحم عليه وقال :
كان ينظر بعين عقله ما لا يراه غيره بعين رأسه

وقال ابن المبارك : ما رأيت رجلاً أعقل من أبي حنيفة
وقال علي بن عاصم : لو وزن عقل أبي حنيفة بنصف عقل أهل
الأرض لرجح بهم

وقال الإمام أبو يوسف : ما صحبت أحداً يقدر أن يقول انه رأى
أكل عقلاً أو أتم مروءةً من أبي حنيفة

وروى القاضي بن كاس : أن أبا حنيفة كان جالساً في المسجد
فسقط في حجره من السقف حية عظيمة، فما تغير ولا تحول؛ بل قال :
﴿ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾

وأخذها بيده اليسرى ورمى بها عنه
فراسته - كان أبو حنيفة ينظر الى الانسان فيعرف ما في نفسه بشدة
 فراسته ، وكان بمجرد معاشرته لشخص يعرف مايؤول اليه أمره ، ويحدثه
 عما يحصل له في مستقبله ، فكأنه كان يقيس مستقبله على ماضيه
 ولقد بلغ من حسن فراسته وصدقها أنه قال لداود الانطاكي : أنت
 تتخلى للعبادة . وقال لأبي يوسف : أنت تميل الى الدنيا . فكان كما قال
 ومما يدل على فراسته أن محمد بن ابراهيم الفقيه قال : كان أبو
 حنيفة جالساً في المسجد فمرّ عليه رجل فقال أبو حنيفة : هذا الرجل
 غريب ، وفي كفه شيء من الحلوى ، وهو معلم صبيان ، فقام بعض
 أصحاب أبي حنيفة وتبع الرجل فوجده غريباً ، ووجد في كفه زبيباً ،
 ووجد أنه معلم صبيان
 فسألوا أبا حنيفة عن هذه المسائل ؟ فقال : رأيته ينظر يميناً
 وشمالاً وكذلك الغريب يفعل ، ورأيت الذباب على كفه فعلمت أن في
 كفه شيئاً من الحلوى ، ورأيته ينظر الى الصبيان فعلمت أنه معلم صبيان
 ذكاؤه - كان أبو حنيفة آية في الذكاء والفتنة ، فكانت توجه اليه
 الأسئلة المعقدة المهمة فيجيب عنها على البديهة إجابة مسكتة
 كان يعرف كيف يتقن المكاييد ، ويتخلص من الورطات ، وينجو
 من المهالك

ومما يدل على ذكائه القصة الآتية :

قال محمد بن مقاتل : قصد رجل أبا حنيفة فقال له : ما تقول في رجل لا يرجو الجنة ، ولا يخاف من النار ، ولا يخاف الله تعالى ، ويأكل الميتة ، ويصلى بلا ركوع ولا سجود ، ويشهد بما لا يرى ، ويبغض الحق ، ويحب الفتنة ، ويفر من الرحمة ، ويصدق اليهود والنصارى ؟

فقال أبو حنيفة - وكان يعرفه شديد البغض له : يا فلان سألتني عن هذه المسائل فهل لك بها علم ؟ فقال الرجل : لا

فقال أبو حنيفة لأصحابه : ما تقولون في هذا الرجل ؟
قالوا : شر رجل ، هذه صفات كافر

فتبسم أبو حنيفة وقال لأصحابه : هو من أولياء الله تعالى حقاً
ثم قال للرجل : إن أنا أخبرتك أنه من أولياء الله تعالى تكف عن سوء لسانك ؟

قال : نعم

قال أبو حنيفة : أما قولك ، لا يرجو الجنة ولا يخاف من النار ، فإنه يرجو رب الجنة ، ويخاف رب النار
وقولك : لا يخاف الله ، فإنه لا يخاف الله تعالى أن يجور عليه في عدله وسلطانته قال تعالى :

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾

وقولك : يا كل الميتة ، فهو يا كل السمك

وقولك : يصلى بلا ركوع ولا سجود ، أراد الصلاة على النبي أو

صلاة الجنائز

وقولك : يشهد بما لم يره ، فهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً

عبدہ ورسوله

وقولك : ييغض الحق ، فهو ييغض الموت ، وهو الحق ، ويجب

البقاء حتى يطيع الله تعالى

قال تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾

وقولك : ويجب الفتنة ، أراد أنه يجب المال والولد

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾

وقولك : يفر من الرحمة ، أراد أنه يفر من المطر (وهو غيث ورحمة)

وقولك : يصدق اليهود والنصارى . أراد قول الله تعالى عنهم :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى

لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾

فقام الرجل وقبل رأس أبي حنيفة وقال : أشهد أنك على الحق

حلمه وعفوه - استطال السفهاء على أبي حنيفة ما استطالوا ، وناله من

بذاءة الجهال ، وكيد الحاقدين والحساد ماناله ، فكان ممن إذا خاطبهم
الجاهلون قالوا : سلاما ، وإذا مروا باللغو مروا كراما
ومما يدل على حلمه الحوادث الآتية :

١ - قال يزيد بن الكميت : شهدت أبا حنيفة قد شتمه رجل ،
واستطال عليه وقال له : يا زنديق ، فقال له أبو حنيفة : غفر الله لك ،
هو يعلم مني خلاف ما تقول ، وهو يعلم أني ما عدلت به أحدا منذ عرفته ،
ولا أرجو إلّا عفوّه ، ولا أخاف إلّا عقابه ، ثم بكى عند ذكر العقاب
وسقط صريعا ثم أفاق

فقال له الرجل : اجعلني في حلّ . فقال : كل من قال في شيئا
من أهل الجبل فهو في حلّ ، وكل من قال في شيئا مما ليس في من
أهل العلم فهو في حرج ، فان غيبة العلماء لا تبقى شيئا بعدهم
وقيل له : الناس يتكلمون فيك ، ولا تتكلم في أحد ؟

قال : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾
٢ - وقال عصام بن يوسف : قام رجل في ناحية المسجد وجعل
يسب أبا حنيفة ويشتمه ، فما قطع أبو حنيفة حديثه ، ولا التفت اليه ،
ولا أجابه ، ونهى أصحابه عن مخاطبته

فلما فرغ من درسه وقام تبعه ذلك الرجل البذيء
فلما وصل أبو حنيفة الى باب داره قام على بابه واستقبل الرجل

بوجهه وقال : هذه دارى ، فان كنت تريد أن تتم باقى كلامك فأتته حتى لايبقى معك شئ

فاستحيا الرجل وقال : اجعلنى فى حل . فقال : أنت فى حل كرم أخلاقه . ما كان أبو حنيفة إماماً فى العلم والفقہ فحسب ؛ ولكنه كان إماماً أيضاً فى الفضيلة ومكارم الأخلاق روى عن ابراهيم بن سعيد الجوهري أنه قال :

كنت عند أمير المؤمنين هارون الرشيد إذ دخل عليه أبو يوسف ، فقال له الرشيد :

يا أبا يوسف صف لى أخلاق أبى حنيفة ، فقال : إن الله عز وجل يقول : ﴿ مَا يَكْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

وهو عند لسان كل قاتل ، علمى بأبى حنيفة أنه كان شديد الذب عن محارم الله تعالى أن تؤتى ، شديد الورع ، لاينطق فى دين الله إلا بعلم ، يجب أن يطاع الله تعالى ولا يعصى ، مجانباً أهل الدنيا فى زمانهم ، لاينافس فى غيرها ، طويل الصمت ، دائم الفكر ، على علم واسع ، لم يكن مهذاراً ولا ثرثاراً ، إن سئل عن مسألة كان عنده فيها علم نطق به ، وأجاب فيها بما سمع ، وإن كان غير ذلك قاس على الحق واتبعه ، صائناً نفسه ودينه ، بذولاً للعلم والمال ، مستغنياً بنفسه عن جميع الناس ، لايميل الى طمع ، بعيد عن الغيبة ، لايدكر أحداً إلا بخير

فقال الرشيد : هذه أخلاق الصالحين حقاً

وقال ابن عمران الموصلي : كان في أبي حنيفة عشر خصال ، ما كانت واحدة منها في أحد إلا صار رئيساً في قومه ، وساد قبيلته وهي :
الورع ، والصدق ، والفقه ، ومداراة الناس ، والمروءة الصادقة ،
والإقبال على ما ينفع ، وطول الصمت ، والإصابة في القول ، ومعونة
اللهفان عدواً كان أو صديقاً .

أكله من كسب يده - تواترت الروايات على أن الإمام رضى الله
عنه كان يتجر في البزّ (الثياب من الكتان أو القطن) وكان مسعوداً
في ذلك ، ماهراً فيه ، وكان له حانوت بالسكوفة وشركاء يسافرون له
في شراء ذلك وفي بيعه

قال أبو يوسف : كان أبو حنيفة باذلاً للمال ، مستغنياً بنفسه عن جميع
الناس ، لا يميل الى طمع ، وقال عمر بن حماد بن أبي حنيفة : كان
أبو حنيفة بزازاً (بائع البز) ودكانه معروف في دار عمر بن حريث .
وقال محمد بن مقاتل : كان أبو حنيفة خزازاً (بائع الخز) فجاءت امرأة
فطلبت ثوب خز فقال لغلामه : أخرج لها ثوب خز ، فأخرجه الغلام
وضرب يده عليه وقال : صلى الله على محمد ، فغضب أبو حنيفة وقال :
تمدح ثوبي بالصلاة على محمد ، لا أبيع ثوبي اليوم ، فلم يبع ذلك اليوم
شيئاً من متاعه

كرمه ومؤساته - كان أبو حنيفة أبرَّ الناس بأصحابه ، وأكرمهم مجالسة ، ولا يكاد يسأل عن حاجة إلا قضاها ، وقديماً قالوا : إن ذوى الشرف أتم عقولاً وكرماً من غيرهم

ومما يدل على كرمه الحوادث الآتية :

١ - قال اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : إن أبا حنيفة حين حفظ حماد ابنه (سورة الحمد) وهب للمعلم خمسمائة درهم ، وفي روايه ألف درهم ، فقال المعلم : ما صنعت حتى أرسل الى هذا ؟ فأحضره واعتذر اليه فقال : ما هذا إلا مستحقراً فيما علمت ولدى ، والله لو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه اليك تعظيماً للقرآن

٢ - وعن قيس بن الربيع قال : كان أبو حنيفة يبعث بالبضائع الى بغداد فيشتري بها الأمتعة ويحملها الى الكوفة ، ويجمع الأرباح عنده من سنة الى سنة فيشتري بها حوائج الأشياخ المحدثين وقوتهم وكسوتهم وجميع حوائجهم ، ثم يدفع باقى الدنانير من الأرباح اليهم فيقول :

أنفقوا فى حوائجكم ، ولا تحمدوا إلا الله تعالى ، فانى ما أعطيتكم من مالى شيئاً ، ولكن من فضل الله تعالى فيكم ، وهذه أرباح بضاعتكم فانه هو والله مما يجزيه الله تعالى لكم على يدي

٣ - وكان رضى الله عنه إذا جلس اليه الرجل سأل عنه ، فان كان

به فاقة أعطاه ، فجلس اليه رجل عليه ثياب رثة ، فلما تفرق الناس أمره بالجلوس حتى خلا به ، فقال له : ارفع هذا المصلى وخذ من تحته ألف درهم أصلح بها حالك . فقال الرجل : أنا موسر وأنا في نعمة . فقال له : أما بلغك الحديث : « ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » فينبغي لك أن تغير حالك حتى لا يغم بك صديقك

٤ - وعن مسعر قال : كان أبو حنيفة إذا اشترى لعياله شيئاً أنفق على شيوخ العلماء مثل ما أنفق على عياله ، وإذا اكتسب ثوباً فعل كذلك ، وإذا جاءت الفاكهة والرطب وكل شيء يريد أن يشتريه لنفسه ولىعاليه لا يفعل ذلك حتى يشتري لشيوخ العلماء مثله ، ويشترى بعد ذلك لعياله

٥ - وعن أبي يوسف قال : كان أبو حنيفة شديد البرّ لكل من عرف ، وكان يهب للرجل خمسين ديناراً أو أكثر ، فإذا شكره بحضرة قوم غمه ذلك وقال : اشكر الله تعالى ، فانما هو رزق ساقه الله تعالى اليك

٦ - وعن اسحق بن اسرائيل قال : سمعت أبي يقول : كان أبو حنيفة جواداً يواسى أصحابه المؤاساة الكثيرة ، ويبرّهم في الأعياد ، ويرسل الى كل واحد منهم قدر منزلته ، ويزوج من احتاج اليه ، وينفق عليه من عند نفسه ، ويقوم بمحوائجهم .

٧ - وعن سفيان بن ابراهيم قال : كنت مع أبي حنيفة في طريق

يعود مريضاً ، فرأى رجلاً من بعيد فاخْتَبَأَ الرجل منه ، وأخذ في طريق آخر فصاح أبو حنيفة : أى فلان ، عليك بالطريق الذى أنت فيه ، لا تأخذ في طريق آخر . فلما علم الرجل أن أبا حنيفة بَصُرَ به خجل ووقف ، فقال له أبو حنيفة : لِمَ عدَلت عن طريقك الذى كنت عليه ؟ قال الرجل : لك على عشرة آلاف درهم ، وقد طال على الوقت وامتد ، ولم أقدر أن أودى ؛ فلما رأيته استحييت منك ، فقال له أبو حنيفة : سبحان الله بلغ بك الأمر كل هذا ، حتى إذا رأيته تواريت عني ... قد وهبت لك مثل ذلك كله ، وأشهدت على نفسي ، فلا تتوار مني بعد هذا ، واجعلني في حلٍّ مما دخل في قلبك مني حيث لقيتني

٨ - وعن شريك قال : كان أبو حنيفة يضرب على من يعلمه ، وإن كان فقيراً أغناه ، وأجرى عليه وعلى عياله حتى يتعلم ، فإذا تعلم قال له : قد وصلت إلى الغني الأَكْبَرِ بمعرفة الحلال والحرام

٩ - وعن يحيى بن خالد قال : حبس إبراهيم بن عينة بسبب دين لزمه وهو أكثر من أربعة آلاف درهم فقام بعض اخوانه فجمع له من الناس وصار إلى أبي حنيفة

فقال أبو حنيفة : كم دينه ؟ قال : أكثر من أربعة آلاف درهم قال : فهل أخذت من أحد شيئاً ؟ قال : نعم . قال : رد ما أخذت على

من أخذت منه ، وأنا أقضى جميع ما عليه من الدين

١ - وعن السعدى الكوفى قال : أهديت الى أبى حنيفة هدايا فكافأنى بأضعاف ذلك ، فقلت له : لو علمت أنك تفعل مثل هذا لم أفعل ما فعلت . فقال : لاتفعل مثل هذا ، فان الفضل للسابق والبادى . ألم تسمع هذا الحديث الشريف « من صنع اليكم معروفا فكافئوه ، فان لم تجدوا ماتكافئونه به فأتئوا عليه » ؟

فقلت : هذا الحديث أحب الى من جميع ما أملك

تفقده لأصحابه - قال الوليد بن قاسم : كان أبو حنيفة حسن التفقد لأصحابه ، يسأل عن أحوالهم ، فمن عرف به حاجة واساء ، ومن مرض منهم أو مرض قريب له عاده ، ومن مات منهم أو مات قريب له شيع جنازته ، ومن نأبته منهم نأبته سعى فى حوائجهم ، وكان كريم الطبع ، وكان لا يكلمه أحد فى حاجة إلا أقضاها

حسن جواره - كان الإمام أبو حنيفة حسن الجوار ، حسن السمات ،

حسن العشرة والمواساة ، والاحتمال والمدارة

وكان له جار فاسق سكير عواد مُغْنٍ اذا جَنَّ الليل أقبل على لعبه ولهوه ، وكان أ كثر صياحه وغنائه اذا ثمل هو وأصحابه

« أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر »

حتى حفظ عنه كل غنائه لكثرة ما كان يردده ، فأخذته الحرس

من داره وهو سكران وحبسوه ، فافتقد أبو حنيفة صوته ، فقال :
ماذا فعل جارنا ؟ لقد فقدنا صوته . فقيل : أخذه الحرس البارحة
وحبسوه . فقال أبو حنيفة : قوموا بنا نسعى في خلاص جارنا ، فإن
حق الجار واجب ، وقد أوصى به جبريل محمداً صلى الله عليه وسلم .
فقام وقمنا معه حتى أتينا مجلس الأمير . فلما بصر بأبي حنيفة قام الأمير
وأخذ بيد أبي حنيفة ورفع مكاناً علياً وقال : ماجاء بك ؟ قال :
جئت لمحبوس عندك من جيراني أخذه الحرس البارحة وأسألك أن
تطلقه وتهب لى جرمه

فقال الأمير : قد فعلت ، ولجميع من معه فى الحبس ، هلا بعثت
برسول حتى أفضى به حقل وأخرج عن واجبك ؟ فجزاه أبو حنيفة
خيراً ، ثم بعث الى الحبس فأخرج كل من كان فيه ، وجىء بهم مع
الفتى جار أبى حنيفة . فلما وقفوا بين يدى الأمير قال لهم :

خلّيت سبيلكم حرمة شيخى أبى حنيفة ، فاشكروا له وادعوا ،
ففعلوا . ثم قال لهم : اذهبوا فقام أبو حنيفة وأخذ بيد جاره وقال له :
هل أضعئك يافتي ؟ قال : لا ياسيدى ومولاى ، لا ترانى بعد اليوم أفعل
شيئاً تتأذى به

ثم أخرج أبو حنيفة عشرة دنانير وأعطاهما لجاره وقال له : استعن
بهذا المال على نقصان دخلك وقت الحبس ، ومتى كان لك حاجة

فأبسطها إلنا ، وأترك الحشمة فإما بئنا و بئنا ، ثم قال : ادخل على أهلك
لئسروا بك

فقام الرجل وقبل رأس أبى حنيفة ودخل منزله ، ثم اختلف إلى
درس أبى حنيفة وتفقّه حتى صار من فقهاء الكوفة

وكان فى هذا درس عظيم لهداية جاره ، وامتناعه عن تعاطى المسكر

نراهته وعفته ، ورده جوائز الأمراء والخلفاء

عرضت على الإمام جوائز الخلفاء والأمراء وأرباب الدولة فردّها
وما قبل هدية منهم بدليل ما يأتى :

١ - قال يوسف بن خالد : أجاز المنصور أبى حنيفة ثلاثين ألف
درهم فى دفعات . فقال : يا أمير المؤمنين إنى ببغداد غريب ، وليس لها
عندى موضع ، إجعلها فى بيت المال . فأجابه المنصور إلى ذلك
فلما مات أبى حنيفة أخرجت . فقال أبى جعفر المنصور : خدعنا
أبى حنيفة

٢ - وقال خارجة بن مصعب : أجاز المنصور أبى حنيفة بعشرة
آلاف درهم ، فدعى ليقبضها ، فشاورنى وقال : إن رددت عليه هديته
غضب ، وإن قبلتها دخل على فى دينى ما أكرهه ، فقلت له : إن هذا

المال عظيم في عينه ، فاذا دعيت لتقبضها فقل له : لم يكن هذا أُملى
من أمير المؤمنين

فدعى لقبضها فقال ذلك : فرفع اليه خبره فحبس الجائزة
وكان دائماً يتمثل بهذين البيتين :

« عطاء ذى العرش خير من عطائكم »

وفضله واسع يُرجى مُنتظر »

« أتم يكدر ماتعطون مَنُكم »

والله يُعطى بلا مَنٍ ولا كدَرٍ »

وصايا الامام في آداب القضاء

عن نوح بن أبي مريم قال : كنت أسأل أبا حنيفة عن معاني
الأحاديث ، فكان يفسرها ويبينها ، وكنت أيضاً أسأل عن المسائل
الغامضة ، وعامة ما كنت أسأله عن مسائل القضاء والأحكام

فقال لى يوماً : يا نوح ، انك ستولى القضاء

فلما رجعت الى (مرو) لم ألبث إلا قليلاً حتى ابتليت بالقضاء ،

فكُتبت اليه كتاباً أعلمه بذلك ، وأعتذر اليه فكُتب الى :

من أبي حنيفة الى أبي عصمة :

أما بعد ، فقد ورد على كتابك ، ووقفت على ما فيه ، وقد قلدت

أمانة عظيمة يعجز عنها الكبار من الناس ، وأنت كالغريق ، فاطلب
لنفسك مخرجاً ، وعليك بتقوى الله فانها من قوام الأمور ، والخلاص
في الميعاد ، والنجاة من كل بلية ، وبها يدرك أحسن العواقب
قرن الله تعالى بخير العواقب أمورنا ، ووقفنا لمرضاته إنه سميع مجيب
واعلم أن أبواب القضاء لا يدركها إلا العالم النحرير الذي وقف على
أصول العلم بالكتاب والسنة وأقاويل الصحابة ، وكان له بصر ورأى
ونفاذ ؛ فاذا أشكل عليك شيء من ذلك فارحل الى الكتاب والسنة
والإجماع ، فان وجدت ذلك ظاهراً فاعمل به ، وإلا فردّه الى النظائر
واستشهد عليه بالأصول

ثم اعمل بما كان الى الأصول أقرب وبها أشبه ، وشاور أهل المعرفة
والبصيرة ، فان فيهم من يدرك ما لا تدركه أنت

فاذا جلس اليك الخصمان للحكومة فسوّ بين القوى والضعيف ،
والشريف والوضع في المجلس ، والإقبال والكلام ، ولا تظهرن من
نفسك شيئاً يطمع منك الشريف بشرفه ، ويئس الوضع لضعفه

واذا جلس الخصمان بين يديك فدعهما حتى يستمكنا في الجلوس ،
ويذهب عنهما خجل المجلس والروع ، ثم كلمهما برفق وأفهمهما كلامك ،

(م - ٣ رابع)

واستوعب كلام كل واحد منهما ، ولا تعجلهما ، ودعهما حتى يفرغا من جميع ما يريدان ، إلا أن يأخذنا في فضل فتمنعهما عن ذلك ، وتبين لهما ذلك ، ولا تقض عند الضجر والغضب والحزن ، ولا تقض حاقفاً ولا جائعاً ولا خائفاً ، ولا تقض وأنت مشغول البال ، ولا تعجل بفضل القضاء بين القربات ، وردهم مجالس لعلمهم يصطلحون ، فإن كان وإلا قضيت بينهم ، ولا تقض على أحد حتى تتبين لك الوجوه التي تلزمه ذلك ، ولا تلقن الشاهد ، ولا تشر في مجالسك ، ولا توحى إلى أحد ، ولا تكن إلى قرابتك شيئاً من الأمور ، ولا تجيب أحداً في دعوته فتلزمك التهمة ، ولا تتحدث في مجلس القضاء ، (وآثر تقوى الله على مساواه يكفك أمور دينك وآخرتك ويرزقك السلامة)
أنعم بهذه الوصايا وحيداً لوعمل بها قضائنا

وصاياهم في سياسة الناس ومعاشرتهم

بعد أن أخذ يوسف بن خالد السمعي العلم عن أبي حنيفة وأراد الرجوع إلى بلده البصرة استأذن أبا حنيفة في ذلك . فقال له أبو حنيفة: حتى أزودك بوصية فيما تحتاج إليه في معاشرته الناس ومراتب أهل العلم ، وتأديب النفس وسياسة الرعية ، ورياضة الخاصة والعامة ،

وتفقد أمر العامة ، حتى اذا خرجت بعلمك كان معك آلة تصلح له
تزينه ولا تشينه . وهاهى الوصية التى زوّده بها

الوصية الذهبية

إنك متى أسأت معاشرة الناس صاروا لك أعداء ، وإن كانوا لك
آباء وأمّهات ، ومتى أحسنت معاشرة قوم ليسوا لك بأقرباء صاروا لك
أمّهات وآباء

كأنى بك وقد دخلت البصرة، وأقبلت على من يخالفوننا بها، ورفع
نفسك عليهم ، وتناولت بعلمك لديهم ، واقتبضت عن معاشرتهم
ومخالطتهم ، وخالفتهم وخالفوك ، وهجرتهم وهجروك ، وضلتهم
وضللوك وبدعوك ، واتصل ذلك الشين بنا وبك ، فاحتجت الى
الانتقال عنهم ، والهرب منهم ، وهذا ليس من رأى ، لأنه ليس بعقل
من لم يدار من ليس له من مداراته بُدْ، حتى يجعل الله تعالى له مخرجاً
إذا دخلت البصرة استقبلك الناس وزاروك وعرفوا حقك ، فأنزل
كل رجل منهم منزلته ، وأكرم أهل الشرف ، وعظم أهل العلم ،
ووقر الشيوخ ، ولطف الأحداث ، وتقرب من العامة ، ودار الفجار ،
واصحب الأخيار ، ولا تتهاون بالسلطان ، ولا تحقرن أحداً ، ولا

تقصرن في إقامة مروءتك ، ولا تخرجن سرّك الى أحد ، ولا تثقن
 بصحبة أحد حتى تمتحنه ، ولا تتأخذن خسيساً ولا وضعياً ، ولا تألفن
 ما ينكر عليك في ظاهره ، وإياك والانبساط الى السفهاء ، ولا تجيبين
 دعوة ، ولا تقبلن هدية ، وعليك بالمداراة والصبر ، والاحتمال وحسن
 الخلق وسعة الصدر ، واستجد ثيابك ، واستفره دابتك ، وأكثر
 استعمال الطيب ، واجعل لنفسك خلوة ترم بها حوائجك ، وابحث عن
 أخبار حشمك ، وتقدم في تأديبهم وتقويمهم ، واستعمل في كل ذلك
 الرفق ، ولا تكثر العتاب فيهم ، ولا تل تأديبهم بنفسك فانه
 أبقي وأهيب لك

وحافظ على صلواتك ، وابذل طعامك ، فانه ماسد بخيل
 ولتكن لك بطانة تعرفك أخبار الناس ، فمضى عرفت بنفساد بادرت
 الى إصلاحه ، ومضى عرفت بصلاح ازدادت فيه رغبة وعناية
 وزر من يزورك ومن لا يزورك ، وأحسن الى من يحسن إليك أو
 يسى ، وخذ العلم وأمر بالعرف ، وتغافل عما لا يعينك ، واترك كل من
 يؤذيك ، وبادر في إقامة الحقوق

ومن مرض من إخوانك فعده بنفسك ، وتعاهده برسلك ، ومن
 غاب منهم افتقدت أحواله ، ومن قعد منهم عنك فلا تقعد أنت عنه ،
 وصل من جنالك ، وأكرم من أتى ، واعف عن أساء اليك ، ومن

تكلم فيك بالقيح فتكلم فيه بالحسن والجميل ، ومن مات منهم قضيت
حقه ، ومن كانت له فرحة هنأته بها . ومن كانت له مصيبة عزيتة عنها
ومن أصابته جأحة توجعت بها

ومن استنهضك بأمر من أموره نهضت له ، ومن استغاثك فأغته ،
ومن استنصرك نصرته ، وأظهر تودداً الى الناس ما استطعت ، وأفش
السلام ، ولو على قوم لئام ، ومتى جمع بينك وبين غيرك مجلس أو ضحك
وإياهم مسجد ، وجرت المسائل وخاضوا فيها بخلاف ما عندك لا تبدلهم
منك خلافاً ، فإن سئلت عنها أخبرت بما يعرفه القوم ثم تقول : فيها قول
آخر ، وهو كذا وكذا ، والحجة له كذا ، فإن سمعوه منك عرفوا منزلتك
ومقدارك ، وأعط كل من يختلف اليك نوعاً من العلم ينظر فيه ، وخذهم
بجلى العلم دون دقيقه ، وأنسهم ومازحهم أحياناً ، وحادثهم فإنه يستديم
لك المودة ، وأطعمهم أحياناً وتغافل عن زلاتهم ، واقض حوائجهم ،
وارفق بهم وسامحهم ، ولا تبد لأحد منهم ضيق صدر أو ضجر ، وكن
كوأحد منهم

وعامل الناس معاملتك لنفسك ، وارض منهم ما ترضاه لنفسك ،
واستعن على نفسك بالصيانة لها والمراقبة لأحوالها ، ودع الشغب ،
واستمع لمن يستمع منك ، ولا تكلف الناس ما لا يكلفونك ، وارض
لهم ما رضوا لأنفسهم ، وقدم اليهم حسن النية ، واستعمل الصدق ،

واطرح السكر جانباً ، وإياك والغدر وإن غدروا بك ، وأدّ الأمانة
وإن خانوك ، وتمسك بالوفاء ، واعتصم بالتقوى ، وعاشر أهل الأديان
حسب معاشرتهم ، فانك إن تمسكت بوصيتي هذه رجوت لك أن تسلم
ثم قال له : إنه يحزنني مفارقتك ، وتؤنسني معرفتك ، فواصلني بكتبك ،
وعرفني حوائجك ، وكن لي كلك فاني لك كلى . وكان يقول : من كان
فقيراً فليأت إليّ أعطه رأس مال يستغنى بذلك ، ألا وهو : الأمانة

مناجاته ربه

كان الإمام يناجى ربه فيقول :
إلهي ، إن كان صغيراً في جنب طاعتك على ، فقد كبر في جنب
رجائك أملئ
إلهي ، كيف أنقلب بالخيبة محروماً ، وظنى بجودك أن تقبلني مرحوماً
إلهي ، إن عَزَب رأيي عن تقديم ما يصلحني ، فما عَزَب يقيني عني
فيما ينفعني

إلهي ، أعززت نفسي بإيمانك ، فكيف تذلهما بين أطباق نيرانك
إلهي ، إذا تلونا من كتابك شديد العقاب أشققنا ، وإذا تلونا منه
الغفور الرحيم فرحنا ، فحن بين أمرين : لا يؤمننا كتابك سخطك ،
ولا يُدْشِنُنا من رحمتك أن قصر سعينا عن استحقاق نظرك ،

فَأَفِضْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ ، إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ بِي بَارًّا أَيَّامَ حَيَاتِي ، فَلَا تَقْطَعْ
بِرَّكَ عَنِّي أَيَّامَ وَفَاتِي ، إِنْ غَفَرْتَ فَبِفَضْلِكَ ، وَإِنْ عَذَبْتَ فَبِعَدْلِكَ ،
يَا مَنْ لَا يَرْجِي إِلَّا فَضْلُهُ ، وَلَا يَخْشَى إِلَّا عَذَابَهُ ، وَمَنْ شَوَاهِدُ نِعْمَاءِ
الْكَرِيمِ اسْتِمَامُ نِعْمَانِهِ ، وَمَنْ مُحَاسِنُ الْجَوَادِ اسْتِكْمَالُ آلَائِهِ
إِلَهِي ، إِنْ أَخْطَأْتُ طَرِيقَ النَّظَرِ لِنَفْسِي بِمَا فِيهِ كِرَامَتُهَا ، فَقَدْ تَبَيَّنْتَ
طَرِيقَ الْفَرْعِ بِمَا فِيهِ سَلَامَتُهَا

إِلَهِي ، إِنْ كُنْتُ غَيْرَ مُسْتَأْهِلٍ لِمَا أَرْجُو مِنْ رَحْمَتِكَ ، فَأَنْتَ أَهْلُ
أَنْ تَجُودَ عَلَى الْمَذْنُبِينَ بِفَضْلِكَ

إِلَهِي ، أَمَرْتُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْتَ أَوْلَى بِهِ مِنَ الْمَأْمُورِينَ ، وَأَمَرْتُ
بِصَلَةِ السُّؤَالِ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُسْتَوَلِينَ

إِلَهِي سَتَرْتَ عَلَيَّ فِي الدُّنْيَا ذُنُوبًا أَنَا إِلَى سِتْرِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْوَجُ ،
فَلَا تَفْضَحْنِي بِهَا عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ

إِلَهِي ، لَا تَرُدَّنِي عَنْ حَاجَةٍ أَفْنَيْتَ عَمْرِي فِي طَلِبِهَا مِنْكَ
اللَّهُمَّ ، هَبْ لِي تَوْبَةَ نَصُوحًا تَذِيقُنِي مِنْ حِلَالِهَا ، وَيَصِلْ إِلَى
قَلْبِي بَرْدَ رَأْفَتِهَا

اللَّهُمَّ لَا أَنْزِلْ حَاجَتِي إِلَّا بِكَ ، وَلَا أَطْلُبْهَا إِلَّا إِلَيْكَ ، فَاقْضِ يَا رَبُّ
حَاجَتِي ، فَأَنْتَ مُنْتَهَى الْحَوَائِجِ ، وَاجْعَلْنِي فِي رَحْمَتِكَ مَعَ الْأَبْرَارِ

دعاؤه عند موت ابنه

لما وضع ابنه في قبره قال : اللهم هذا ابني ، رزقتنيه ، وامتعتني به مدة من الدنيا ، وتوفيتني بأجله ورزقه ولم تظلم أحداً
اللهم ، ما وعدتني عليه من الأجر في مصيبتى هذه ، فقد وهبت جميع ذلك له ، فهب لي عذابه ولا تعذبه . فأبكى الناس جميعاً

وفاته وسببها

إن امتناع الإمام عن تولى القضاء كان سبباً في أن أبا جعفر المنصور أمر بحبسه ، وضيق عليه تضيقاً شديداً في الطعام والشراب ، وأمر بضربه كل يوم عشرة أسواط ، وفعل به ذلك عشرة أيام ، فلما تتابع عليه الضرب بكى وأكثر الدعاء ، ومكث بعد ذلك خمسة أيام ، وتوفي رحمة الله تعالى عليه ورضي الله عنه . وبعضهم قال : انه مات مسموماً ، واتفقوا على أنه رضى الله عنه مات سنة ١٥٠ هجرية واختلفوا في الشهر الذي مات فيه ، فبعضهم قال في رجب ، وقال بعضهم في شعبان ، وقال أبو يوسف في النصف الأول من شوال ، ودفن بالرصافة شرق بغداد

وقال الإمام أبو المؤيد : أكثر الروايات المعتمدة عليها أن وفاته

كانت في رجب وعمره يوم وفاته ٧٠ سنة، ولم يكن له من الأولاد غير
ابنه حماد

ولما أحس الإمام بالموت سجد ، فصعدت روحه الى ربها وهو
ساجد ، وقد روى الإمام أحمد ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد »
فهنيئاً للإمام لأنه من المقربين حقاً عند الله

الرتاء

لما توفى الإمام أبو حنيفة بكاه الناس ورثاه الشعراء وأبنة الخطباء
وهذا نموذج من المراثيات التي قيلت فيه :

« لقد طلع النعمان من أرض كوفة

كغرة صُبح يستفيض ابتلاجها »

« هو المرتضى في الدين والمقتدى به

وضدُرُ الورى في الخاقين وتاجها »

« إذا مرض الإسلام والدين مرضة

فمن نكتِ النعمان يُلقي علاجها »

- « وإن كسدت سوقُ الهدى وتراجعت
فمن مذهب النعمان يُلغى رَواجُها »
- « وإن فُتحت أبواب جهل وبدعة
على الناس يوما كان منها رِجاجُها »
- « وإن عُمة عمت فمنه انجلاؤها
وإن شدة ضاقت فمنه انفراجها »
- « حوى العذب من بحر الشريعة صافياً
وحظ جميع العالمين أجاجُها »
- « لقد خصص الله النبي محمداً
بأشياء منها النفس دام ابتهاجها »
- « فأبته قد أخرجت خير أمة
كما جاء والنعمان فيها سراجُها »
- « فهاهو في أرض ببغداد قد ثوى
أضاءت به أرجاؤها وفجاجها »

المذهب الحنفي

قال المرحوم أحمد باشا تيمور في رسالته عن المذهب الحنفي ما يأتي باختصار :

المذهب الحنفي هو أقدم المذاهب الأربعة، وصاحبه الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان الكوفي رضي الله عنه المولود سنة ٨٠ والمتوفى ببغداد سنة ١٥٠ على الأصح

وكان أهل مصر لا يعرفون هذا المذهب حتى ولي قضاءها اسماعيل ابن اليسع الكوفي من قبل المهدي سنة ١٦٤ وهو أول قاضٍ حنفي بمصر، وأول من أدخل إليها مذهب أبي حنيفة فكان من خير القضاة إلا أنه كان يذهب إلى إبطال الأجباس (الوقف) فتقل أمره على أهل مصر وقالوا : أحدثت لنا أحكاماً لا نعرفها ببلدنا فعزله المهدي

وفشا مذهب أبي حنيفة في مصر بعد ذلك مدة تمكن العباسيين ، إلا أن القضاء بها لم يكن مقصوراً على الحنفية ؛ بل كان يتولاه الحنفيون تارة ، والمالكيون أو الشافعيون أخرى

ولما حكم الفاطميون مصر أظهروا مذهب الشيعة الاسماعيلية وولوا القضاة منهم، ففقد هذا المذهب بالدولة وعمل بأحكامه، إلا أنه لم يقض على المذاهب الأخرى في العبادات ؛ لأن الفاطميين كانوا يبيحون للرعية

التعبد بما يشاءون من المذاهب . ويقول القلقشندى فى صبح الأعشى :
أن الفاطميين كانوا يتألفون أهل السنة والجماعة ، ويمكنونهم من إظهار
شعائهم على اختلاف مذاهبهم

وكانت مذاهب مالك والشافعى وأحمد بن حنبل ظاهرة الشعار فى
المملكة الفاطمية بخلاف مذهب أبى حنيفة ، وكانوا يراعون مذهب
مالك ، ومن سألهم الحكم به أجابوه

ثم لما قامت الدولة الأيوبية بمصر ، وكان سلاطينها شافعية ، قضوا
على التشيع وأنشأوا المدارس للفقهاء الشافعية والمالكية ، وكان نور الدين
الشيد حنفياً ، فنشر مذهبه ببلاد الشام ، ومنها كثرت الحنفية بمصر

وقدم إليها أيضاً عدة من بلاد المشرق فبنى لهم صلاح الدين الأيوبي
(المدرسة السيوفية بالقاهرة) وما زال مذهبهم ينتشر ويقوى وفقهاؤهم
تكثر بمصر والشام من حينئذ ؛ ولكن لم يبلغ المذهب مبلغه فى القوة
والكثرة بمصر إلا فى آخر هذه الدولة

وأول من رتب دروساً للمذاهب الأربعة الصالح نجم الدين أيوب

فى مدرسة الصالحية بالقاهرة سنة ٦٤١

ثم لما استولى العثمانيون على مصر حصروا القضاء فى الحنفية وأصبح
الحنفى مذهب أمراء الدولة وخاصتها ورغب كثيرون من أهل العلم فيه
لتولى القضاء ، إلا أنه لم ينتشر بين أهل الريف والصعيد انتشاره فى
المدن ولم يزل كذلك الى اليوم

٢ - الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه

عالم المدينة

مولده ونسبه - ولد رضي الله عنه بالمدينة سنة ٩٣ هجرية على المشهور ، وهو مالك بن أنس ، بن أبي عامر الأصبحي ، بن عمرو ، بن الحرث ابن سعد ، بن عوف ، بن عدى ، بن مالك ، بن يزيد

وأما أمه فقبل اسمها (العالية) بنت شريك بن عبد الرحمن بن شريك من الأزد ، حملت به فمكث في بطنها سنتين وقيل :

ثلاث سنين

نشأته - نشأ الإمام مالك بالمدينة بين الصحابة والتابعين والأَنْصار والعلماء والفقهاء

نشأ بينهم غلاماً عاقلاً ، حافظاً ، ضابطاً ، متقناً للسنة ، برّاً تقيّاً ، فتعلم منهم وجمع علومهم ، وحفظ آراءهم ، ونقل آثارهم ، وعرف مذاهبهم ، وأحكم قواعدهم ، وكدّ وكدح ، حتى صار إماماً في السنة ، وسيد فقهاء الحجاز ، وهو الذي قيل فيه : « لا يفتى ومالك في المدينة » وأصبحت مثلاً .

وكان رحمه الله في أول أمره فقيراً ، ثم توالى عليه منح الخلفاء ،

ففسنت حاله ، وأظهر نعمة الله عليه ، وواسى أهل العلم ، وأشركهم في ماله ، وكان منهم الإمام الشافعى رضى الله عنه

هيئته وخلقته - كان رحمه الله حسن الهيئة ، يكره الثياب الخَلَقَة ، ويعدها مثلة ، وكان يكره حلق الشارب ويراه مثلة ، وكان طويلاً عظيم الهامة ، أصلع الرأس ، أبيض الشعر واللحية ، شديد البياض الى الشقرة ، وكان لباسه الثياب العذنية الجياد ، والخزسانية والمصرية المرتفعة ، ويتطيب بطيب جيد ويقول : ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا أن يرى أثر نعمته عليه ، وخصوصاً أهل العلم ينبغي لهم أن يظهروا مروآتهم فى ثيابهم إجلالاً للعلم

وكان له خاتم منقوش عليه ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾
فُسِّلَ يوماً عن ذلك فقال : سمعت قول الله تعالى عقب هذه الآية :
﴿ فَانْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ ﴾

مناقبه

أخلاقه وآدابه - كان رحمه الله على جانب عظيم من الأدب وكرم الأخلاق ، حسن السيرة ، طيب السريرة ، وكان شديد الاهتمام بتشجيع الجنائز ، وعيادة المرضى ، ومواساة الفقراء ، وقضاء الحقوق ،

فلما كبر انقطع عن ذلك كله، واحتمل له الناس ذلك ، وكان رحمه الله شديد الكراهية للغبية ومن قوله فيها :

« كان عندنا بالمدينة قوم لا عيوب لهم ، فلما تكلموا في عيوب الناس صارت لهم عيوب ، وكان عندنا قوم لهم عيوب ، فلما سكتوا عن عيوب الناس نسيت عيوبهم »

أدبه ولطفه في معاملة ضيفانه - هيا الإمام مالك رضى الله عنه دعوة للطلبة ، فلما مضوا الى داره ودخلوا قال لهم : هذا المستراح ، وهذا الماء ثم دخلوا ولم يدخل معهم ؛ بل دخل بعد ذلك

فسأله بعضهم فيما قال ، وفيما علم دخوله معهم ؟ فقال : أما اعلامى بالمستراح والماء ، فلما دعوتكم لأبركم ، ولعل أحدكم يصيبه حصر بول أو غيره فلا يدرى أين يذهب ؟ وأما تركى الدخول معكم البيت ، فاعلى أقول ها هنا يا فلان ؟ وها هنا يا فلان ، فأنسى بعضكم ، فيظن انى تركته بغضاً فيه ، فتركتمكم حتى أخذتم بحالكم ودخلت عليكم

علومه - كان رحمه الله متقدماً في العلوم ، وقد أخذ العلم عن نحو مائة شيخ انتقام وارتضاهم ، فما لبث فيهم إلا وقد تبين فضله ، واشتهر علمه ، ونبل قدره ، وعظمت منزلته ، وعرفت مكانته ، وظهرت سيادته ، فأقروا بفضله ، وأذعنوا لعلمه ، فساد جميع أقرانه ، وفاق أهل

زمانه ، حتى سُمِّيَ (عالم المدينة) (وإمام أهل الهجرة) واشتهر خبره
في الأمصار ، وانتشر علمه في سائر الأقطار ، وضربت له أكباد الإبل ،
وارتحل اليه الناس من كل مصر ، وأتوه من كل قطر

فجلس لتدريس العلم وهو ابن سبع عشرة سنة وأشياخه متوافرون
فمتع الله المسلمين بطول حياته ، فعاش قريباً من تسعين سنة ، ومكث
يفتي الناس نحواً من سبعين سنة ، وشهد له التابعون بالفقہ والحديث ،
واحتراج اليه معلومه ومشايخه ، وسألوه عن أمر دينهم ، وروى عن الأئمة
المشهورين ، والعلماء المذكورين منهم : محمد بن شهاب الزهري إمام السنة ،
وربيعة بن عبد العزيز فقيه أهل المدينة ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ،
وموسى بن عقبة هؤلاء كلهم أشياخه ، ورووا عنه ، وألف كتابه المشهور
(بالموطأ)

وروى أن مالكا رضي الله عنه لما أراد أن يؤلف كتابه بقي متفكراً
بأى شيء يسمى تأليفه . قال : فذمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ،
فقال لي : وطئ للناس هذا العلم ، فسمي كتابه (الموطأ) وقيل
أنه وضع فيه أربعة آلاف حديث أو أكثر
وقيل : أن مالكا حفظ مائة ألف حديث ، وكان أحفظ أهل زمانه
كما قال أبو قدامة

تبشير النبي ﷺ به

قال التابعون وتابعوهم : انه العالم الذى بشر به النبي صلى الله عليه
وسلم فى الحديث الذى رواه الترمذى وغيره، وهو قوله صلى الله عليه وسلم :
« ينقطع العلم فلا يبقى عالم أعلم من عالم المدينة »

وفى حديث آخر :

« ليس على ظهر الدنيا أعلم منه، فتضرب الناس إليه أكباد الإبل »

وفى حديث آخر :

« يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدون عالماً أعلم
من عالم المدينة »

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« يوشك أن يضرب الرجل أكباد الإبل فلا يجد عالماً أعلم من

عالم المدينة »

وعن أبى موسى الأشعرى قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« يخرج ناس من الشرق والغرب فى طلب العلم ، فلا يجدون عالماً
أعلم من عالم المدينة »

وفى معنى هذا الحديث نظم بعضهم :

(م - ٤ - رابع)

« قال نبيُّ الهدى حديثاً من حَفَّه الله بالسكينة »
« يخرج من شرقها وغرب من طالبي الحكمة المبينه »
« فلا يروا عالماً إماماً أعلم من عالم المدينة »

ثناء العلماء والفضلاء عليه

- ١ - قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في مدحه : إذا جاءك الحديث عن مالك فشدَّ يدك به
- ٢ - وقال الإمام الشافعي أيضاً : إذا ذكر الحديث فإلك النجم وما أحد آمن على علم من مالك
- ٣ - وقال حماد بن سلمة : لو قيل لي اختر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم إماماً يأخذون عنه العلم ، لرأيت مالكاً لذلك موضعاً وأهلاً ، ورأيت ذلك صلاحاً للأمة
- ٤ - وقال عبد الله بن المبارك : ما رأيت أحداً ممن كتب عنه علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أهيأ في نفسي من مالك ، ولا أشدَّ إعظاماً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من مالك ، ولا أشجع على دينه من مالك فلو قيل لي اختر للأمة إماماً لا اخترت لها مالكا
- ٥ - وقال الليث بن سعد رضي الله عنه : علم مالك علم تقي ، علم

مالك أمان لمن أخذه من الأنام ، وقال أيضاً : والله ما على وجه الأرض أحب الىّ من مالك

مجلسه للعلم - كان مجلسه للعلم ، مجلس وقار وحلم ، تحوطه الهيبة ، وتحفه العظمة والبركة ، لأنه كان رجلاً مهيباً ، عظيماً نبياً ، ليس في مجلسه شيء من المرء ، واللغظ ، والجدل

وكان الغرباء يسألونه الحديث والحديثين ، أو قال الحديث بعد الحديث وربما أذن لبعضهم فقرأ عليه

وكان له كاتب لنسخ كتبه يقال له : (حبيب) يقرأ للجماعة فليس أحد ممن حضره يدنو منه ، ولا ينظر في كتابه ، ولا يستفهمه ، هيبة له وإجلالاً ، وكان حبيب إذا أخطأ أصلح له مالك

تزاحم طلاب العلم على بابه ، وسكوتهم في مجلسه

قال أبو مصعب : كان الناس يزدهجون على باب مالك ، ويقتتلون عليه من الزحام لطلب العلم ، وقال : كنا نكون عند مالك فلا يكلم ذا ذا ، ولا يلتفت ذا الىّ ذا ، والناس مائلون برؤوسهم (هكذا) وكانت السلاطين تهابه وهم قاعدون يستمعون

وكان يقول في المسئلة : نعم ، أولاً ، فلا يقال له : من أين قلت هذا ؟ وقال يحيى بن شعبة : وصلت المدينة سنة ١٤٤ أربع وأربعين ومائة

ومالك بن أنس رضى الله عنه أسود الرأس واللحية ، والناس حوله سكوت ، لا يتكلم أحد منهم هيبَةً له وتعظيماً لقدره

ولا يفتى أحد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره ، فجلست بين يديه ، فسأله فحدثني ، فاستزدته فزادني ، ثم غمزني أصحابه فسكت

أمانته للعلم : ارتفعت أمانة العلم عنده لدرجة لا تقوى عليها نفوس

العلماء فنزل منزلاً لم يخرج عنه حتى خرج من الدنيا

قال عبد الرحمن بن مهدى : كننا عند مالك فجاءه رجل فقال : يا أبا عبد الله جئتُك من مسيرة ستة شهور ، خلاني أهل بلادى مسألة أسألك عنها

فقال له : سل . فسأله . فقال له : لا أحسن . فقطع بالرجل وكأنه قد جاء الى من يعلم كل شيء

قال الرجل : وأى شيء أقول لأهل بلادى إذا رجعت اليهم ؟

قال له : تقول لهم : قال مالك بن أنس : لا أحسن

تعظيمه للمدينة

من آدابه العالية أنه كان مع ضعفه وكبر سنه يمشى ولا يركب دابة في المدينة تعظيماً لبلد بها جثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدليل على ذلك ما قاله الإمام الشافعى رضى الله عنه

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : رأيت على باب مالك دواب
من أفراس خراسان ، جاءت هدية ، وقيل : من مصر ، مارأيت أحسن
منها . فقلت : ما أحسن هذه !

فقال : هذه هدية مني إليك

فقلت : دع لنفسك منها دابة تركبها

فقال : إني لاستحي من الله عز وجل أن أطأ تربة فيها نبي الله صلى
الله عليه وسلم بجافر دابة

تعظيمه لحديث رسول الله ﷺ

قال عبد الله بن المبارك : كنت عند مالك وهو يحدثنا ، فلدغته
عقرب ، ست عشرة مرة ، وهو يتغير لونه ، ويصفر ، ولا يقطع حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فلما تفرق الناس عنه ، قلت له : يا أبا عبد الله
لقد رأيت اليوم منك عجبا . قال : نعم ، إنما صبرت إجلالا لحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال مطرف : كان مالك إذا أتى الناس إليه خرجت إليهم الجارية
فتقول لهم :

يقول لكم الشيخ : تريدون الحديث أو المسائل ؟ فان قالوا : المسائل
خرج إليهم بحالته ، وإن قالوا : الحديث ، دخل مغتسله فاغتسل

وتطيب، ولبس ثياباً جددًا، ولبس تاجه، وتعم، ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصته، فيخرج ويجلس عليها، وعليه الخشوع، ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل : أنه لم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد سئل في ذلك ، فقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنًا . وكان يكره أن يحدث في الطريق ، أو وهو قائم ، أو مستعجل وقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وإذا رفع أحد صوته في المجلس قال له : اخفض صوتك فإن الله تعالى يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾
الحجرات

فمن رفع صوته عند حديثه فكأنما رفعه عند صوته وذكر القاضي أبو الفضل عياض بسنده : أن أبا جعفر المنصور ناظر مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله عز وجل أدب قومًا فقال :

﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ الحجرات
ومدح قومًا فقال :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ
امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴾ الحجرات
وذم قوماً فقال :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾
الحجرات
وإن حرمة ميتاً ، كحرمة حيّاً ، فاستكان لها أبو جعفر

احترامه وتعظيمه للعلم

قال عتيق بن يعقوب الزبيري رحمه الله : قدم هارون الرشيد المدينة
وكان قد بلغه أن الإمام مالك بن أنس عنده الموطأ يقرؤه على الناس
فتوجه إليه البرمكي وقال له : أبلغه عنى السلام، وقل له : يحمل إلى
الكتاب فيقرؤه على

فجاءه البرمكي وأخبره، فقال له : أبلغه عنى السلام، وقل له : إن العلم
يزار ولا يزور ، وإن العلم يؤتى إليه ، ولا يأتي
فذهب البرمكي وأخبر هارون الرشيد ، وكان عنده أبو يوسف
القاضي، فقال : يأمر المؤمنين، يبلغ أهل العراق أنك وجهت إلى مالك
ابن أنس في أمر فخالفك، اعزم عليه
فبينما هو كذلك إذ دخل مالك ابن أنس، فسلم وجلس

فقال الرشيد : يا بن أبي عامر أبعث اليك فتخالفني
فقال مالك : يأمر المؤمنين ، إن الله تبارك وتعالى قد رفعك
وجعلك في هذا الموضع الكريم ، فلا تسكن أنت أول من يضع عز
العلم ، فيضع الله عزك ، وإني لم أخالفك ؛ بل أردت أن أمير المؤمنين
يرفع العلم ويعظمه ، حتى يرفع الله قدره

فقام الرشيد يمشي مع مالك إلى منزله ليسمع منه كتابه الموطأ وأجلسه
معه على المنصة ؛ فلما أراد أن يقرأ مالك . قال للمالك : تقرأه على ؟
قال : ما قرأته على أحد من زمان

قال الرشيد : فلتخرج الناس حتى أقرأ أنا عليك
فقال مالك : إن العلم إن منع عن العامة لأجل الخاصة لا ينفع الله
به الخاصة

فأمر أن يقرأ معن بن عيسى الفزارى عليه
فلما بدأ بالقراءة قال مالك رضى الله عنه هارون الرشيد :
يأمر المؤمنين أدركت أهل العلم ببلدنا ، وأنهم ليحبون التواضع للعلم
فتزل هارون عن المنصة فجلس بين يديه تواضعاً لعلمه واثقياً لقوله
وسئل مالك رضى الله عنه عن طلب العلم ؟ فقال : جميل ، ولكن
أنظر الذى يلزمك من حين تصبح الى حين تسمى فالزمه

وكان رحمه الله تعالى فى تعظيم علم الدين مبالغاً حتى اذا أراد أن

يحدث تواضاً وصلى ركعتين ، وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته ، واستعمل الطيب ، وتمكن في الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث ، فقيل له : ما السبب في ذلك ؟ فقال :

أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا يكون تعظيم العلم ، فالعلماء إذا عظموا العلم عظمهم الله عند الناس وجعل لهم الهيبة في قلوب الملوك ومن دونهم

تعظيم الخلفاء والأمراء له

أما رفعة قدره عند الخلفاء ، وعظم منزلته عند الأمراء ، ورجوعهم الى رأيه دون غيره من الآراء ، وتقديمهم له على من سواه ، ونفوذ كلمته في العامة ، وانقيادهم له بالطاعة ، وكال سيادته عند الكافة ، فقد كان له في ذلك المقام الأترف ، والمحل الرفيع الأشرف ، بحيث أنه لم يكن في وقته من يساويه ، ولا من يقرب منه فيساميه ، ولذا كانت الخلفاء تقتدى بعلمه ، والأمراء تستضيء بنور رأيه ، والعامة منقاداة الى قوله ، وكان يأمر فيمثل أمره بغير سلطان ، ويقول فلا يسأل عن دليل على قوله ، ويأبى الجواب فلا يجسر أحد على مراجعته ، ولذلك قال فيه بعض محبيه :

« يأبى الجواب فلا يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان »

« لبس الوقار وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان »
وكانت الملوك تسأله أن يرأسهم، فلا يرضى بذلك، وتعرض عليه
أن يقضى لهم فيعرض عن ذلك، وكانوا مع ذلك يسألونه ويتعلمون
منه، ويأتونه ولا يستنطقون عنه، ويجلسون إليه، ويتمثلون إليه بين
يديه، ويأمرون نوابهم باستشارته، ولا يقضى أمر دون مشورته

أبو جعفر المنصور والإمام مالك

١ - بلغ أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين أن العلماء يطعنون عليه
ويتكلمون فيه فبعث إلى مالك ليلاً، فأثاه خائفاً منه، فدخل إليه
بين صفوف الرجال، معتدين بالسلح، قائمين عن يمينه وعن يساره، حتى
خلص إليه، فوجده في بيته جالساً ليس معه أحد
قال مالك : فجعل يدينني حتى جلست قريباً منه، ثم استدناي حتى
مسست ركبتي ركبته

فقال : ما هذا الذي يبلغنا عنكم معاشر الفقهاء؟ وأنتم أحق الناس
بالطاعة، وأعرفهم بما يلزم من حق الأئمة؟
فقال : فقلت : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول في كتابه :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن

تَصِيدُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿ الحِجْرَاتِ
فجری بینہما کلام ومذاکرۃ، إلی أن ذکرلہ مالک، أنه لما بعث الیہ
لیلاً وطلبہ، خاف منه القتل علی نفسه

فقال أبو جعفر : حاشا لله یا أبا عبد الله أن أثلم رکنًا للمسلمین. فان
لم أکن بالذی أبنیہ لهم، فلست بهادمہ ؛ ولكن إن أردت ما عندنا
فاذهب معی الی مدینة السلام، فلا أقدم أحداً علیک

فقال له مالک : إن تکن عزیمة من أمیر المؤمنین فلا سبیل الی
مخالفتہ ، وإن تسکن غیر ذلک فقد قال رسول الله صلی الله علیہ وسلم :
« والمدینة خیر لهم لو كانوا یعامون »

فقال له المنصور : فلا أحمل علیک شیئاً تکرهه
فینماها فی أثناء الکلام، خرج علیهما بعض أولاد المنصور ؛ فلما
رأى مالکاً رجع کالفرع

فقال المنصور : أتدری ممّ فرع ؟
قال مالک : قلت : لا یا أمیر المؤمنین
قال : لأنه لم یر أحداً جلس منی هذا المجلس غیرک
فلما انصرف مالک أجازہ المنصور بجائزة سنیة ، قیل : أنها ثلاث
صرر کل صرة ألف دینار

فلما خرج مالك قال ولد المنصور لأبيه :
أتدنى رجلا من رعيتك حتى يجلس منك هذا المجلس ؟
فقال له المنصور : يا بني والله ما على وجه الأرض رجل يستحيا منه

إلا مالك بن أنس ، وسفيان الثوري

قال مالك : ووجدت المنصور أعلم الناس بكتاب الله ، وسنة رسوله صلى
الله عليه وسلم ، وآثار من مضى . وهذا معنى ما ذكره ابن قتيبة دون لفظه
وقال جرير : أن أبا جعفر المنصور عزم على أن يحمل الناس على
موطنه فقال له :

لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فإن الناس قد سبقت اليهم أقاويل ، وسمعوا
أحاديث ، ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق لهم ، وعملوا به ودانوا ،
وقد أصبح ردهم عما اعتقدوا شديداً ، فدع الناس وما هم عليه ، وما
اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم

المهدى ومالك بن أنس

٢ - قال أبو مصعب : لما قدم المهدى المدينة استقبله مالك وغيره
من أشرف المدينة على أميال منها
فلما أبصر المهدى مالكا وعليه ثياب سود عذنية انحرف اليه المهدى
وعانقه ، وسلم عليه ، وسأله ، فالتفت اليه مالك فقال :

يأمر المؤمنين انك تدخل الآن المدينة فيمن يقوم عن يمينك وعن يسارك، وهم أولاد المهاجرين والأنصار، فسلم عليهم، فانه ماعلى وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة ولا بلد خير من المدينة

فقال له : لِمَ يا أبا عبد الله ؟

قال : لأنه لا يعرف قبر نبي على وجه الأرض غير قبر محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كان قبر محمد صلى الله عليه وسلم عندهم ينبغي أن يعلم فضلهم على غيرهم ، ففعل المهدي ما أمره به مالك

فلما دخل المدينة ونزل ، وجّه الى مالك ببغلة ليركب ويأتيه ، فرد مالك البغلة وقال : إني لأستحي من الله أن أركب في مدينة فيها جثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ماشياً ، وكانت به علة فاتسكأ

على المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي ، وعلى حسن بن أبي زيد العلوي وعلى ابن علي اليميني ، وكانوا من علماء المدينة وأشرفها

فقال المهدي : سبحان الله رد البغلة إجلالاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيض الله له هؤلاء ، فوالله لو دعوتهم أنا الى هذا ما أجابوني اليه فقال له المغيرة : نحن يأمر المؤمنين قد افتخرنا على أهل المدينة لما اتسكأ مالك علينا

امتناعه عن القضاء محافظة على الدين

روى أن أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين قال لمالك :
ما تقول في مالي ؟ قال : خير مال . فقال : انصرف إن شئت .
ثم قال لأبي حنيفة : ما تقول في مالي ؟ قال : يأمر المؤمنين أنت
أعلم به . فقال له : انصرف إن شئت
وقال لابن أبي ذئب : ما تقول في مالي ؟ فقال له : شر مال :
فقال له : انصرف إن شئت
ثم مكث مدة : ثم أرسل الى مالك بمال ، وقال لرسوله : إن لم
يقبله فاضرب عنقه ، فقبله مالك وسلم
فأرسل الى ابن أبي ذئب بمال ، وقال لرسوله : إن قبله فاضرب
عنقه ، فردّه ابن أبي ذئب وسلم
وأرسل الى أبي حنيفة بمال وقال لرسوله : قل له : أمير المؤمنين يأمرك
أن تضعه حيث ترى ، فان قبله فحسبه ، وإن رده فحسبه
فقال أبو حنيفة للرسول : أمير المؤمنين يعرف من أين جمعه ؟ وهو
يعرف أين يضعه ؟
ثم أرسل اليهم الثلاثة وقال لمالك : إني أريد أن أوليك القضاء .
فقال له : لأصلح لذلك (لأنى محدود)

وقال لأبي حنيفة : مثل ذلك ؛ فقال له أبو حنيفة
لا أصلح لذلك (لأنى مولى) ولا يصلح أن يقضى بين الناس إلا
دو شرف فى قومه

وقال لابن أبى ذئب : مثل ذلك ، فقال : لا أصلح لذلك (لأنى
قرشى) ومن كان شريكك فى نسبك فلا يصلح أن يكون شريكك
فى سلطانك

وإنما قالوا ذلك رضى الله عنهم واعتذروا به هروباً منهم عن القضاء
ورغبة عنه ، خوفاً على أديانهم

(وأما قول مالك إني محدود) فانما أراد بذلك الشياط التى ضربه
بها جعفر بن سليمان الهاشمى أمير المدينة من جهة أبى جعفر المنصور سنة
سبع وأربعين ومائة لما أفتى أن يمين المكروه لا يلزم ، فلما سمع أبو جعفر
حمله الى العراق على قبة ، ثم قال لمالك بعد ذلك :

اقتص منه فإنه قد ظلمك . فقال له : يا أمير المؤمنين ليس لى عليه
قصاص ؛ لأنى جعلته فى حلٍّ لأنه من قرابة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فاستحييت أن آتى يوم القيامة متعلقاً برجل من قرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم أطلبه بمظامة

وكانت تلك الشياط على مالك عند الناس كاللحل المنشورة لما

علموا أنه أفتى بحق ، وضرب بباطل ، عفا عن هذه المظلمة تعظيماً لجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولتعظيم أمير المؤمنين له ، وتمكينه من القصاص من نائبه وابن عمه

وقد قيل : ان أبا جعفر هو الذي نهى مالكا عن حديث . (ليس على مكره طلاق)

ثم دس اليه من سأله عنه ، فحدثه به على رؤوس الناس ، فضربه الشياطين ، وإن كتف مالك انحلت حينئذ رضى الله عنه وما زال الله سبحانه وتعالى يعلى من قدر سيدنا مالك رضى الله عنه بعد ذلك الضرب حتى أصبح فى رفعة لا يسمو عليها مقام ، وتجلى عليه مولاه بمظهر العزة والكرامة ، حتى كانت تلك الشياطين حلية تحلى بها ، وفضيلة سما قدره اليها

صلاحه وتقواه

وأما تقواه لربه ، ومعرفته بعظيم قدر نبيه ، وصحبه وآله ، وتعظيمه لشريعته وإتباعه لسنة ، ونصيحته لأئمة ، وإنفاذ همته ، وكال مروءته ، وكال هيئته ، ووفور هيئته ، فقد كان من ذلك على غاية من التحفظ وفى نهاية التيقظ ، مبرزاً فى ذلك بالتقدم ، معروفاً به وبالعلم والتوسم ، وفيما ذكر دلالة ظاهرة عليه

قال ابن وهب : قيل لأخت مالك ما كان يشغل مالكاً في بيته ؟

قالت : المصحف والتلاوة

وقال مصعب بن عبد الله : كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه ويصفر حتى يصعب ذلك على جلسائه ، فقيل له : ما السبب في ذلك ؟ فقال :

لو رأيتم ما رأيتم لما أنكرتم عليّ ماترون ؛ لقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعاة والتبسم ، فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اصفرّ وقال القاضي عياض رحمه الله : كان مالك لا يركب في المدينة دابة ويقول :

« أستحي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة »

وقد روى : أن مالكاً رضى الله عنه ما جلس سفيهاً قط ، وهذه خصلة لا تعرف لأحد غيره ، وكان كثير الصلاة والأذكار ، والأوراد في الأسحار ، والدروس في العلوم والتكرار

زهده وورعه

قيل : لما اشتهر مالك رضى الله عنه بالعلم ، وانتشر وصفه وذكره

(م - ٥ رابع)

في البلاد ، حملت إليه الأموال فكان يفرقها على أصحابه ، وأصحابه يفرقونها في وجوه الخير ، موافقة لفعله ، وما كان يدخرها ، وكان يقول :
ليس الزهد فقد المال ، وإنما الزهد فراغ القلب منه

ومما يؤثر عنه : أن المهدي أمير المؤمنين سألته وقال له : هل لك دار ؟
فقال : لا ، ولكن أحدثك : سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يقول :
نسب المرء داره

وسأله الرشيد : هل لك دار ؟

فقال : لا . فأعطاه ثلاثة آلاف دينار ، وقال : اشتر بها داراً
فأخذها ولم ينفقها ، فلما أراد الرشيد الرحيل إلى بغداد قال له :
ينبغي لك أن تخرج معنا ، فإني عزمته أن أحمل الناس على الموطأ
كما حمل عثمان الناس على القرآن

فقال له : أما حمل الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل ؛ لأن
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده في الأمصار فحدثوا
فعند أهل كل مصر علم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
اختلاف أمتي رحمة

وأما الخروج معك فلا سبيل إليه ، قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : المدينة تنقي خشبها كما ينقي الكبر خبث الحديد

وهذه دنائيركم كما هي ، إن شئتم فخذوها ، وإن شئتم فدعوها
يعنى انك إنما كلفتني مفارقة المدينة بما اصطنعت له من أخذ هذه
الدنائير ، فالآن خذها فاني لا أؤثر الدنيا وما فيها على مدينة رسول الله
صلى الله عليه وسلم

وفاته

توفي مالك رضى الله عنه لعشرة أيام خلت من ربيع الأول سنة
تسع وسبعين ومائة ، ومرض يوم الأحد ، ومات يوم الأحد ، وعاش تسعين
سنة ، وأوصى أن يكفن في بعض ثياب بيض ، ويصلى عليه بموضع
الجنائز ، فصلى عليه أكثر الناس ، فمنهم : ابن عباس وهاشم وابن كنانة
وشعبة بن داود وكتابه حبيب وابنه ، ووجد عليه أهل المدينة
كبيرهم وصغيرهم وجداً عظيماً

ودفن بالبقيع في ظاهر المدينة ، ونزل في قبره جماعة رضى الله عنهم
ولما بلغ أهل العراق موت الإمام مالك رحمه الله ارتجت له العراق
وعظمت مصيبتهم بموته

تأبينه

أنشد أبو عمار في تأبين مالك وفي موطنه قصيدة طويلة نذكر منها ما يأتي :
« أيا طالباً للعلم إن كنت طالباً حقيقة علم الدين تحظى وترغب »

« فبادر موطاً مالك قبل فوته فما بعده إن فات للعلم مطلب »
« ودع للموطأ كل علم تريده فان الموطأ الشمس والعلم كوكب »
« هو الحق عند الله بعد كتابه وفيه لسان الصدق بالحق معرب »
« هو الأصل طاب الفرع منه لطيبه ولم لا يطيب الفرع والأصل طيب »
« ومن لم يكن هذا الموطأ بيته فذاك من التوفيق بيت خيب »
« جرى الله عنا في موطاه مالكا بأفضل ما يجزى اللبيب المذهب »
« فقد أحسن التحصيل في كل ماروى كذا فعل من يخشى الإله ويرغب »
« لقد رفع الرحمن بالعلم قدره غلاماً وكهلاً ثم إذ هو أشيب »
« لقد فاز أهل العلم شرقاً ومغرباً فأضحى به الأمثال في الناس تضرب »
« وما فاقهم إلا بتقوى وخشية وأن كان يرضى للإله ويفضب »
« فلا زال يسقى قبره كل عارض من العفو إذ يهمل عليه ويسكب »

أولاده

خلف من الولد رضى الله عنه أربعة : يحيى ، ومحمد ، وحادة ، وأم أبيها
فأما يحيى وأم أبيها ، فلم يوص بهما الى أحد ، كانا مالكيين لأنفسهما
وأما محمد وحادة فوصى بهما الى ابراهيم بن حبيب من أهل المدينة

بعض أقواله وحكمه

من حكمه : العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم . ليس العلم بكثرة الرواية ؛ ولكن نور يضعه الله تعالى في القلب

من أقوال مالك : من طلب الدين بالكلام تزندق ، ومن طلب المال بالكيماء أفلس ، ومن طلب غريب الحديث كذب . الدنوم الباطل هلكة ، والقول في الباطل يصد عن الحق . ولا خير في شيء من الدنيا بفساد دين المرء أو مروءته . ولا تأس على الناس فيما أحل الله لهم . إياكم وأصحاب الرأي فانهم أعداء السنة . السنة سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق

أوصى مالك رجلا فقال له : عليك بتقوى الله ، وطلب العلم من عند أهله . وقال مالك : ما كان في كتاب الله أو فيما أحكمته السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حق لا شك فيه ، وما كان من اجتهاد الرأي فالله أعلم به . لا يؤخذ العلم من أربعة ، ويؤخذ من سواهم : لا يؤخذ من مبتدع يدعو الى بدعة ، ولا من سفيه معان بسفه ، ولا عمن يكذب في حديث الناس ، وإن كان يصدق في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عمن يعرف هذا الشأن

وقال : إذا قلَّ الكلام أصيب الجواب ، وإذا كثر الكلام كان من صاحبه فيه خطأ

وقال : إذا لم يكن للانسان في نفسه خير لم يكن للناس فيه خير
وقال رضى الله عنه : الفظاظة مكروهة لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

ولقوله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى ﴾
وقال مالك رضى الله عنه : قال سعيد بن عباد : صلَّ صلاة إمرئ مودع يظن أن لن يعود ، وأظهر اليأس عما في أيدي الناس فانه الغنى ، وإياك وطلب الحاجة فانه الفقر الحاضر ، وقد علمت أنه لا بد لك من قول ، فإياك وما يعتذر منه

وقال رضى الله عنه : من أكثر الكلام ومراجعة الناس ذهب بهأوه
وقال رضى الله عنه : لا ينبغي أن تشكلم بشئ تستحى منه ولا تمشى في حاجة تستحى فيها

وقال رضى الله عنه : حق على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية ، والعلم حسن لمن رزق خيره ، وهو قسم من الله فلا تمكن الناس من نفسك ، وإن من سعادة المرء أن يوفق للخير ، وإن

من شقاوة المرء ألا يزال يخطئ ويذل ، وإهانة للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه

وقال رضى الله عنه : ينبغي للعالم ألا يتولى شراء حوائجه من السوق بنفسه ، وإن كان يقع عليه في ذلك نقص في ماله ، فإن العامة لا يعرفون قدره أو نحو هذا

قال خالد بن خدّاش : ودعت مالكا فقلت : أوصنى يا أبا عبد الله قال : عليك بتقوى الله ، وطلب العلم من عند أهله

المذهب المالكي

قال المرحوم أحمد باشا تيمور في رسالته عن المذهب المالكي ما يأتي باختصار :

أما المذهب المالكي فهو منسوب الى إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي رضى الله عنه المولود سنة ٩٣ هجرية والمتوفى بالمدينة سنة ١٧٩ وهو ثاني الأربعة في القدم ، ويقال لأصحابه (أهل الحديث) وقد نشأ المذهب بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ثم انتشر في الحجاز وغلب عليه ، وعلى البصرة ومصر ، وما والاها من بلاد إفريقية ، والأندلس ، وصقلية ، والمغرب الأقصى ، الى بلاد السودان . وظهر ببغداد ظهوراً كثيراً ثم ضعف فيها بعد القرن الرابع

وأول من قدم به الى مصر على ماجاء في خطط المقریزی عبدالرحیم
ابن خالد بن یزید بن یحیی مولى جمح ، ثم نشره بها عبد الرحمن بن
القاسم ، واشتهر بها أكثر من مذهب أبی حنیفة لكثرة أصحاب مالک
فيها ، ولم يكن مذهب أبی حنیفة يعرف بمصر
والآن يتبع مذهب مالک فريق كبير من المصريين ، ويكاد يعم
الوجه القبلي (الصعيد)

ومن العجب أن تكون بلاد الصعيد محوطة بالمذهب المالکی من
كل ناحية وتبقى بلدة (فرشوط) شافعية المذهب الى يومنا هذا
كما قال فضيلة الاستاذ الشيخ التفتازانی

٣ - الإمام الشافعي رضي الله عنه

مولده - ولد الإمام الشافعي رضي الله عنه بغزة عسقلان (الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط بأرض فلسطين) سنة خمسين ومائة في شهر رجب

نسبه من جهة أبيه - هو محمد أبو عبد الله ، بن إدريس ، بن العباس ، بن عثمان ، بن شافع ، بن السائب ، بن عبد يزيد ، بن هاشم ابن عبد المطلب ، بن عبد مناف ، ويجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف (وهاشم الذي في أجداد الشافعي غير هاشم الذي في أجداد النبي صلى الله عليه وسلم) وقيل في نسبه :

« نسب كأنّ عليه من شمس الضحى

نوراً ومن خلق الصباح عموداً »

« مافيه إلا سيّد من سيّد

حاز المكارم والتقى والجودا »

نسبه من جهة أمه - أمه السيدة فاطمة بنت عبد الله ، بن الحسن ،

ابن حسين ، بن علي ، بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وقيل : ان السيدة فاطمة لما حملت به رأت في نومها كأن كوكب المشتري خرج من

بطنها وارتفع في الجو ، وسقطت منه أجزاء أصاب كل جزء منها بلداً
فأضاءه ، فقامت السيدة مذعورة من نومها ، وفي الصباح قصت رؤياها
على المعبرين ، فأخبروها بأنها ستضع ولدًا يملأ أطباق الأرض علماً
فلما وضعته في رجب من السنة المذكورة سمته (محمداً) وبعد الوضع
بأيام جاءت الأخبار من بغداد إلى (غزة) بأن الإمام أبا حنيفة النعمان
توفي ، وأنهم دفنوه (بالرصافة) في شرق بغداد ، ولما حسب أهل الشافعي
حسابهم ظهر لهم أن وفاته رضى الله تعالى عنه كانت في نفس اليوم الذي
وضعت فيه السيدة فاطمة ابنها محمداً فاتخذوا هذه الحادثة تاريخاً لميلاده
وفيه إشارة إلى أنه يخلفه في علمه

نشأته — لما كبر الشافعي وبلغ من العمر سنتين ، رأت أمه أنه
إذا ما بقى في (غزة) ضاعت نسبته من قريش ، فحملته إلى (مكة المكرمة)
ونزلت بحى هناك بجوار الحرم يقال له (شعب الحيف) وقد نشأ يتيماً فقيراً
يؤاسيه ذوو قرابته من قريش ، وحفظ القرآن وهو ابن تسع ، وأولع
بالشعر واللغة ، ورحل إلى البادية في طلبها ، ثم تققه في الدين ، وجالس
أهل العلم ، وفتح الله عليه من العلم ما لم يفتح على غيره ، حتى أفق وهو
ابن خمس عشرة سنة كما سيأتى ذكره

بشارة المصطفى ﷺ به

قد ورد ذلك في حديثين في كل منهما إشارة إليه :

الحديث الأول : حديث عالم قريش - ورد من حديث ابن مسعود
ومن حديث أبي هريرة، ومن حديث علي بن أبي طالب، ومن حديث
ابن عباس

أما حديث ابن مسعود فقد قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « لا تسبوا قريشاً فان عالمها يملأ الأرض علماً ، اللهم أذقت أولهم
عذاباً ، فأذق آخرهم نوالاً »

وأما حديث أبي هريرة فقد قال : ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : اللهم اهد قريشاً فان عالمها يملأ طبق الأرض علماً)
اللهم كما أذقتهم عذاباً فأذقهم نوالاً (دعا بها ثلاث مرات)

وأما حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقد قال : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« لا تؤموا قريشاً ، واثموا بها ، ولا تقدموا على قريش ، وقدموها ،
ولا تعلموا قريشاً ، وتعلموا منها ، فان أمانة الأمين من قريش تعدل
أمانة اثنين من غيرهم ، وأن علم عالم قريش يسع طباق الأرض »
وأما حديث ابن عباس فقد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«اللهم اهد قريشاً، فان علم العالم منهم يسع طباق الأرض، اللهم أذقت أولها نكالاً فأذقت آخرها نوالاً»

الحديث الثاني : وهو أن الله سبحانه وتعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها

عن أحمد بن حنبل يقول : يروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن الله يمنّ على أهل دينه في رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتي يبين لهم أمر دينهم ، وإنى نظرت في مائة سنة فإذا هو رجل من آل رسول الله ﷺ (وهو عمر بن عبد العزيز) وفي رأس المائة الثانية ، فإذا هو (محمد بن إدريس الشافعي)

وقال ابن عدى : سمعت محمد بن علي بن الحسين يقول : سمعت أصحابنا يقولون : كان في المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وفي الثانية محمد بن إدريس الشافعي

وقال الحاكم : سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول غير مرة : سمعت شيخاً من أهل العلم يقول لأبي العباس بن سريج : إ بشرأيها القاضي ، فإن الله منّ على المسلمين بعمر بن عبد العزيز على رأس المائة ، فأظهر كل سنةٍ ، وأمات كل بدعة ، ومنّ الله على رأس المائتين بالشافعي حتى أظهر السنة ، وأخفى البدعة ، ومنّ الله على رأس الثلاثمائة بك

طلبه للعلم والاجتهاد فيه

لما بلغ الشافعي رضى الله عنه تسع سنين ، وكان قد اتم حفظ القرآن كله ، رأى أنه لم تكن هناك فائدة من بقائه في الكتاب ، فانسلخ منه ، ودخل المسجد الحرام يجالس العلماء ، ويحفظ الحديث ، وعلوم القرآن ، وغيرها من مختلف العلوم في ذلك الزمان ، فقرأ القرآن على اسماعيل بن قسطنطين ، والحديث على سفيان بن عيينة ، ومسلم ابن خالد الزنجي وغيرها ، وكان لشدة فقره يجمع العظام ليكتب عليها مذكراته عن الدروس التي يتلقاها عن أساتذته ؛ وكان يذهب الى دواوين الحكومة ومصالحها ، ويلتقط قصاصات القراطيس من تحت أقدام الكتاب ليكتب على ظاهرها ، وفي المسافات الخالية فيها المذكرات المذكورة ويقول :

« العلم صيدٌ ، والكتابة قيده قيّد صيودك بالخيال الواثقة »

« فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها بين الخلائق طالقة »

ولم ير الشافعي في ذلك غضاضة ؛ بل بالعكس كان يعتقد أن من أهم أسباب الفلاح في العلم الفقر ، ولذلك كان يقول : ما أفلح في العلم إلا

من طلبه في القلة

كثرت القصاصات والعظام عند الشافعي ، وضاق بها صندوقه

وحجرته ، ولم يعد يجد مكاناً لـيستريح فيه في الحجرة ، أو ينام فيه ،
فصمم أن يحفظ ما جمعه في تلك القصاصات والعظام عن ظهر قلب ،
ويستغنى عنها ، وفعلاً حبس نفسه في الحجرة ، وأخذ يحفظ كل ما كتبه
فوق العظام والقصاصات بعزيمة صادقة لاتعرف الملل ، حتى أتم حفظها ،
واستغنى عنها وخرج من الحجرة وهو يقول :

« علمى معى حيثما يمت ينفعنى

صدرى وعاء له لا بطن صندوق »

« إن كنت في البيت كان العلم فيه معى

أو كنت في السوق كان العلم في السوق »

إن هذه العملية قوّت الحافظة عند الشافعى الى حد مذهش
جداً ، حيث بلغت به الدرجة أنه اذا فتح كتاباً ليحفظ فيه ، اجتهد
أن يغطى بطرف كمه الصحيفة اليسرى ، مخافة أن يقع نظره عليها
فيحفظها قبل أن يحفظ الصحيفة اليمنى

ولم يصل الشافعى الى هذا القدر من الذكاء المفرط ، والحفظ الخارق
للعادة ، والفهم السريع ، إلا بفضل قوة إيمانه ، وصدق يقينه ، وحسن
اعتقاده ، فهو يقول : انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه ، فقال له :
من أنت يا غلام ؟ فقال : أنا من رهطك يا رسول الله . فقال : ادن
منى ، فدنا منه ، فأخذ من ريقه ، وأمر على لسان الشافعى وفمه

وشفتيه ، وقال له : امض بارك الله فيك

قام الشافعي من نومه ، وهو يعتقد تمام الاعتقاد أنه إذا جرى له بالجبال صحفًا حفظها ، وكانت هذه الرؤيا مفتاح باب الفتوح على الشافعي ، حيث أصبح وله رغبة في تحصيل العلم إلى حد أنه كان إذا سُئِلَ عنه قال : أسمع الكلمة التي لا أعرفها فتود أعضائي أن يكون لكل واحد منها سمع يتنعم بسماع تلك الكلمة

وإذا قيل له : كيف حرصك عليه ؟ قال : حرص البخيل المجموع على المال

وإذا قيل له : كيف طلبك له ؟ قال : طلب المرأة التي ضلَّ ولدها وليس لها غيره

وكان يقول : ليس العلم ما حفظ ، وإنما العلم ما نفع

وكان الشافعي يقسم الليل ثلاثة أقسام : ثلث للعلم ، وثلث للصلاة ، وثلث للنوم

حفظه للقرآن - قال الربيع رحمه الله : كان الإمام الشافعي يختم القرآن في كل يوم مرة ، وفي رمضان يختم القرآن ستين مرة ، كل ذلك في الصلاة وكان جميل الصوت في القراءة جدًا ، حتى أن علماء مكة كانوا ، وهو في الثالثة عشرة من العمر ، إذا ما أرادوا البكاء من خشية الله تعالى جمع بعضهم بعضًا وقالوا : هيا بنا إلى ذلك الصبي المطالب ليسمعنا

القرآن فيكينا ، فإذا جاءوا وسمعوه ، رأيتهم يتساقطون بين يديه من كثرة البكاء ، ورأيت أعينهم تفيض من الدمع طرباً واستحساناً وخشوعاً وخضوعاً ، وكان إذا رأى منهم ذلك أمسك عن القراءة شفقة عليهم ورحمة بهم

وكان بالرغم من جمال صوته يقرأ القرآن قراءة الفاهم لمعناه ، الواقف على دقائق مغزاه

تبحره في الحديث والفقه واللغة والأدب - ولما بلغ من العمر الخامسة عشرة كان قد أتم علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب والشعر حتى أن الأصمعي نفسه ، وهو شيخ الشعراء ، كان يفتخر بأنه حضر أشعار الهذليين على الشافعي وهو في الخامسة عشرة ، وكان يجيد الشعر ، فهو وإن كان القائل :

« ولولا الشعر بالعلماء يُزرى لكنتُ اليوم أشعر من لبيد »
إلا أنه كان أشعر من لبيد حقيقة ، ولم يكن شعره قاصراً على التصوف والزهد أو المواعظ والحكم ؛ بل كان يقول في الغزل والحب والتعازي ، وله نظم كثير جمعه المرحوم محمد افندي مصطفى في رسالة خاصة سماها (الجواهر النفيس في أشعار الإمام محمد بن إدريس)

إجازته للفتوى - ولما رأى استاذَه الإمام مسلم بن خالد الزنجي أن الشافعي وصل إلى هذا الحد في العلوم أجازَه بالفتوى فكنـت

مدخل المسجد الحرام، فترى الشافعي وهو في الخامسة عشرة جالساً على كرسية يعلم الناس العلم ، ويفتيهم في أمور دينهم ، وكان يقول :
« كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وعلم الفقه والدين »
« العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذلك وسواس الشياطين »

رحلاته

كان رضى الله عنه يقول :
« ما في المقام لذي عقل وذى أدب
من راحة فدع الأوطان واغترب »
« سافر تجد عوضاً عن تفارقه
وانصب فان لذيد العيش في النصب »

رحلة الإمام الشافعي الى المدينة لطلب العلم

وحضوره درس الإمام مالك وحفظه للموطأ

استمر الشافعي في تحصيل العلم وتدريسه ببيت الله الحرام ، تحضر عليه العلماء والشعراء والأدباء ، كالأصمعي وغيره ، الى أن تجاوز العشرين من عمره بقليل ، حيث ظهر للناس وقتها كتاب الموطأ للإمام
(م - ٦ - رابع)

مالك ، واشتهر بينهم ، فاشتاق نفس الشافعي إلى رؤية الإمام مالك
رضي الله عنه بالمدينة المنورة والاستفادة من علمه ، فاستعار كتاب
الموطأ من رجل من أهل مكة وحفظه في زمن يسير كعادته ، ثم تقدم
إلى والي مكة ورجاه أن يكتب له جواب توصية لوالى المدينة كي
يقدمه للإمام مالك ، وفرط حب الوالى للشافعي كتب له جوابين ،
أحدهما لوالى المدينة ، والثاني للإمام مالك ، وسلمهما للشافعي

أخذ الشافعي الجوابين ، وعاد إلى البيت مسرعاً مسروراً ، ومن
شدة فرحه قرع الباب قرعة عنيفة فقالت أمه : من الطارق ؟ فقال :
أنا الشافعي . فقالت : أرجع وتعلم الأدب ، ثم عد ، هذا التعنيف من
أمه أثر في نفسه ، وأدرك أنه لم يتم تأديبه بعد ، فعزم على ألا يرجع
إليها إلا وقد كمل أدباً وعلماً ، ثم عاد لوقتة ولحق بركبه إلى المدينة ،
وتعرف بشيخه ، وكان من المتغالين في حب الإمام مالك

فلما رأى شيخ الركب شوق الشافعي إلى مالك فرح به ، وقدم له
أحسن بعير في قافلته ، وكان اسمه (الأبرق) وأخذ هو في الدرس حتى
ختم من مكة إلى المدينة ست عشرة ختمة ، بالليل ختمة ، وبالنهار
ختمة ، ودخل المدينة في اليوم الثامن بعد صلاة العصر ، فصلى في مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم دنا من القبر وسلم على صاحبه عليه الصلاة
والسلام ، وبعد ذلك ذهب إلى والى المدينة ودفع إليه الجوابين ،

ففتح الوالى الجواب الخاص به وقرأه ، ثم نظر الى الشافعى وقال له :
« والله يا بنىَّ لو أن والى مكة طلب إلىَّ السعى من جوف المدينة
إلى جوف مكة ماشياً حافياً لكان أهون علىَّ من الذهاب الى بيت
الإمام مالك »

فقال الشافعى : يمكنك أن تحضره إلى هنا ، فقال الوالى : هيات !
لينا إذا ركبنا اليه ووقفنا على بابه يفتح لنا الباب ، ولكن هيا بنا
على بركة الله

ركب الوالى وأخذ الشافعى معه إلى أن وصلا إلى دار مالك ، فتقدم
رجل وقرع الباب ، فخرجت جارية سوداء ، فقال لها الوالى : قولى
لمولائك إننى بالباب ، فدخلت الجارية وأبطأت ، ثم خرجت تقول : إن
مولاي يقول لك : إن كانت لك مسألة فارفعها فى رقعة حتى يخرج
لك الجواب عليها ، وإن كان الجبىء لشيء آخر فقد عرفت يوم المجلس
فانصرف اليه . فقال لها الوالى : قولى لمولائك إن معى كتاباً له من والى
مكة فى مهمة خاصة به

فدخلت الجارية ، ثم خرجت وفى يدها كرسى ، وبعد ذلك خرج
مالك ، فاذا هو شيخ طويل القامة ، أشقر اللون ، عليه المهابة والوقار ،
ومتطليس ، فدفع الوالى الكتاب اليه

فما بلغ إلى قوله : إن محمد بن ادريس رجل شريف ، من أمره

ومن حاله كذا وكذا ، رمى مالك الكتاب من يده وقال : ياسبحان الله صار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يطلب بالوسائل « أى بالوسائط والتوصيات »

فتقدم الشافعى اليه وقال : أصلحك الله تعالى إني رجل مطبى ، ومن حالى ومن قصتى كذا وكذا ، فلما سمع مالك كلامه عطف عليه ونظر اليه ساعة ، وكان لمالك فراسة فسأله : ما اسمك ؟ قال : محمد قال له : يا محمد اتق الله ، واجتنب المعاصى ، إني أرى فى قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية ، فانه سيكون لك شأن فى الناس

فقال الشافعى : نعم وكرامة . قال مالك : اذا كان الغد فتجئ لنقرأ لك الموطأ

فقال الشافعى : إني أقرؤه يامولاي حفظاً . قال مالك اقرأ . فأخذ الشافعى يقرأ ومالك يسمع له ، وكلما خاف الشافعى على مالك من الملالة سكت ، فيقول له : زد يافتى فاني أستحسن قراءتك

وهكذا استمر الشافعى على الحضور إلى بيت الإمام مالك ، فى كل يوم يقرأ عليه الموطأ ، ومالك يسمعه له ، حتى قرأ عليه الموطأ كله فى أيام يسيرة

وبعد ذلك رأى الشافعى أن يحضر مجلس الإمام مالك فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم للسمع منه ، فراه داخلاً من باب المسجد

« الواقع بالوجهة الشرقية » مؤتزراً ببردة ، متشحاً بأخرى ، متطيباً
مغتسلاً ، مسرحاً لحيته ، وكانت هذه عادته عند قراءة حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم

فقام له مَنْ في المسجد ، وقد هابه الشافعي مهابة عظيمة ، وجلس
حيث انتهى به المجلس بعد ما جلس مالك والحاضرون

ثم بدأ مالك في قراءة الحديث ، والشافعي يكتب بريقه على يده
ما يسمعه ، حتى فهم وحفظ كل ما حدث به ، فتعجب مالك من ذلك
وأقام الشافعي ضيفاً عند مالك ثمانية أشهر ، يلازمه في البيت وفي
المسجد ، ويقدم له مالك الطعام والماء بيده ، ويأخذه في صحبته الى
المسجد ، وبعد ما يقرأ مالك على الناس الموطأ يعطيه للشافعي ليمليه
عليهم ، وهم يكتبونه ، فازداد بذلك الشافعي حفظاً للموطأ وفهماً له
وعرفته الناس

شهادة الإمام مالك بسعة علمه

كان الإمام مالك رضي الله عنه يثنى على فهم الشافعي وحفظه ،
وشهد له بسعة علمه ، ووصله بهدية لما رَحَلَ عنه

وكان الشافعي يقول : مالك معلمي وأستاذي ، منه تعلمنا ، وما أحد
آمن علىَّ من مالك ، وقد جعلت مالكا حجة بيني وبين الله

وكان المصريون من عاداتهم ، بعد قضاء الحج في مكة ، أن يحضروا الى المدينة المنورة للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستماع الموطأ من مالك ، وكان الشافعي يمليه عليهم ، ومن ذلك الحين عرف المصريون الشافعي ، ومالت قلوبهم اليه ، واهتموا بالوقوف على أخباره ، وكان فيمن أملى عليهم الموطأ في المدينة من المصريين (عبد الله بن الحكم ، وأشب ، وابن القاسم ، والليث بن سعد) حتى ان الشافعي لما قدم على مصر كان عبد الله بن عبد الحكم أعظم نصيراً له ، وكان أهل العراق كالمصريين حينما يقدمون الى المدينة بعد أداء فريضة الحج لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ولسماع الموطأ كان الشافعي يملئ عليهم الموطأ كغيرهم

رحلته الى العراق

لما سمع الشافعي من بعضهم أخبار علماء العراق ، كأبي يوسف ، ومحمد بن الحسن ، صاحبي الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه اشتاق إلى السفر معهم الى العراق للاجتماع بأولئك العلماء وأمثالهم ، فدخل على الإمام مالك وقال له : خرجت من مكة في طلب العلم ولم أستأذن والدتي ، فهل أعود اليها أو أرحل في طلب العلم ؟ فقال له مالك : يا بني العلم فائدة يرجع منها إلى فائدة ، ألم تعلم أن الملائكة تضع أجنحتها

لطالب العلم رضاء بما يطلبه ؟

فقال الشافعي : أريد السفر الى العراق ، فزوّده مالك بست وأربعين ديناراً ، واكترى له راحلة الى الكوفة بأربعة دنانير ، وخرج يودعه إلى البقيع ، وهناك سأله الشافعي من أين لك هذا المال يا مولاي ؟

فقال مالك : ان ابن القاسم المصري أعطانى مئة دينار اقتسمتها بيني وبينك

وبعد أربعة وعشرين يوماً من المدينة وصل ركب الحاج الى الكوفة فقصد الشافعي على بن أبي طالب كرم الله وجهه في ظاهر الكوفة وصلى العصر

وبينا هو في المسجد إذ رأى غلاماً يصلي فلم تعجبه صلاته فنصحه ، فلم يقبل الغلام ، وقال : أنا أصلي هكذا خمس عشرة سنة بين يدي أبي يوسف وابن الحسن صاحبي أبي حنيفة فما عابا على شيء وأنت تعيبها ، ونهض خارجاً غضبان

وصادف أنه وجد لدى باب المسجد الإمام أبا يوسف ومحمد بن الحسن ، فسألها الغلام عما اذا كان في صلاته عيب ؟ فقالا : اللهم لا . فقال الغلام : إن في المسجد رجلاً عابها ، فقال له ابن الحسن اذهب اليه وقل له : بيم تدخل الصلاة ؟ فذهب الغلام الى الشافعي وسأله هذا

السؤال فجأوبه الشافعى : إني أدخل الصلاة بفرضين وسنة . فقال له ابن الحسن إرجع اليه واسأله عن الفرض والسنة ، فقال له الشافعى : أما الفرضان فهما النية وتكبيرة الإحرام ، وأما السنة فهي رفع اليدين . فعاد الغلام إلى الشيخين وأخبرهما بالجواب ، فعرفا أن هذا قول من نظر في العلوم ، فدخلوا المسجد ، فقام لهما الشافعى إجلالاً وتعظيماً ، وأظهر البشاشة لهما ، وجلس بين يديهما ، فسأله محمد بن الحسن عن نسبه وبلده فأخبره عنهما ، ثم سأله عما إذا كان رأى الإمام مالكا ، فقال : من عنده أتيت . فقال : هل نظرت في الموطأ ؟ قال حفظته عن ظهر قلب

فعظم ذلك على محمد بن الحسن وأخذ يسأله عدة أسئلة في الطهارة والزكاة والبيع وغيرها والشافعى يجابوب عليها أحسن إجابة فازداد إعجابه به ، وأخذته الى داره وأباح له أن ينسخ من مكتبته ما شاء من كتبه

وأقام الشافعى مدة في الكوفة ضيفاً على محمد بن الحسن نسخ في خلالها كثيراً من الكتب ، ولما أتم غرضه أراد السياحة في بلاد فارس وما حولها من بلاد الأعاجم ، والطواف بالعراق ، فعرض ذلك على محمد بن الحسن فوافق عليه وأعطاه ثلاثة آلاف ليستعين بها في سياحته

رحلته الى بلاد فارس وغيرها

أخذ الشافعي المال وساح في بلاد فارس وماحولها من بلاد الأعاجم
ثم سافر الى (ديار ربيعة ومضر) ومنها رحل الى بلاد شمال العراق ،
حتى وصل الى جنوب بلاد الروم ، وهي الأناضول الآن ، وعرج على
(حران) وأقام فيها زمناً ، ثم سافر منها الى فلسطين وأقام في الرملة
في جنوب بيت المقدس

وقد استغرقت هذه السياحة حولين كاملين من سنة ١٧٢ هـ الى
سنة ١٧٤ هـ ازداد الشافعي فيهما علماً بما حفظه من العلماء بأمور العباد
وأخلاقهم وعاداتهم ولغاتهم وتعرف بكثير ممن أملى عليهم الموطأ وهو
في المدينة فكانوا خير معين له في هذه البعثة

عودته الى المدينة

وبينا هو في الرملة إذا بركب المدينة قد جاء من الحجاز ، فسألهم
الشافعي عن الإمام مالك ، فقالوا أنه بخير ، واتسعت أرزاقه ، فاشتاق
الشافعي الى السفر الى المدينة لرؤيته ، فاشترى راحلة وسافر عليها الى
المدينة المنورة ، فوصلها بعد ٢٧ سبعة وعشرين يوماً ، ودخلها ساعة
العصر حوالي سنة ١٧٤ هـ وقصد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فسلم

على صاحبه ، وصلى العصر ، وحضر درس الإمام مالك ، الذى لما علم بوجوده استدعاه وضمه الى صدره ، ونزل عن كرسيه ، وقال له :
أتمم أنت الدرس يا شافعى ، وبعد ما أتم الشافعى الدرس أخذه مالك الى بيته

ولم يمض على الشافعى زمن طويل بعد عودته الى المدينة حتى جاءت الأخبار من مصر بوفاة (الإمام الليث بن سعد) فى نصف شعبان سنة ١٧٥ هـ ، وأنهم دفنوه فى القرافة الصغرى ، فحزن لوفاته مالك والشافعى ، وسأى الكلام عليه

وأقام الشافعى بعد ذلك فى المدينة المنورة أربع سنوات وأشهرًا ملحوظًا بعين الإمام مالك الى أن توفى الإمام مالك فى شهر ربيع سنة ١٧٩ ، ودفن بالبقيع فى ظاهر المدينة ، ووجدت عليه أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجدًا عظيمًا كما مر ذكره

رحلته الى اليمن وزواجه

مات مالك ، وبقي الشافعى ، ولا معين له فى المدينة إلا الله تعالى ، وكان عمره وقتئذ ٢٩ سنة تقريبًا ، وصادف أن جاء الى اليمن الى المدينة ، فكلمه جماعة من قریش فى موضوع الشافعى ، فأخذه الى كاتبًا له

ولما عاد إلى (صنعاء) قلده عملاً مستقلاً أحسن الشافعي إدارته
وأثنى عليه الناس وأحبه الوالي

وقد تزوج الشافعي في هذه الأثناء من السيدة (حميدة) بنت
نافع (حفيدة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه) ورزق منها ابنه
(أبا عثمان محمداً) وابنتيه (فاطمة وزينب) وقد ارتقى أبو عثمان
محمد في المناصب حتى كان قاضياً لمدينة حلب

حسن معاشرته لزوجته

وكان الشافعي رضي الله عنه رقيق المعاشرة مع زوجته ، حتى بلغت
به الدرجة من الرقة أن كنى ابنه منها باسم جدها سيدنا عثمان بن عفان
رضي الله عنه فكناه (بأبي عثمان محمد) ولم يكنه بأبي إدريس
أو الشافعي

وكان مثلاً أعلى للحياة الزوجية الصريحة ، حيث كان يوصي
زوجته ألا تعارضه في القول عند سورة غضبه، مخافة أن يحوثر هذه
المعارضة ما في قلبه من المحبة لها فيقول :

« خذني العفو مني واستدعي مودتي »

ولا تنطقي في سورتي حين أغضب »

« فاني وجدت الحب في القلب والأذى

إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب »

وأقام الشافعي في اليمن على عمله، يحكم بين الناس بالعدل، ملازماً
الإمام يحيى بن حسان صاحب الإمام الليث بن سعد، غير منقطع عن
طلب العلم وتدريسه لحظة، ولم يدع الفرص تقوته مدة وجوده في
هذه البلاد، بل تعلم فيها علوم الفراسة، وهي علوم خاصة ببلاد اليمن
وقتها وقد تفوق فيها

حقد حساده عليه ووشايتهم به عند الرشيد

ثم ان تقدم الشافعي في اليمن، ومكانته عند والي والناس، وعلو
قدره في العلوم والمعارف، سواء أكانت فقهية، أو رياضية، أو فلسفية،
أو طبية، أو فلكية الخ. كان سبباً في حقد صدور الحاسدين عليه،
فوشوا في حقه للخليفة هارون الرشيد وهو في بغداد، واتهموه بأنه
رئيس حزب العلويين في اليمن، وأنه يدعو إلى عبد الله بن الحسين،
فأرسل الخليفة أحد قواده إلى اليمن، فبعث له ذلك القائد بكتاب
يخوفه من العلويين، ويدكر له فيه الشافعي، ويقول عنه: انه يعمل
بلسانه، ما لا يقدر المقاتل عليه بحسامه وسنانه، وإن أردت يأمر المؤمنين
أن تبقى الحجاز عليك، فاحملهم اليك، فبعث الرشيد إلى والي اليمن
يأمره بأن يحمل العلويين إلى بغداد ومعهم الشافعي مكبلاً بالحديد

حادثته مع الرشيد

اعتقل العلويون وفي جملتهم الشافعي . ووضع في رجليه الحديد تنفيذاً لأوامر الخليفة ، وأرسلوا الى بغداد ، فدخلوها في غسق الليل ، وأحضروا بين يدي هارون الرشيد ليلاً ، وكان جالساً من وراء ستار ، وكانوا يقدمون اليه واحداً واحداً ، وكل من تقدم منهم قطع رأسه كل ذلك والشافعي بالباب يدعو ربه بدعائه المشهور عنه وهو :

« اللهم يا لطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير »

ولما جاء دوره حملوه الى الخليفة ، وهو متقل بالحديد ، فرمى من بحضرة الخليفة بأبصارهم اليه

فقال الشافعي : السلام عليك يا أمير المؤمنين وبركاته ، ولم يقل ورحمة الله

فقال الرشيد : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، بدأت بسنة لم تؤمر باقامتها ، ورددنا عليك فريضة قامت بذاتها ، ومن العجب أن تتكلم في مجلسي بغير أمرى

فقال الشافعي : إن الله تعالى قال في كتابه العزيز :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أُسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ

الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيْبَدِّلَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴿١٠٠﴾

وهو الذي إذا وعد وفى ، فقد ممكنك فى أرضه ، وأمنتى بعد
خوفى ، حيث رددت على السلام بقولك (وعليك رحمة الله) فقد
شملتني رحمة الله بفضلك يا أمير المؤمنين

فقال الرشيد : وما عذرک من بعد ماظهر أن صاحبك يريد عبدالله
ابن الحسن ، طغى علينا وبغى ، وأتبعه الأردلون ، وكنت أنت
الرئيس عليهم ؟

فقال الشافعى : أما وقد استنطقتنى يا أمير المؤمنين فسأتكلم على
العدل والانصاف ؛ لكن الكلام مع ثقل الحديد صعب ، فان جدت
على بفكه عن قدمى ، جثيت على ركبتى ، كسيرة آبائى عند آبائك ،
وأفصحت عن نفسى ، وإن كانت الأخرى ، فميدك العليا ، ويدي
السفلى ، والله غنى حميد

فالتفت الرشيد إلى غلامه (سراج) وقال له : خلّ عنه يا سراج
فأخذ سراج مافى قدميه من الحديد ، فجثا الشافعى على ركبتيه وقال :
قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾

حاشا لله أن أكون ذلك الرجل ، لقد أفك المبلغ فيما أبلغك به

يأمر المؤمنين ، إن لى حرمة الإسلام ، وذمة النسب ، وكفى بهما
وسيلة ، وأنت أحق من أخذ بأدب كتاب الله تعالى ، أنت ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذاب عن دينه ، المحامى عن ملته ،
قتله وجه الرشيد ، ثم قال : ليفرخ روعك (ليزول فزعك) فانا نراعى
حق قرابتك وعلمك ، ثم أمره بالعود فقدم ، وأخذ الرشيد يسأله
أسئلة فى علوم القرآن ، وهو يجاوبه بما أدهشه ، والحاضرين ، وسره
سروراً عظيماً ، ثم قال له : عِظْنِي يَا شَافِعِي

فأخذ الشافعى يعظ الرشيد وعظاً تصعدت له القلوب التى فى
الصدر ، حتى بكى الرشيد بكاءً شديداً ، فهاج الحاضرون ، فنظر
إليهم الشافعى غضباً واستمر فى وعظه

ولما أفاق الرشيد من بكائه قال : أمرنا لك بصلة ألفى دينار ؛
فنهض الشافعى وقال : كلاً والله يأمر المؤمنين ، لا يرانى الله عز وجل ،
وقد سودت وجه موعظتى بقبول الجزاء عنها ، ثم استأذن فى الانصراف
فأذن له وخرج

لم يكن الشافعى بالرجل البسيط ، وإنما هو يدرى مقدار مسئولية
الاعتذار عن عدم قبول صلة الخليفة

فبعد أيام قليلة طلب الإذن فى مقابلة الرشيد ، فأذن له . وفى هذه
المرّة أمر له الرشيد بألف دينار ، فقبلها الشافعى ، ودعا لأمر المؤمنين

فضحك الرشيد وقال : ما أفطنتك ، قاتل الله عدوك
ولما خرج الشافعي أمر الرشيد غلامه سراجا باتباعه حتى يرى ماذا
يفعل بالمال ، فجعل الشافعي يفرق ذلك المال قبضة قبضة على رجال
حاشية القصر ، حتى انتهى الى خارج القصر ومعه إلا قبضة واحدة ،
فدفعها إلى سراج وقال له : انتفع بها . فرجع سراج الى الرشيد وأخبره
بما رأى . فقال الرشيد : ألا إن بنى المطلب ما فارقوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم في شرف ولا في سخاء

حضوره مجلس العلماء ببغداد ومناظرته لهم

وأقام الشافعي في بغداد يجالس علماءها ، ويحضر عليهم ، كالأمام
وكيع بن الجراح ، وأبي أسامة وغيرهما ، ويصنف التصانيف ، وأتم
فيها وضع كتابه القديم ، وأقبلت عليه الناس ، وأصبحت حلقاته أكبر
الحلقات ، فأوغر ذلك صدور بعض علماء العراق ، وبخاصة قلوب
المقربين منهم إلى الخليفة ، فاتفقوا فيما بينهم أن يضعوا عدة مسائل على
شكل الألغاز التي توضع لمقياس قوة الذكاء عند الناس ، ثم يطرحونها
على الشافعي أمام الخليفة في مجلس المناظرة ليعجزوه . وكان الرشيد
يحضر هذا المجلس للفكاهة والعلم

وبعد أن طرحوا عليه الأسئلة ، وأجاب عليها الشافعي أجوبة
سديدة ، تبسم الرشيد وقال : « أ كثر الله في أهلي مثلك » وأمر له
بألفي دينار ، فتسلمها الشافعي وفرقها على خدام القصر وحاشيته كعادته
رضي الله عنه

امتناعه عن تولية القضاء

على أثر هذه المناظرة أراد الرشيد أن يولي الشافعي قضاء اليمن ،
فقال الشافعي :

أطال الله عمر أمير المؤمنين ، لاحتاجة لي في ذلك ؛ ولكن حاجتي
أن يكون لي نصيب من سهم ذوى القربى في مصر إن سمحت مكارمه
فقال الرشيد : هو كذلك إن شاء الله

مكانة الشافعي

ومن ذلك الحين أخذت مكانة الشافعي تزداد لدى الخليفة ،
وأصبح في بغداد موضع إكرام أمرائها وعلماؤها وساداتها طول مدة
إقامته فيها ، حتى بلغت الدرجة من احترامه أن مرض الإمام أحمد
ابن حنبل (ولا يجهل أحد من هو أحمد بن حنبل وما هي مرتبته عند
م - ٧ رابع)

أهل بغداد (فعاده الشافعي في بيته ، فنزل ابن حنبل من سريره ، وأجلس الشافعي مكانه ، وجلس هو على الأرض يُسأله ساعة ولما أراد الشافعي الانصراف أركبه ابن حنبل دابته ، ومشى تحت ركابه ، وهو مريض مخترقاً شوارع بغداد وأسواقها حتى أوصله الى بيته

إن هذه العظمة التي نالها الشافعي من علماء بغداد وعظماؤها ، لم تكن لثني عزمه عن ديمقراطيته ومخالطة الجمهور ، والوقوف على عباداتهم ومعاملاتهم ، حتى إذا رأى في شيء منها نقصاً أو عيباً ألف التأليف ، وصنف التصانيف ، حتى أن الإمام أبا يوسف نفسه قال له :
« أنت أولى من يصنف في هذا الزمان يا شافعي »

وقد ألف كتاباً في أربعين مجلداً وسمّاه (الزعفران) وعرف هذا الكتاب بالحجة وهو أحد الكتب القديمة التي وضعها الشافعي بالعراق

عودته الى مكة

بعد ذلك رأى الشافعي أن يرجع الى مكة ، فسافر إليها حوال سنة ١٨١ هـ وضرب خبائه في ظاهرها ، فخرجت اليه أهل مكة للسلام عليه ، فقسم بينهم ما جاء به من العراق من ذهب وفضة ، عملاً بوصية أمه له كلما جاء الى مكة . وهكذا دخل الشافعي مكة فارغاً كما خرج منها

فارعًا ، وأقام في مكة سبع عشرة سنة يعلم الناس العلم ، وينشر مذهبه بين الحجاج وهم ينقلونه عنه الى بلادهم وفي خلال السبع عشرة سنة هذه مات الإمام أبو يوسف في سنة ١٨٢ هـ ، ومات بعده بست سنوات الإمام محمد بن الحسن سنة ١٨٨ هـ ومات بعده بخمس سنوات الخليفة هارون الرشيد سنة ١٩٣ هـ وقيل بعده بخمس سنوات ابنه الأمين سنة ١٩٨ هـ ، وانفرد بالخلافة الخليفة المأمون في هذه السنة واشتهر عنه حبه للعلويين وعطفه عليهم

عودته الى بغداد

ف رأى الشافعي أن يعود الى بغداد ، فعاد اليها في تلك السنة ، وهي سنة ١٩٨ هـ وأقام فيها شهراً واحداً ، وكان يلقي دروسه في جامعها الغربي ، وكانت حلقات العلماء في هذا الجامع تربو على العشرين حلقة ، فأصبحت ثلاثاً فقط ، وانضم الباقون إلى حلقة الإمام الشافعي

سفره الى مصر

وصادف أن غضب المأمون على عامله في مصر ، وكان المطلب بن عبد الله ، فأمر بعزله وتولية العباس بن موسى مكانه ، وهو أحد رجال بني العباس ، فرأى الشافعي السفر من بغداد الى مصر مع العباس بن موسى

فخرج أهل بغداد لوداعه ، وفي مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل
فمسك الشافعي بيد ابن حنبل ساعة الوداع وقال :
« لقد أصبحت نفسي تتوق الى مصر »

ومن دونها أرض المهامة والقفر »

« فوالله لا أدري ألغز والغني

أساق اليها أم أساق إلى القبر ؟ »

وكان الشافعي أحسَّ بأنه سيموت في مصر ، وأن قبره سيكون في
مصر فبكى ، وبكى لفراقه ابن حنبل والمودعون ، وعاد ابن حنبل وهو
يقول لأهل العراق : لقد كان الفقه قفلاً ففتحه الله بالشافعي

ورافق الشافعي في رحلته هذه الى مصر الربيع بن سليمان المروى

وعبد الله بن الزبير الحميدى وغيرهما

وفي ٢٨ شوال سنة ١٩٨ دخل الشافعي مصر مع العباس بن موسى
الذى أراد أن ينزله في داره فاعتذر ونزل عند أهله من بنى أزد ، كما
فعل النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة المنورة ونزل عند أخواله
من بنى النجار

وفي الصباح دخل على الشافعي عبد الله بن الحكم ، وكان من كبار
علماء مصر وأعيانها ، ومن أملى عليهم الشافعي الموطأ في المدينة . فراه

مخضباً شعره بالحمرة ، طويل القامة ، جهورى الصوت ، كلامه حجة فى اللغة ، عليه دلائل الشجاعة والفراسة ، قليل لحم الوجه ، مستطيل الخدين ، طويل العنق ، طويل عظم العضد والساعد والفخذ والساق ، ورأى فى يده اليسرى خاتماً منقوشاً عليه : « وكفى بالله ثقة لمحمد بن إدريس » فسلم عليه ، فرد عليه الشافعى السلام ، ثم وضع عبد الله بن عبد الحكم بين يدى الشافعى أربعة آلاف دينار ، منها ألف من عنده وثلاثة آلاف من عند أعيان مصر وتجارها ، فشكر له الشافعى جميله وإكرام المصريين له

القاء دروسه فى جامع عمرو

وابتداً الشافعى رضى الله عنه فى القاء دروسه بجامع عمرو بن العاص من بعد صلاة الصبح إلى الظهر ، ثم يأخذ عصاه وينصرف إلى داره ومعه بعض تلاميذه (كالزنى والربيع الجيزى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم) ويقول : الدنيا دار سفر ، ولا بد للمسافر من العصا وهو أول من سن سنة العمل فى مصر الى الظهر ، وكان يعمل فى المسجد ثمانى ساعات ، أى من الساعة الرابعة صباحاً الى الثانية عشرة ، وكان يطلق لتلاميذه الحرية فى التفكير فى أدلة المسائل وبراهينها ،

ويقول لهم : إذا ذكرت لكم دليلاً أو برهاناً لم تقبله عقولكم فلا تقبلوه ؛ لأن العقل مضطر لقبول الحق

وكانت العلماء تسمع منه في الجامع ، وعلى باب داره ، إلا محمد بن عبد الحكم ، فانه كان يصعد إلى أعلى الدار ، وربما تغدى مع الشافعي ، وإذا نزل أركبه دابته وأتبعه بصره حتى يغيب ، فإذا غاب كان يقول : « وَدِدْتُ لو أَن لِي وَلِداً مثله ، وعلى ألف دينار لا أجدها وفاء »

وكانت العلماء تحضر على الشافعي رجالاً ونساءً كنظام جامعات أوروبا الآن ، ولم يكن هناك حرج من هذا النظام اذ ذاك ، لوجود العفة والحياء بين الرجال والنساء

مَنْ نَبَغَ مِنَ الْمَصْرِيِّينَ وَالْمَصْرِيَّاتِ عَلَى يَدَيْهِ

ونبغ على الشافعي كثير من المصريين والمصريات ، فمن الرجال : الربيع الجيزي ، وحرملة ، والمزني ، والبويطي ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وغيرهم ، وكلهم صاروا أئمة في الدين أساتذة في الأدب ومن النساء كثيرات كذلك ، كالسيدة أخت المزني التي أخذ عنها العلماء ودرج اسمها في جدول كبار فقهاء الشافعية رضي الله عنها

وكان الربيع الجيزي أكثر الناس ملازمة للإمام الشافعي رضي الله عنه ، وقد سمي باسمه شارع في الجيزة ، وقبر الربيع لم يزل موجوداً

الى وقتنا هذا فى داخل شونة من شون الغلال التى على النيل فى
جنوب بندر الجيزة

تأليف الشافعى

وضع الشافعى فى مصر كتبه الجديدة ، وكانت نحو عشرين مجلداً :
منها كتابه الجديد ، وكان يدرس فيه مذهبه بمسجد سيدنا عمرو بن
العاص رضى الله عنه . و « كتاب الأم » وقد طبعه المرحوم أحمد بك
الحسينى « وهو من أجل الكتب فى أصول الفقه جمع بين حجة المأخذ
وبين متانة العبارة ، فهو الأم الولود حقيقة لكل حقيقة فى علم الفقه ومعرفته
الأحكام » والاملاء الصغير ، والأمالى الكبير ، ومختصر الربيع ،
ومختصر المزنى ، ومختصر البويطى وكتاب الرسالة ، وكتاب الجزية
وغيرها من كتب التفسير والأدب

ووضع وهو فى مصر علم أصول الفقه ، وهو أول من وضع هذا العلم

مناقبه

١ - زهده - كان رضى الله عنه زاهداً فى دنياه ، مقتصداً فى لبسه ،
يلبس الثياب الرفيعة من الكتان والقطن البغدادى ، وكان ربما يلبس
قلنسوة ليست مشرفة جداً ، ويلبس العمامة والخف

وكان يعيش وهو في مصر على ما كان مرتباً له من جهة السيدة نفيسة رضي الله عنها ، وعلى ما كانت ترسله اليه السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد من بغداد من نقود وثياب وشي ، وكان يقسمها كلها بين الناس كمعادته

٢ - ورعه - مما يدل على ورعه رضي الله عنه أن عبد القاهر بن عبد العزيز ، وكان رجلاً صالحاً ورعاً سأل الشافعي عن مسائل في الورع والشافعي يقبل عليه لورعه

فقال للشافعي : أيما أفضل ؟ الصَّبرُ أو المحبة أو التمكين ؟
فقال الشافعي رضي الله : التمكين درجة الأنبياء ، ولا يكون التمكين إلا بعد المحبة فإذا امتحن وصبر مكن ، ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكاً ، والتمكين أفضل الدرجات . وكان يقول رضي الله عنه في الورع :

« المرء إن كان عاقلاً ورعاً أشغله عن عيوب غيره ورعه »

« كما العليل السقيم أشغله عن وجع الناس كلهم وجمعه »

٣ - تقواه وخوفه من الله تعالى - كان رضي الله عنه تقياً يخاف

الله فلا يرتكب خطيئة ، ولا يقع في منكر ، وقيل : انه قرأ بعضهم عنده يوما قوله تعالى :

﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾

فتغير لونه ، واقشعر جلده ، واضطربت مفاصله ، وخرّ مغشياً عليه فلما أفاق قال : أعوذ بك من مقام الكاذبين ، واعراض الغافلين ، اللهم لك خضعت قلوب العارفين ، وذلت هيبة المشتاقين ، إلهي هب لي جودك وجلّلي بسترک ، واعف عني في تقصيري بكرمك فاذا كان هذا خوف الشافعي من الله مع علمه به فكيف حالك أيها الانسان مع جهلك بجميل صفاته ؟

ويل للجاهلين الغافلين ! وويل ثم ويل للقاسية قلوبهم وقال عبد الله بن محمد البكري : كنت مع الإمام الشافعي رضى الله عنه بشط بغداد فرأى شاباً يتوضأ فقال له : يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله اليك في الدنيا والآخرة ، ثم مضى

فأسرع الشاب في وضوئه ثم لحق بالإمام الشافعي ولم يعرفه فالتفت اليه الإمام وقال له : هل لك من حاجة ؟ قال : نعم ، فعلمني مما علمك الله فقال له : اعلم أن من عرف الله نجا ، ومن أشفق على دينه سلم من الردى ، ومن زهد في الدنيا قرّت عيناه بما يراه من ثواب الله غداً ، أفلا أزيدك ؟ قال : بلى . قال : من كانت فيه ثلاث خصال فقد

استكمل الايمان : من أمر بالمعروف وأتمر به ، ونهى عن المنكر وانتهى عنه ، وحافظ على حدود الله تعالى ، ألا أزيدك ؟ قال : بلى . قال : كن في الدنيا زاهداً ، وفي الآخرة راغباً ، واصلق الله في جميع أمورك تنج به غداً مع الناجين ، ثم مضى

فسأل الشاب عنه ، فقيل له : هذا الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وكان يقول : وددت لو أن الناس انتفعوا بهذا العلم ولم ينسب إلى منه شيء

وقال أيضاً رضي الله عنه : ما نظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ، ويكون عليه رعاية من الله عز وجل ، وما كنت أحداً قط إلا لا أبالي أن يبين الله تعالى الحق على لساني أو على لسانه وقال أيضاً : ما أوردت الحق والحجة على أحد قبلها مني إلا هبته واعتقدت مودته ، ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته

مثال من تقواه وتوحيده لله - روى سويد بن سعيد رحمه الله قال : كان الشافعي رضي الله عنه جالساً بعد صلاة الصبح في المسجد النبوي إذ دخل عليه رجل فقال له : إني أخاف من ذنوبي أن أقدم على ربي وليس لي عمل غير التوحيد

فقال له الإمام الشافعي رضي الله عنه : يامؤمن لو أراد الله عز وجل

أَنْ يُؤْيِسَكَ (يُحِلْ بِكَ الْيَأْسَ) مِنْ الْمَسَاحَةِ لَدَيْهِ ، لِمَا أَحَالَكَ فِي
مَغْفَرَةِ الذُّنُوبِ عَلَيْهِ ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

وَلَوْ أَرَادَ عِقُوبَتَكَ فِي جَهَنَّمَ وَتَحْلِيلِكَ فِي النَّارِ لِمَا أَهْلَمَكَ مَعْرِفَتَكَ بِهِ
وَتَوْحِيدِكَ إِيَّاهُ ، ثُمَّ أَنْشَدَ فَقَالَ :

« إِنْ كُنْتَ تَعْدُو فِي الذُّنُوبِ جَلِيدًا

وَتَخَافُ فِي يَوْمِ الْمَعَادِ وَعِيدًا »

« فَلَقَدْ أَتَاكَ مِنَ الْمُهَيِّمِينَ عَفْوُهُ

وَأَبَاحَ مِنْ نَعَمِ إِلَيْكَ مَزِيدًا »

« لَا تَيَاسُنْ مِنْ لَاطِفِ بَكَ فِي الْحَشَا

فِي بَطْنِ أُمِّكَ مَضْغَةً وَوَلِيدًا »

« لَوْ شَاءَ أَنْ تَصِلَى جَهَنَّمَ خَالِدًا

مَا كَانَ أَهْلُ قَلْبِكَ التَّوْحِيدَا »

فَبَكَى الرَّجُلُ ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْعِبَادَةِ ، وَفَرَحَ بِكَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مِثَالُ مَنْ أَدْعَيْتَهُ - رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ قَالَ : كُنْتُ أَجْلِسُ فِي

حَلْقَةِ الْعِلْمِ عِنْدَ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَكْتُبُ مَا أَفْهَمُهُ ،

فَجِئْتُهُ سَحَرًا فَوَجَدْتُهُ فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ قَائِمٌ يَصِلُ ؛ فَجَلَسْتُ حَتَّى فَرَغَ مِنْ

صَلَاتِهِ ، ثُمَّ دَعَا بِدُعَاوَاتِ حَفَظَتِهَا مِنْهُ . فَكَانَ مِنْ جَمَلَةِ ذَلِكَ : « اللَّهُمَّ

امنن علينا بصفاء المعرفة ، وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا وبينك
على السنة ، وارزقنا صدق التوكل عليك ، وحسن الظن بك ، وامنن
علينا بكل ما يقربنا اليك ، مقرونا بالعفو في الدارين برحمتك يا أرحم
الراحمين »

قال : فلما فرغ من دعائه خرج من المسجد وخرجت خلفه فوقف
ينظر الى السماء وهو يتمثل بهذه الأيات :
« بموقف ذلى دون عزتك العظمى

بمخفى سر لا أحيط به علما »
« باطراق رأسى باعترافى بزلتى

بمد يدي أستمطر الجود والرحما »
« بأسمائك الحسنى التى بعض وصفها

لعزتها تستغرق النثر والنظا »
« بعهد قديم من ألت بربكم

ببن كان مجهولا فعلمته الاسما »
« أذقنا شراب الأنس يامن اذا سقى

محبًا شرابًا لا يضام ولا يظا »

مثال آخر من دعائه - من جملة دعائه رضى الله عنه الذى دعا به
حين دخل على الرشيد : اللهم إني أعوذ بنور قدسك ، وعظمة طهارتك ،

وبركة جلالك ، من كل آفة وعاهة وطارق من الإيس والجن إلا
طارقاً يطرق بخير

اللهم أنت عياذى بك أعوذ ، وأنت ملاذى بك ألوذ ، يا من
ذلت له رقاب الجبابرة ، وخضعت له مقاليد الفراعنة ، أعوذ بجلالك
وكرمك من خزيك ، وكشف سترك ونسيان ذكرك ، والانصراف
عن شكرك ، أنا فى كنفك فى ليلى ونهارى ، وظفى وإسفارى ، ذكرك
شعارى ، وثناؤك دِثارى ، لا إله إلا أنت تنزيهاً لاسمك ، وتكريماً
لسبحات وجهك ، أجرنى من خزيك ومن شر عذابك ، وقنى سيئات
مكرك واضرب على سرادقات حفظك ، وادخلى فى حفظ عنايتك
برحمتك يا أرحم الراحمين

عفته عن اللغو وفحش الكلام - كان الشافعى رضى الله عنه
عفيفاً عن اللغو وفحش الكلام ، فيحكى أنه مرَّ يوماً برجل يسفه على
رجل من أهل العلم فالتفت اليه الشافعى وقال : نزهوا أسماعكم عن
سماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به ، فإن المستمع شريك القائل ،
وإن السفية لينظر الى أخبث شئ فى وعائه ، فيحرص أن يفرغه فى
أوعيتكم ، ولوردت كلمة السفية لشق رادها كما يشق قائلها :
وكان ينشد ويقول :

« يخاطبني السفيه بكل قبح فأكره أن أكون له مجيئاً »
 « يزيد سفاقةً فأزيد حياءً كعود زاده الإحراق طيباً »
 وقال رضى الله عنه :

« إذا سبني نذل تزايدت رفعة وما العيب إلا أن أكون مسابيه »
 « ولولم تكن نفسى علىَّ عزيزة لمكستها من كل نذل تحاربه »
 وقال رضى الله عنه :

« قل بما شئت فى مَسَبَّة عرضى فسكوتى عن اللِّيم جوابٌ »
 « ما أنا عادم الجواب ولكن مامن الأسد أن تجيب الكلاب »
عزة نفسه - لم يكن فى نظره شئ أحط من أن يذل المرء نفسه
 لمنصب يتولاه ، أو مرتب يتقاضاه ، مع أنه فى هذه الحياة الدنيا يكفيه
 للمعيشة كسرة ، وبعد الموت حفرة
 وكان يقول :

« أمطرى لؤلؤاً جبال سرنديب وفيضى آبار تكرر تبراً »
 « أنا ماعشت لست أعدم قوتاً وإذا مت لست أعدم قبراً »
 « همى هممة الملوك ونفسى نفس حرّ ترى المذلة كفراً »
 « وإذا ماقت بالقت عمرى فلماذا أزور زيدا وعمراً »
 ويحكى أنه دخل على الإمام الشافعى طالب بعد انتهاء الدرس

وقال له : أوصني ، فقال له الشافعي : يا بني خَلَقَكَ اللهُ حُرّاً فَكُنْ كَمَا
خَلَقَكَ اللهُ

قناعته - كان رضى عنه يرى الحرية الصحيحة في القناعة ، والذل
كل الذل في الطلب والسؤال فيقول :

« العبد حرٌّ إن قنعَ والحرُّ عبدٌ إن قنعَ »

ويقول :

« رأيت القناعة رأس الغنى فصرت بأذيالها متمسك »

« فلا ذا يرانى على بابه ولا ذا يرانى به منهمك »

« فصرت غنياً بلا درهم أمرُّ على الناس شبه الملك »

قال الربيع : قال عبد الله بن عبد الحكم للشافعي : إذا أردت أن
تسكن البلد يعنى (مصر) فليكن لك قوت سنة ، ومجلس من السلطان
تتعزز به

فقال له الشافعي : يا أبا محمد ، من لم تعزه التقوى فلا عزَّ له ، ولقد

ولدت بغزة ، وربيت بالحجاز ، وما عندنا قوت ليلة ، وما بتنا جيعاً
قط ، وكان يقول :

« إذا أصبحت عندى قوت يومى فخل الهمَّ عني ياسعيد »

« ولا تخطر هموم غد بىالى فان غداً له رزق جديد »

« أسلم إن أراد الله أمراً وأترك ما أريد لما يريد »

وكان يقول :

« قفعت بالقوت من زمانى وصنت نفسى عن الهوان »

« خوفاً من الناس أن يقولوا فضل فلان على فلان »

« ومَنْ كنت عن ماله غنياً فلا أبالى إذا جفانى »

« ومَنْ رآنى بعين نقص رأيتَه بالذى رآنى »

« ومَنْ رآنى بعين تَمَّ رأيتَه كامل المعانى »

كرمه وسخاؤه - أحبه المصريون لكرمه ومروءته ، وصدق رؤياه ، ولعلمه وفضله وتقواه ، ولقربه من نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فمن كرمه ، أنه خرج يوم وقفة العيد الكبير من مسجد سيدنا عمرو ابن العاص مع تلميذه المزنى ، ولما وصل الى البيت رأى غلاماً ينتظره لدى الباب ومعه كيس مملوء بالنقود ، فتقدم الغلام إلى الشافعى وقال له : يُقرئك سيدى السلام ، ويقول لك : خذ هذا الكيس

أخذ الشافعى الكيس ، ووضع قدمه على سلم الدار يريد الصعود ، فخرج له رجل من أهل الفسطاط وقال له : وضعت إمرأتى الساعة ، ولم يكن معنا شئ ، فناوله الشافعى الكيس بما فيه ، ودخل هو بيته ولم يكن معه شئ

وأخرج البيهقي من طريق الحسن بن حبيب قال : سمعت الربيع يقول : رأيت الشافعي ركب حماراً فمر على سوق الخدائين (صانعي الأحذية) فسقط سوط من يده فوثب غلام من الخدائين فمسح السوط بكفه وناولته إياه ، فقال الشافعي لغلامه : ادفع تلك الدنانير التي معك لهذا الفتى ، قال : ما أدري إن كانت تسعة أو سبعة

وروى الحميدي : أن الشافعي رضى الله عنه خرج الى اليمن في بعض أشغاله ثم انصرف الى مكة ومعه عشرة آلاف درهم ، ف ضرب خيمة خارج مكة ، فكان الناس يأتونه فما برح من مكانه حتى فرقها جميعاً بره بأقاربه — كان باراً بأقاربه ، يحترمهم ، ولا يتكبر عليهم ، وكان يقول : أظلم الظالمين لنفسه الذي إذا ارتفع جفا أقاربه ، وأنكر معارفه ، واستخف بالأسواق ، وتكبر على ذوى الفضل

مواساته وتفقدته للفقراء — كان لا يأتي عليه يوم إلا يتصدق فيه ، وكان يتصدق بالليل ولا سيما في رمضان ، ويتفقد الفقراء والضعفاء ، وكان نفقته على أهله ما يتعارف من سعة التجار وأهل الفضل ، وكان أكرم الناس بمجالسته

حلمه وعفوه — كان رضى الله عنه عفواً حليماً لمن أساء إليه ، يقابل السيئة بالحسنة ، ولا يضرر حقداً لأحد ، وفي ذلك يقول :

(م - ٨ - رابع)

« لما عقوت ولم أحقد على أحد أرحت نفسي من هم العداوات »
 « إني أحيى عدوى عند رؤيته لأدفع الشر عني بالتحيات »
 « وأظهر البشر للإنسان أبغضه كأنه قد حشى قلبي مودات »

ثناء الناس عليه — قال هارون بن سعيد : مارأيت مثل الشافعي
 قط ، ولقد قدم علينا مصر ، فقالوا : قدم علينا رجل من قریش فقيه ،
 فجنّاه وهو يصلي ، فما رأيت أحسن منه وجهاً ، ولا أحسن صلاة ،
 فافتننا به ، فلما قضى صلاته تكلم ، فأرأينا أحسن منه منطقاً ، وكان
 يتكلم في الحقيقة ، وفي الزهد ، وفي أسرار القلوب ، وكان يقول :

كيف يزهد في الدنيا من لا يعرف قدر الآخرة ؟

وكيف يسلم من لا يسلم الناس من لسانه ويده ؟

وكيف ينطق بالحكم من لا يريد بقوله وجه الله عز وجل ؟

وسأله بعض الناس عن الرياء فقال له : أنت إذا خفت على نفسك

العجب فانظر طلب رضا من تطاب ، وفي أي نعيم ترغب ، ومن أي

عقاب ترهب ، وفي أي عافية تشكر ، وأي بلاء تذكر ؟

ثناء الإمام أحمد بن حنبل على الإمام الشافعي

اتفق أن الإمام الشافعي بات عند الإمام أحمد بن حنبل رضى الله

عنهما . وكانت بنت الإمام أحمد تسمع كثيراً عن الشافعي ، وكان

أبوها يعظمه جداً ، فكانت تؤذ لو رأت الشافعى ، فلما نزل عند أبيها فرحت لعلها ترى أفعاله الطيبة العظيمة ، أو تسمع أقواله السكرية ولما كان الليل ، قام الإمام أحمد الى الصلاة وذكره كعادته ، والإمام الشافعى مستلق على ظهره (نائم على ظهره) والبنت ترقبه الى الفجر ، فجاءت الى أبيها الإمام أحمد وقالت له : رأيتك تعظم الشافعى ، وما رأيت له فى هذه الليلة صلاة ولا ذكراً ولا ورداً ؛ وبينما هم فى الحديث إذ قام الإمام الشافعى ، فقال له الإمام أحمد : كيف كانت ليلتك ؟ فقال : مارأيت ليلة أطيب منها ، ولا أبرك ولا أربح ، فقال : كيف ذلك ؟ فقال الشافعى : لأنى رتبت فى هذه الليلة مائة مسألة وأنا مستلق على ظهرى كلها فى منافع المسلمين ، ثم ودعه ومضى فقال الإمام أحمد بن حنبل لابنته : هذا الذى عمل الشافعى الليلة وهو نائم أفضل مما عملته وأنا قائم (المغزى) العالم الذى يشتغل بالعلم لينفع الناس أفضل من العابد الذى يعبد ويدكر ، وأن طلب العلم قد يفضل العبادة وقال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : ماصليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعى فقال له ابنه : يا أبت ، أى رجل كان الشافعى حتى تدعوه كل هذا الدعاء ؟

فقال الإمام أحمد بن حنبل : يابني ، الشافعي كالشمس للدنيا

وكمالها للبدن ، فانظر يا بني هل من هذين خلف ؟

وقال عبد الملك بن عبد الحميد الميموني : كنت عند أحمد بن حنبل
وجرى ذكر الشافعي ، فرأيت أحمد يعظمه وقال : بلغني ، أو قال : يروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على
رأس كل مائة سنة رجلاً يقيم لها أمر دينها ، فكان عمر بن عبد العزيز
على رأس المائة الأولى ، وأرجو أن يكون الشافعي على رأس المائة
الأخرى

مرضه - أقام الشافعي في مصر خمس سنين وتسعة أشهر من ٢٨
شوال سنة ١٩٨ هـ إلى ٢٩ رجب سنة ٢٠٤ هـ يعلم الناس ، ويؤلف كتبه
الجديدة السالفة الذكر ، وينشر مذهبه بين الناس

وفي نهاية هذه المدة أصابه نزف شديد بسبب داء (البواسير) حيث
بلغت به الدرجة أنه إذا ركب الدابة ملأ الدم سراويله والسرير وربما
وصل إلى الحفنين

ولما اشتد به الضعف لازم بيته فزاره تلميذه المزني فوجد أهله
وقد ثقبوا له السرير ووضعوا تحته الطشت ليجمع الدم فيه ، فسأله عن
حاله فقال : أصبحت والله لا أدرى أروحي تساق إلى الجنة فأهنتها ،

أو الى النار فأعزىها ، ثم رفع بصره الى السماء وقال :
 « ولما قسا قلبي وضائق مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك ساماً »
 « تعاضمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظماً »
 وبعد ذلك نظر الى من حوله من أهله وقال لهم : إذا أنا متُ
 فاذهبوا الى الوالى واطلبوا اليه أن يغفر لى

وفاته - فى ليلة الجمعة الأخيرة من شهر رجب سنة ٢٠٤ هـ ، وبعد
 العشاء الأخيرة فاضت روحه الطاهرة إلى ربها راضية مرضية بين يدي
 تلميذه الربيع الجيزى
 وما انتشر خبر نعيه فى مصر إلّا وقد عم أهلها الحزن والأسى
 وخرجت الناس من بيوتهم يريدون حمله فوق أعناقهم من شدة
 هول المصاب

أصبح يوم الجمعة ٣٠ رجب سنة ٢٠٤ هـ ولا حديث للناس إلّا طلب
 الرحمة والرضوان للراحل الكريم ، وذهب أهله الى الوالى ، وكان
 محمد بن السرى بن الحكم ، وطلبوا اليه الحضور لتغسيل الإمام الشافعى
 كما أوصى ، فقال لهم الوالى : هل ترك الإمام ديناً ؟ قالوا : نعم . فأمر
 الوالى بسداد ذلك الدين كله ، ثم نظر اليهم وقال لهم : هذا معنى
 تغسيلى له (أى براءة ذمته من دينه)

جنازته ودفنه - وبعد صلاة العصر خرجت الجنازة من بيت الشافعى

مختزقة شوارع الفسطاط وأسواقها ، حتى اذا ما وصلت الى درب السباع وهو شارع السيدة نفيسة الآن ، أمرتهم السيدة نفيسة رضى الله عنها بادخال النعش الى بيتها ، فأدخل النعش ، ونزلت هى الى فناء الدار وصلت عليه صلاة الجنائزة وقالت : رحم الله الشافعى إنه كان يُحسن الوضوء

واستمرت الجنائزة سائرة إلى أن وصلت الى القرافة الصغرى حيث تربة بنى زهرة وهم أولاد عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، وعرفت بتربة أولاد بن عبد الحكم ، وفيها دفن الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وعرفت بعد دفنه بتربة الشافعى الى وقتنا هذا
تأيينه - ورثى الشافعى خلق كثير يوم وفاته منهم تلميذه المزنى حيث قال :

« لقد كان كفؤاً للعادة ، وركنًا لهذا الدين أيما ركن »

وبعد وفاته رثاه أبو بكر محمد بن دريد صاحب المقصورة المشهورة بقصيدة عصماء قال فيها :

« تسربل بالتقوى وليدًا وناشئًا وخصَّ بلب الكهل مذ هو يافع »

« فمن يك علم الشافعى أمامه فمرّعه فى ساحة العلم واسع »

« سلام على قبر تضمن جسمه وجادت عليه المدجنات الهوامع »

« لأن فجعنا الحادثات بشخصه وهن لما حكمن فيه فواجع »

« فأحكامه فينا بدور زواهر وآثاره فينا نجوم طوالع »

وعاد المشيعون وقد رأوا هلال شعبان وقد بدا في السماء.
ولازم أهل مصر زيارة قبره رضى الله عنه أربعين يوماً بلياليها،
وكان الزائر لا يصل إلى القبر إلا بشق الأنفس من كثرة الزحام
ولما آل ملك مصر إلى صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧ هـ أمر
ببناء مدرسة لتدريس مذهب الشافعي بجوار قبره فبنيت (المدرسة
الناصرية، أو الصلاحية) نسبة إلى صلاح الدين ورتبت لها الأساتذة
والمدرسون، وأوقفت عليها أرض (جزيرة الفيل) وهي منطقة (جزيرة
بدران) بشبرا الآن

ولما مات العزيز عثمان بن صلاح الدين وأمه شمسة دفنا بجوار
تربة الشافعي في سنة ٥٩٥ هـ

نبد من بليغ كلامه نشرًا

له رضى الله عنه كلام مشهور كثير جداً لو جمع لكان كتاباً على
حدة فلندكر نبدأ منه لاحتوائه على الحكمة والموعظة الحسنة
قال رحمه الله : سياسة الناس أشد من سياسة الدواب
إن للعقل حداً ينتهى إليه ، كما أن للبصر حداً ينتهى إليه
للمروءة أربعة أركان : حسن الخلق ، والسخاء ، والتواضع ، والشكر

لا يكمل الرجل في الدنيا إلا بأربع : الديانة ، والأمانة ، والصيانة ،
والرزانة

الانبساط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء ، والانتقباض عنهم مكسبة
للعداوة ، فكن بين المنقبض والمنبسط

ما أكرمت أحداً فوق مقداره إلا اتضع من قدرى عنده بمقدار
ما أكرمته

مانظر الناس الى من هم دونه إلا بسطوا ألسنتهم فيه
ثلاثة إن أهنتهم أكرموك ، وإن أكرمتهم أهانوك : المرأة ،
والعبد ، والفلاح

من حضر مجلس العلم بلا محبرة وورق كان كمن حضر الطاحون
بغير قمح

أصل كل عداوة الصنيعة الى الأندال

من أحسن ظنه بليثيم كان أدنى عقوبته الحرمان

صحبة من لا يخاف العار عار يوم القيامة

أظلم الظالمين لنفسه ، من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب في مودة من
لا ينفعه ، (وقيل : مدح من لا يعرفه)

طبع ابن آدم على اللؤم ، فمن شأنه أن يتقرب ممن يتباعد عنه ،

ويتباعد ممن يتقرب منه .

من برّك فقد أوثقتك ، ومن جفأك فقد طلقك
خير الدنيا والآخرة في خمس خصال : غنى النفس ، وكف الأذى ،
وكسب الحلال ، ولباس التقوى ، والثقة بالله في كل حال

الشفاعات ، زكاة المروءات - أصحاب المروءات في جهد
مثل الذى يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب
وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري . ليس العلم ما حفظ إنما العلم ما نفع

رتبة العلماء التقوى ، وحياتهم حسن الخلق ، وجمالهم كرم النفس
من لا يحب العلم لا خير فيه ، ولا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة
من أظهر شركك بما لم تأت إليه ، فاحذر أن ينكر نعمتك فيما أتيت إليه
من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً

ليس سرور يعدل صحبة الإخوان ، ولا غمّ يعدل فراقهم
لا تقصر في حق أخيك اعتماداً على مروءته

إنك لا تقدر أن ترضى الناس كلهم ، فأصلح ما بينك وبين الله ،
ثم لا تبال بالناس

من استغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استرضى فلم يرض
فهو شيطان

التلطف في الحيلة ، أجدى من الوسيلة

لا تشاور من ليس فى بيته دقيق

ترك العبادة ذنب مستحدث

ليس من المروءة أن تخبر الرجل بسنه

من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن نظر فى الفقه نبى قدره ، ومن

كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر فى اللغة رق طبعه ، ومن نظر

فى الحساب جزل رأيه ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه

من نمّ لك نمّ بك ، ومن تقل اليك تقل عنك ، ومن إذا أرضيته

قال فيك ما ليس فيك كذلك إذا أغضبه قال فيك ما ليس فيك

ليس العاقل الذى يدفع بين الخير والشر فيختار الخير؛ ولكن العاقل

من عقله عقله عن كل مذموم

ما أوردتُ الحق والحجة على أحد فقبلها منى إلا هبته واعتقدت

مودته ، ولا كابرنى على الحق أحد ودفع الحجة إلا سقط من عيني

أشد الأعمال ثلاثة : الجود من قلة ، والورع فى خلوة ، وكلمة الحق

عند من يرضى ويخاف

من طلب الرياسة فى غير حينها لم يزل فى ذل مابقى

وددت أنى إذا ناظرت أحداً أن يظهر الحق على يده

تفقه قبل أن ترأس ، فاذا رأست فلا سبيل الى التفقه

« من طلب الرياسة فوّت منه
 « من سأل بنفسه فوق ما يساوى رده الله الى قيمته
 « أكثر الناس فضلا من لا يرى فضله

نبت من عيون شعره مما ثبت بالأسانيد الجيدة

للشافعي رضى الله عنه شعر كثير فمن ذلك قوله فيما أنشده
 البيهقي بسند له :

« لآخر في حشو الكلا م إذا اهتديت الى عبونه »
 « والصمت أجمل بالفتى من منطق فى غير حينه »
 « وعلى الفتى لطباعه سمة تلوح على جبينه »
 « وأنشد له الرياشى فيما سمعه منه وأسنده البيهقي عن الرياشى :
 « المرء يخطئ ثم يعملو ذكره حتى يزىن بالذى لم يفعل »
 « وترى الشقى إذا تكامل عيه يشقى وينحل كل مالم يعمل »
 وله :

« ومن الشقاوة أن تحبَّ ومن تحب يحب غيرك »
 « أو أن تريد الخير للإنسان وهو يريد ضيرك »
 « ذكر المزنى أن الشافعي رضى الله عنه أخذ بيده فقال :
 « أحب من الإخوان كل موات وكل غضيض الطرف عن عثراتى »

« يصاحبني في كل أمر أحبه ويحفظني حيًّا وبعد وفاتي »
 « فمن لي بهذا ليت أتى أصبته فقاسمته مالى مع الحسنات »
 وعن المزني أن الشافعي رضى الله عنه أملى عليه :

« وأكثر من الإخوان ما استطعت أنهم
 بطون إذا استنجدتهم وظهور »

« وليس كثير ألف خيلٍ لعافل
 وإن عدواً واحداً لكثير »

وقال رضى الله عنه :

« ثلاثة هن مهلكة الأنام وداعية الصحيح إلى السقام »
 « دوام مدامة ودوام وطء وإدخال الطعام على الطعام »
 وقال رضى الله عنه :

« إذا لم أجد خلاً تقيّاً فوحدتى ألد وأشهى من غوى أعاشره »
 « وأجلس وحدى للعبادة آمناً أقرُّ لعينى من سفينة أحاذره »
 وقال رضى الله عنه :

« الدهر يومان ذا إيمان، وذا خطر والعيش عيشان، ذا صفو، وذا كدر »
 « أما ترى البحر تعلو فوقه جيف ويستقر بأقصى قاعه الدرر »
 « وفي السماء نجوم لا عداد لها وليس يكسف إلا الشمس والقمر »

وقال رضى الله عنه :

« العلم مغرس كل فخر فافتخر
 واحذر يفوتك فخر ذاك المغرس »
 « واعلم بأن العلم ليس يناله
 من همّة في مطعم أو ملبس »
 « إلّا أخو العلم الذى يعنى به
 فى حالتيه عارياً أو مكتسباً »
 « فاجعل لنفسك منه حظاً وافراً
 واهجر له طيب الرقاد وعسس »
 « فاعلم يوماً إن حضرت بمجلس
 كنت الرئيس وفخر ذاك المجلس »

وقال :

« كلما أدبني الدهر أراني نقص عقلى »
 « وإذا ما ازددت علماً زادنى علماً بجہلى »

وقال رضى الله عنه فى الدعاء وطلب العفو والمغفرة :

« ولما قسا قلبى وضائق مذاهبي
 جعلت الرجا منى لعفوك سداً »
 « تعاضمنى ذنبي فلما قرنته
 بعفوك ربى كان عفوك أعظماً »
 « فله در العارف الندب انه
 تسحّ لفرط الوجد أجفانه دماً »
 « يقيم إذا ما الليل مدّ ظلاله
 على نفسه من شدة الخوف مأتماً »
 « فصيحاً إذا ما كان فى ذكر ربه
 وفى ماسواه فى الورى كان معجماً »
 « ويذكر أياماً مضت من شبابه
 وما كان فيها بالجهالة أجراً »
 « فصار قرين الهمّ طول نهاره
 ويخدم مولاه إذا الليل أظلاماً »
 « يقول جيبى أنت سؤلى وبغيتى
 كفى بك للراحين سؤلاً ومغماً »

« أَلَسْتُ الذِي غَذَيْتَنِي وَكَفَلْتَنِي وَلَا زَلْتُ مَنَا عَلَى وَمَنْعَا »
 « عَسَى مَنْ لَهُ الْإِحْسَانُ يَغْفِرُ زَلَاتِي وَيَسْتُرُ أَوْزَارِي وَمَا قَدْ تَقَدَّمَا »
 وقال رضى الله عنه فى العفة وعدم ارتكاب الزنا :

« عَفُوا تَعْفُ نِسَاؤُكُمْ فِى الْحَرَمِ وَتَحْتَنِبُوا مَا لَا يَلِيقُ بِمُسْلِمٍ »
 « إِنْ الزَّانَا دِينَ فَإِنْ أَقْرَضْتَهُ كَانَ الْوَفَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَأَعْلَمْ »
 « يَا هَاتِكَا حَرَمَ الرِّجَالِ وَقَاطِعًا سَبِيلَ الْمَوْدَةِ عَشْتُ غَيْرَ مُكْرَمٍ »
 « لَوْ كُنْتُ حُرًّا مِنْ سُلَالَةِ مَا جَدُّ مَا كُنْتُ هَتَّكَاءَ لِحَرَمَةِ مُسْلِمٍ »
 « مَنْ يَزْنُ يَزْنُ بِهِ وَلَوْ بِجِدَارِهِ إِنْ كُنْتُ يَاهُذَا لَبَيِّبًا فَافْهَمْ »
 وقال رضى الله عنه فى الصبر والتأسّى :

« دَعِ الْأَيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ وَطَبَّ نَفْسًا إِذَا حُكِمَ الْقَضَاءُ »
 « وَلَا تَجْزِعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ »
 « وَكُنْ رَجُلًا عَلَى الْأَهْوَالِ جَلَدًا وَشَيْمَتِكَ السَّمَاحَةُ وَالسَّخَاءُ »
 « يَغْطِى بِالسَّمَاحَةِ كُلَّ عَيْبٍ وَكَمْ عَيْبٍ يَغْطِيهِ السَّخَاءُ »
 « وَلَا حُزْنَ يَدُومُ وَلَا سُرُورَ وَلَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَلَا رِخَاءُ »
 « وَلَا تُرَى الْأَعَادَى قَطُّ ذَلَا فَإِنْ شِمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ بَلَاءُ »
 « وَلَا تَرْجِ السَّمَاحَةَ مِنْ بَخِيلٍ فَمَا فِى النَّارِ لِلظَّانِّ مَاءُ »
 « وَرِزْقُكَ لَيْسَ يَنْقُصُهُ التَّائِي وَلَيْسَ يَزِيدُ فِى الرِّزْقِ الْعَنَاءُ »
 « إِذَا مَا كُنْتُ ذَا قَلْبٍ قَنُوعَ فَأَنْتَ وَمَالُكَ الدُّنْيَا سَوَاءُ »

« ويرزق من يشاء بلا حساب ويحرم من يريد كما يشاء »
 « ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرض تقيه ولا سماء »
 « وأرض الله واسعة ولكن إذا نزل القضا ضاق الفضاء »
 « دع الأيام تغدر كل حين ولا يغنى عن الموت الدواء »
 « ونكتفي بذكر هذه الأشعار، ومن أراد الكثرة فليطلع على كتاب
 « الجوهر النفيس في أشعار الإمام محمد بن إدريس » لجامعه ومصححه
 المرحوم محمد افندى مصطفى أحد موظفي دار الكتب ووزارة
 المعارف سابقاً

مذهب الشافعي رضي الله عنه

جاء في رسالة المرحوم أحمد باشا تيمور الخاصة بالمذاهب الأربعة
 ما خلاصته :

يذكر أصحاب الطبقات أن ظهوره (أي مذهب الشافعي) كان
 أولاً ببصر وكثر أصحابه بها ، ثم ظهر بالعراق ، وغلب على بغداد ،
 وعلى كثير من بلاد خراسان ، والداغستان ، وكان اصطلاح أهل
 خراسان إذا أطلقوا (أصحاب الحديث لايعنون إلا الشافعية) ثم ظهر
 بتوران والشام واليمن ، ودخل ما وراء النهر ، وبلاد فارس والحجاز ،
 وبعض بلاد الهند ، ودخل شئ منه أفريقية والأندلس بعد سنة ٣٠٠ هـ

والغالب على أهل مصر في عصرنا هذا هو مذهب الشافعي رضي الله عنه ، وقد كان الحكم لأصحاب الشافعي في أزمان كثيرة بمصر ، ولم يفقده صقل الدولة لمذهب أبي حنيفة بالحكم قيمته في غلبته على المسلمين في مصر تعبداً وتقليداً في المعاملات

وكانت مشيخة الأزهر الشريف محصورة في علمائه منذ عام ١١٣٧ هـ إلى أن تولاهم من الحنفية المرحوم الشيخ محمد المهدي العباسي سنة ١٢٨٧ مضافة الى الافتاء

ولم تنحصر بعد ذلك في مذهب من المذاهب إذ تولاهم حنفية ومالكية ولم يتولها حنبلي لقلة عدد الحنابلة بمصر

وقد عادت الآن الى الشافعية مذ تولاهم الاستاذ الأ كبر شيخ الجامع الأزهر الحالي الشيخ محمد الأحمدى الظواهري حفظه الله ونفع به المسلمين

٤ - الامام احمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه

مولده وأصله وكنيته - ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ في ربيع الأول ،
وحيء به حملاً من (مرو) وتوفي أبوه وله ثلاثون سنة ، فوليته أمه فلم
يربه أبوه ، لأنه تركه طفلاً ، وأصله من (مرو) من أهل (خراسان)
ويكنى : أبا عبد الله سدوسي

نسبه - هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال
ابن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن
عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ربيعة بن نزار ،
ويتصل نسبه بسيدنا اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليه السلام ، ويجتمع
نسبه والنبي صلى الله عليه وسلم في نزار ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم
مَضْرَى من ولد مَضْر بن نزار ، وكل قریش من مَضْر

نشأته - نشأ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ببغداد يتيمًا وطلب
العلم والحديث بهما من شيوخها ثم رحل بعد ذلك في طلب العلم الى البلاد
قال المروزي : قال لي أبو سراج بن خزيمة : كنا مع أبي عبد الله في
الْكُتَّاب فكان النساء يبعثن إلى المعلم ابعت الينا بابن حنبل ليكتب
جواب كتبهم ، فكان إذا دخل اليهن لا يرفع رأسه ولا ينظر اليهن
(م - ٩ - رابع)

قال أبو سراج : فقال أبي وذكره ، فجعل يعجب من أدبه وحسن
طريقته

فقال لنا ذات يوم : أنا أنفق على أولادى وأجيئهم بالمؤدين على أن
يتأدبوا فما أراهم يفلحون ، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم انظر كيف
يخرج ؟ وجعل يعجب

قال أبو بكر المروزي : وقال لى أبو عبد الله : كنت وأنا غلام
أختلف الى الكتّاب ثم اختلفت الى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة

طلبه للعلم ورحلاته اليه

ابتدأ أحمد رضى الله عنه فى طلب العلم من شيوخ بغداد ثم رحل
الى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة وكتب
عن علماء كل بلد

وأول من كتب عنه الحديث أبو يوسف وكان عمره ست عشرة
سنة فى سنة تسع وسبعين ومائة وهى السنة التى مات فيها الإمام مالك
ابن أنس رحمه الله

وكان رضى الله عنه لا ينقطع عن طلب العلم ، وروى : أنه رآه رجل
ومعه المحبرة فقال له : يا أبا عبد الله أنت قد بلغت هذا المبلغ وأنت
إمام المسلمين . فقال : مع المحبرة الى المقبرة

وكان يقول : أنا أطلب العلم الى أن أدخل القبر ، وهذا يتفق مع

القول المسأثور : اطلب العلم من المهد الى اللحد

وقال محمد بن اسماعيل الصائغ : كنت في إحدى رحلاتي ببغداد
فمررت بنا أحمد بن حنبل وهو يعدو ونعلاه في يده ، فأخذ أبي بمجامع ثوبه
فقال : يا أبا عبد الله ألا تستحي إلى متى تعدو مع هؤلاء الصبيان ؟
فقال : الى الموت

تأدبه عند مشايخه إحتراماً للعلم

حدث اسماعيل الديلمي عن عمرو الناقد قال : كنا عند وكيع وجاء
أحمد بن حنبل فقمعد وجعل يصف من تواضعه بين يديه . فقال عمرو :
فقلت : يا أبا عبد الله إن الشيخ يكرمك فمالك لا تتكلم ؟ قال : وإن
كان يكرمني فينبغي لي أن أجله

قال خلف : جاءني أحمد بن حنبل يسمع حديث أبي عوانة فاجتهدت
أن أرفعه فأبى وقال : لا أجلس إلا بين يديك ، أمرنا أن نتواضع
لمن نتعلم منه

إقباله على العلم واشتغاله به

كان رضى الله عنه شديد الإقبال على العلم ، سافر في طلبه السفر البعيد ، وتوفرَّ على تحصيله الزمان الطويل ، ولم يتشاغل بكسب ولا زواج حتى بلغ منه ما أراد . وقيل : انه لم يتزوج إلَّا بعد الأربعين سنة حتى لا يتشاغل عن العلم ، فبلغ منه ما أراد . كان علم الدنيا كأنه بين عينيه ، جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف يقول ماشاء ويمسك ماشاء

كثرة حفظه للحديث

وقال ابن رجاء : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : سمعت أبا زرعة يقول : كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث فقليل له : وما يدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب وقيل لأبي زرعة : أنت أحفظ أم أحمد بن حنبل ؟ قال : بل أحمد ابن حنبل . قيل : وكيف علمت ذلك ؟ قال : وجدت كتب أحمد ابن حنبل ليس في أوائل الأجزاء أسماء المحدثين الذين سمع منهم فكان يحفظ كل جزء من سمعه وأنا لا أقدر على هذا وقيل أيضاً لأبي زرعة : من رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ ؟

قال : أحمد بن حنبل حرر كتيبه اليوم الذي مات فيه فبلغت اثني عشر
جملًا وعدلاً ؟ ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ، ولا في بطنه
حدثنا فلان ، وكل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلبه

ولذا كان إمام المحدثين في عصره

ويقول أحمد بن سعيد الرازي : مارأيت أسود الرأس أحفظ
لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعلم بفقهاء ومعانيه من أبي
عبد الله أحمد بن حنبل

رحلته في طلب الحديث

بلغ الإمام أحمد بن حنبل أن رجلاً في بلد بعيد عنه ، يروى أحاديث
ثلاثية ، أي يحفظ كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينقله إلى
من يريد

وكان الإمام أحمد يرغب في ذلك كثيراً فرحل إلى هذا الرجل
حتى أتى إليه فوجده يطعم كلباً . فسلم عليه الإمام أحمد رضى الله عنه
فرد عليه السلام ثم اشتغل باطعام الكلب ولم يقبل على الإمام أحمد ،
أي لم يلتفت إليه أو يكلمه ، فوجد الإمام أحمد في نفسه شيئاً ؛ لأن
الرجل أقبل على الكلب ولم يلتفت إليه ، وهذا بالطبع يكدر
الإنسان ويغيظه

فلما فرغ الرجل من طعمة الكلب ، التفت الى الإمام وقال :
لعلك وجدت في نفسك إذ أقبلت على الكلب
قال الإمام أحمد : نعم . فقال الرجل : حدثني أبو الزناد عن
الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « من قطع رجاء من ارتجاء قطع الله رجاءه يوم القيامة ، فلن
يلج الجنة »

ثم قال الرجل : أرضنا هذه ليست بها كلاب ، وقد قصدني هذا
الكلب فخفت أن أقطع رجاءه ، فقال الإمام أحمد : يكفيني هذا
الحديث ، ثم رجع

ثناء مشايخه عليه

لما كانت علامات الذكاء في المرء تظهر في صباه ، وتلمح في بدء أمره
ومنتهاه ، فقد كانت آيات العلم والتقى تظهر على الإمام أحمد بن حنبل
في بدايته ، ولذلك أثنى عليه مشايخه وقدموه . فمن أثنى عليه من
مشايخه (يزيد بن هارون)

قال أحمد بن شيبان : مارأيت يزيد بن هارون لأحد أشد تعظيماً
منه لأحمد بن حنبل ، ولا رأيت أكرم أحداً إكرامه لأحمد بن
حنبل ، وكان يقعده إلى جنبه إذا حدثنا

وكان يوقر أحمد بن حنبل ولا يمازحه ، ومرض مرة أحمد بن حنبل فركب اليه يزيد بن هارون وعاده

قال خلف بن سالم : كنا في مجلس يزيد بن هارون فمزح يزيد مع مستمليه فتنحج أحمد بن حنبل فضرب يزيد بيده على خده وقال : ألا أعلمتموني أن أحمد ههنا حتى لا أمزح ؟

ومنهج (اسماعيل بن عليّة) قال أبو بكر بن أبي عون ومحمد بن هشام : رأينا اسماعيل بن عليّة إذا أقيمت الصلاة قال : ههنا أحمد بن حنبل قولوا له يتقدم

قيل : كان جماعة عند اسماعيل بن عليّة وتكلم إنسان فضحك بعضهم ؛ وثم أحمد بن حنبل ، قيل : فأتينا اسماعيل فوجدناه غضبان . فقال : أتضحكون وعندي أحمد بن حنبل ؟ (وغيرهما كثيرون وهم منذ كورون في كتاب مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي)

ثناء نظرائه وأقرانه ومقاربيه في السن عليه

فمنهم (١) محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه كان يقول : خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أورع ولا أتيق ولا أقمه ولا أعلم من أحمد بن حنبل

ومن المروى من شعر الإمام الشافعي :

« قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله »

« إن زارني فبفضله أو زرته فلفضله فالفضل في الحالين له »

(٢) أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدى كان يقول :

مادمت بالحجاز، وأحمد بالعراق، واسحق بخراسان، لا يغلبنا أحد

(٣) ابن أبي أويس كان يقول - حينما قال بعضهم عنده : ذهب

أصحاب الحديث - أبق الله أحمد بن حنبل فلم يذهب أصحاب الحديث

(٤) على بن المدينى - وذكر عنده أحمد بن حنبل - فقال :

حفظ الله أبا عبد الله ؛ أبو عبد الله اليوم حجة الله على خلقه

وكان يقول أيضاً : إن الله عز وجل أعز هذا الدين برجلين ليس

لهما ثالث : أبو بكر الصديق يوم الردة ، وأحمد بن حنبل يوم المحنة

وكان يقول : ما قام أحد بأمر الإسلام بعد رسول الله صلى الله

عليه وسلم ما قام أحمد بن حنبل ، فقليل له يا أبا الحسن ، ولا أبو بكر

الصديق ؟ قال : ولا أبو بكر الصديق ؛ إن أبا بكر الصديق كان له

أعوان وأصحاب ، وأحمد بن حنبل لم يكن له أعوان ولا أصحاب

وغيرهم كثيرون مذكورون في الكتاب السالف الذكر

ثناء كبار أتباعه عليه بما عرفوه منه في صحبته

فمنهم (١) أبو داود السجستاني ، كان يقول : لقيت مائتين من مشايخ العلم ، فما رأيت مثل أحمد بن حنبل ، لم يكن يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس ، فإذا ذكر العلم تكلم

(٢) عبد الوهاب الوراق كان يقول : أبو عبد الله إمامنا وهو من الراسخين في العلم ، إذا وقفت غداً بين يدي الله عز وجل فسألني بمن ائقديت ؟ أقول : بأحمد ، وأي شيء ذهب على أبي عبد الله من أمر الإسلام وقد بلى عشرين سنة في هذا الأمر ؟

وكان يقول أيضاً : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل . قالوا له : وأي شيء بان لك من فضله وعلمه على سائر من رأيت ؟ قال : رجل سئل عن ستين ألف مسألة فأجاب فيها بأن قال : حدثنا وأخبرنا

مصنفاته

كان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه لا يرى وضع النكيب ، وينهى أن يكتب عنه كلامه ومسائله ، ولو رأى ذلك لكانت له تصانيف كثيرة ، ولنقلت عنه كتب عديدة فكانت تصانيفه المنقولات هي : مصنف (المسند) وهو ثلاثون

ألف حديث ، وكان يقول لابنه عبد الله : احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إماماً

والتفسير ، وهو مائة ألف وعشرون ألفاً ، والناسخ والمنسوخ ، والتاريخ ، وحديث شعبة ، والمقدم والمؤخر في القرآن ، وجوابات القرآن ، والمناسك الكبير والصغير وأشياء أخر

مناقبه

زهده - كان رضى الله عنه زاهداً في الدنيا . قال سليمان بن الأشعث : مارأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط ، وكان إذا جاع أخذ الكسرة اليابسة فففضها من الغبار ، ثم صبَّ عليها الماء في قصعة حتى تبتل ثم يأكلها بالملح

وكانوا في بعض الأوقات يطبخون له في فخارة عدساً وشحمًا وكان أكثر إدامه الخل

وقال اسحق بن هانئ النيسابورى . قال لى أبو عبد الله : بَكَر يوماً حتى تعارضنى بشيء من الزهد ، فبكرت اليه ، وقلت لأم ولده : أعطنى حصيراً ومخدة ، فبسطته فى الدهليز ، فخرج أبو عبد الله ومعه الكتب والمخبرة ، فنظر الى الحصير والمخدة ، فقال : ما هذا ؟ فقلت : لتجلس عليه فقال : ارفعه ، الزهد لا يحسن إلا بالزهد ، فرفعته وجلس على التراب

وقال أبو جعفر القطان ويعرف بابن أبي القدور : كان أيام الغلاء
يحييئني أبو عبد الله بغزل ويستره لأبيعه ، فكنت ربما بعته بدرهم
ونصف ، وربما بعته بدرهمين ، فتخلف يوماً فلما جاء قلت له : يا أبا
عبد الله لم تجيء أمس ؟ فقال :

أم صالح اعتلت ، ودفع إلى غزلاً فبعته بأربعة دراهم ، فحُت بها
فأنكر ذلك وقال : لعلك زدت فيه من عندك ؟ قلت : لا ، ما زدت
فيه من عندي ، كان غزلاً دقيقاً

وقيل : تعرت أمه من الثياب ، فجاءته زكاة فردّها وقال : العرى
لهم خير من أوساخ الدنيا ، وأنها أيام قلائل ثم نرحل من هذه الدار
وقال صالح بن أحمد : قال أبي : كانت والدتك في الغلاء تغزل
غزلاً دقيقاً فتبيع الاستار بدرهمين أقل أو أكثر فكان ذلك قوتنا
وقال صالح أيضاً : وكنا ربما اشترينا الشيء فنستره عنه كيلا يراه
فيوبخنا على ذلك

وقال أبو بكر المروزي : سمعت أبا عبد الله يقول : أسرُّ أيامي إلى
يوم أصبح وليس عندي شيء

كلامه في الزهد

قال أبو حفص الطرسوسي : ذهبت إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل

فسأله ، وكان معه أصحابه ، فقالت : رحمك الله يا أبا عبد الله ، بهم
تلين القلوب ؟

فنظر الى أصحابه فغمزهم بعينه ، ثم أطرق ساعة ، ثم رفع رأسه فقال :
يا بُنَيَّ بَأْ كُلِّ الْحَلَالِ

فمرت الى أبي نصر بشر بن الحارث فقالت له : يا أبا نصر بهم
تلين القلوب ؟

فقال : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

فقالت : إني جئت من عند أبي عبد الله ، فقال : أى شيء قال
لك أبو عبد الله ؟

قلت : قال بَأْ كُلِّ الْحَلَالِ . قال : جاء بالأصل ، جاء بالأصل
فمرت الى عبد الوهاب الورّاق فقالت : يا أبا الحسن ، بهم تلين
القلوب ؟ قال :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

قلت : فإني جئت من عند أبي عبد الله ، فاحمرت وجنتاه من
الفرح وقال لى : أى شيء ، قال أبو عبد الله ؟ فقالت : قال بَأْ كُلِّ
الْحَلَالِ . فقال : جاءك بالجوهر ، جاءك بالجوهر ، الأصل كما قال ،
الأصل كما قال

قال أبو بكر المروزي أنه سمع أبا عبد الله يقول : بانفس انصبي
والإلا فستحزنين

وكان يقول أيضا : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول :
ما أعدل بفضل الفقر شيئا ، تدرى إذا سألك أهلك حاجة لا تقدر عليها
أى شيء لك من الأجر ؟

وقال أبو سهل بن زياد : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل
يقول : سئل أحمد عن الفتوة فقال : ترك ما تهوى لما تخشى

وقال على بن المديني : ودعت أحمد بن حنبل فقلت له : توصيني
بشيء ؟ قال : نعم : (اجعل التقوى زادك ، وانصب الآخرة أمامك)

وقال عيسى الوراق : سمعت يحيى الجلا يقول : سمعت أحمد
ابن حنبل يقول : « عزيز على أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت
صدورهم القرآن »

وقال عبد الله بن أحمد : قلت لأبي يوما أوصني يا أباي . فقال :
« يا بني انو الخير فانك لاتزال بخير مانويت الخير »

وقال أبو بكر المروزي : سمعت أحمد بن حنبل - وسئل بم - بلغ
القول حتى مدحوا ؟ قال : بالصدق

ورعه

كان رضى الله عنه ورعاً لا يقبل أن يأخذ من أحد شيئاً
قال اسحق بن موسى الأنصارى : دفع المأمون مالاً وقال لى :
اقسمه على أصحاب الحديث ، فإن فيهم ضعفاء ، فما بقى منهم أحد إلا
أخذ إلا أحمد بن حنبل فإنه أبى

قال أحمد بن القاسم الطوسى : كان أحمد بن حنبل إذا نظر إلى
نصرانى غمض عينيه ، فقليل له فى ذلك ؟ فقال : لا أقدر أن أنظر إلى
من افترى على الله وكذب عليه

قال ابراهيم الحربى : لزم أحمد بن حنبل سنتين فكان إذا
خرج يحدثنا معه محبرة مجلدة بمجلة أحمر وقلماً فاذا مرّ به سقط أو خطأ
فى كتابه أصلحه بقلمه من محبرته ، يتورع أن يأخذ من محبرة أحدنا
شيئاً ، وكنا نقول لأحمد فى الشئ يحفظه فيقول : لا ، إلا من كتاب

تمسكه بالسنة والأثر

كان رضى الله عنه شديد التمسك بالسنة واتباع الآثار . قال الحسن
ابن أيوب البغدادى :

قيل : لأبى عبد الله أحمد بن حنبل أحياء الله يا أبا عبد الله على

الإسلام . قال : والسنة

وقال عبد الملك الميموني : مارأت عيني أفضل من أحمد بن حنبل ،
وما رأيت أحداً من المحدثين أشد تعظيماً لحرمات الله عز وجل وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم إذا صحت عنده ولا أشد اتباعاً منه

تعظيمه لأهل السنة والنقل

قال صالح بن أحمد بن حنبل . سمعت أبي يقول : من عظم
أصحاب الحديث تعظم في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن
حقرهم سقط من عين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن أصحاب
الحديث أحبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال أبو بكر المروزي : قلت لأبي عبد الله : من مات على الإسلام
والسنة مات على خير

فقال لي : اسكت من مات على الإسلام والسنة مات على الخير كله
وقد كان الإمام أحمد بن حنبل لشدة تمسكه بالسنة ، ونهيه عن
البدعة ، يتكلم في جماعة من الأخيار إذا صدر منهم ما يخالف السنة
وكلامه ذلك محمول على النصيحة

إِعْرَاضُهُ عَنِ الْمَنَاصِبِ

قال إبراهيم المزني : قال الشافعي : لما دخلت على هارون الرشيد قلت له بعد المخاطبة : إني خلفت ضائعة تحتاج إلى حاكم فقال : انظر رجلاً ممن يجلس إليك حتى توليه قضاءها ، فلما رجع الشافعي إلى مجلسه ورأى أحمد بن حنبل من أمثلهم أقبل عليه فقال : إني كنت أمير المؤمنين أن يولي قاضياً باليمن ، وأنه أمرني أن أختار رجلاً ممن يختلف إليّ ، وإني قد اخترتك فتبها حتى أدخلك على أمير المؤمنين يوليكَ قضاء اليمن ؟ فأقبل عليه أحمد وقال :

إنما جئت إليك لأقتبس منك العلم ، تأمرني أن أدخل لهم في القضاء ؟ ووبخه ، فاستحيا الشافعي

وقال ابن الجوزي رحمه الله : وقد روى لنا أن هذا كان في زمان الأئمين

تَوَاضَعُهُ

كان رضى الله عنه متواضعاً جداً ويحمل حاجته بيده
قال صالح : كان أبي ربما أخذ القدم وخرج إلى دار السكان
يعمل الشيء بيده ، وربما خرج إلى البقال فيشتري الجرزة الخطيب
والشيء فيحمله بيده

وقيل لأبي عبد الله : جزاك الله عن الإسلام خيراً . فقال :
لا ؛ بل جرى الله الإسلام عني خيراً ، ثم قال : ومن أنا ؟
ودفع إلى أبي عبد الله كتاب من رجل يسأله أن يدعو الله له .
فقال : فإذا دعونا بهذا نحن فمن يدعو لنا ؟

وقال محمد بن أحمد بن واصل . سمعت أبا عبد الله غير مرة يقول :
من أنا حتى تجيئون إلى ؟ من أنا حتى تجيئون إلى ، اذهبوا اطلبوا
الحديث

وقيل لأبي عبد الله : ما أكثر الداعين لك ؟ فغرغرت عيناه وقال :
أخاف أن يكون هذا استدراجاً ، أسأل الله أن يجعلنا خيراً مما
يظنون ، ويغفر لنا ما لا يعلمون

قيل لأبي عبد الله : ان بعض المحدثين قال لي : أبو عبد الله لم
يزهد في الدراهم وحدها ؛ بل قد زهد في الناس . فقال أبو عبد الله : ومن
أنا حتى أزهد في الناس ؟ الناس يريدون أن يزهدوا في

حبه للفقير والفقراء

قال أبو بكر المروزي : كان أبو عبد الله يحب الفقراء ، لم أر الفقير في
مجلس أحد أعز منه في مجلسه

وقال أيضاً : قال لى أبو عبد الله ، وذكر رجلاً فقيراً مريضاً ، فقال لى :
 اذهب اليه وقل له : أى شىء تشتهى حتى نعمل لك ؟ ودفع إلى
 طبيباً وقال لى : طيبه

وقال أبو بكر المروزى : قال أبو عبد الله ، أحمد بن حنبل : ما أعدل
 بالفقر شيئاً ، ما أعدل بالفقر شيئاً ، أنا أفرح إذا لم يكن عندى شىء
 وذكرت له رجلاً صبوراً على الفقر فى أطمار ، وكان يسألنى عنه
 ويقول : اذهب حتى تأتيني بخبره ، سبحان الله الصبر على الفقر ،
 الصبر على الفقر ، ما أعدل بالصبر على الفقر شيئاً ، أتدرى الصبر على
 الفقر أى شىء هو ؟ وقال : كم بين من يُعطى من الدنيا ليفتن الى آخر
 تزوى عنه

إيثاره العزلة والوحدة

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : كان أبى أصبر الناس على الوحدة ،
 لم يره أحد إلا فى مسجد ، أو تشيع جنازة ، أو عيادة مريض ،
 وكان يكره المشى فى الأسواق ، وكان إذا مشى فى الطريق لا يمكن
 أحداً أن يمشى معه

وقال أبو بكر المروزى . قال لى أبو عبد الله : ما أبالى ألا يرانى أحد
 ولا أراه . وقال : رأيت الخلوة أروح لقلبي

تقواه وخوفه من الله

قال صالح بن أحمد بن حنبل : كان أبي إذا دعا له رجل يقول :
الأعمال بخواتيمها ، وكنت أسمعه كثيراً يقول : اللهم سلم سلم
وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبي يقول : وددت إني
نجوت من هذا الأمر كفافاً لاعلى ولا لى
وقال المروزي : سمعت أبا عبد الله يقول : الخوف يمنعني من أكل
الطعام والشراب فيما أشتهي

وقال المروزي : دخلت على أحمد يوماً فقلت : كيف أصبحت ؟
فقال : كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرض ، ونبیه يطالبه
بأداء السنة ، والمملكان يطالبانه بتصحيح العمل ، ونفسه تطالبه بهواها ،
وإبليس يطالبه بالفحشاء ، وملاك الموت يطالبه بقبض روحه ، وعياله
يطالبونه بالنفقة ؟

وكان رضى الله عنه يضرب به المثل فى اتباع السنة واحتساب البدعة

تعبده

قال صالح بن أحمد : كان أبى لا يدع أحداً يستقى له الماء لوضوئه
إلا هو ، وكان إذا أخرجت الدلو ملأى قال : الحمد لله . قلت : يا أبى

ما الفائدة في هذا ؟ فقال : يا بني أما سمعت قول الله عز وجل ؟
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾
وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : كان أبي يصلي في كل يوم وليلة
ثلاثمائة ركعة ، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته فكان يصلي كل
يوم وليلة مائة وخمسين ركعة ، وقد كان قرب من الثمانين ، وكان يقرأ
كل يوم سُبْعًا ، يختم في كل سبعة أيام ، وكانت له ختمة في كل سبع
ليال سوى صلاة النهار ، وكان ساعة يصلي العشاء الأخيرة ينام نومة
خفيفة ثم يقوم إلى الصبح يصلي ويدعو

قال هلال بن العلاء : خرج الشافعي ، ويحيى بن معين ، وأحمد بن
حنبل إلى مكة ، فلما أن صاروا بمكة نزلوا في موضع ، فأما الشافعي فانه
استلقى ، ويحيى بن معين أيضًا استلقى ، وأحمد بن حنبل قائم يصلي ،
فلما أصبحوا قال الشافعي : لقد عملت للمسلمين مائتي مسألة : وقيل
ليحيى بن معين ، أي شيء عملت ؟ قال : نفيت عن النبي صلى الله
عليه وسلم مائتي كذبة ، وقيل لأحمد بن حنبل : فأنتم . قال :
صليت ركعات ختمت فيها القرآن

وقال صالح بن أحمد : كانت لأبي قلنسوة قد خاطها بيده فيها قطن ،
فاذا قام من الليل لبسها وكنت أسمع أبي كثيرًا يتلو سورة الكهف

حكى ابراهيم بن هاني أنه لم يرَ أحداً أقوى على الزهد والعبادة
وجهد النفس من أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، كان يصوم النهار ،
ويعجل الافطار ، ثم يصلي بعد العشاء الآخرة ركعات ثم ينام نومة
خفيفة ، ثم يقوم فيتطهر ولا يزال يصلي حتى يطلع الفجر ، ثم يوتر بركعة ،
وكان هذا دأبه طول مقامه عندي ، ما رأيته فتر ليلة واحدة ، وكنت
لا أقوى معه على العبادة ، وما رأيته مفطراً إلا يوماً واحداً أفطر واحتجم
وكان رضى الله عنه يواصل الصوم فيفطر كل ثلاثة أيام على تمر
وسويق (الناعم من الدقيق)

قال عبد الله بن أحمد : رأيت أبي لما كبر وأسن اجتهد في قراءة
القرآن وكثرة الصلاة بين الظهر والعصر ، فاذا دخلت عليه انقل
من الصلاة وربما تكلم وربما سكت ، فاذا رأيت ذلك خرجت فيعود
لصلاته ، ورأيتوه وهو محتف أ كثر ذلك يقرأ القرآن

عدد حجاته - وقال عبد الله بن أحمد : حجج أبي خمس حجبات :
ثلاث حجج ماشياً ، واثنين راكباً ، وأتفق في بعض حجاته عشرين درهماً
وقال صالح بن أحمد ، سمعت أبي يقول : حججت خمس حجج :
منها ثلاثة راجلاً ، وأتفقت في أحد هذه الحجج ثلاثين درهماً

دعاؤه ومناجاته

قال عبد الله بن أحمد : كنت أسمع أبي كثيراً يقول في دبر صلاته :
« اللَّهُمَّ كما صنعت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي عن
المسألة لغيرك »

فقلت : أسمعك تكثير من هذا الدعاء فعندك فيه أثر ؟
فقال لي : نعم ، كنت أسمع وكيع بن الجراح كثيراً يقول هذا في
سجوده ، وكنت أسمع سفيان الثوري يقول هذا كثيراً في سجوده ،
وكنت أسمع منصور بن المعتمر يقول
ومن دعائه : اللَّهُمَّ من كان على هوى أو على رأى وهو يظن أنه
على الحق ، وليس هو على الحق ، فردّه الى الحق حتى لا يضل من
هذه الأمة أحد ؛ اللَّهُمَّ لا تشغل قلوبنا بما تكفلت لنا به ، ولا تجعلنا
في رزقك حولاً لغيرك ، ولا تمنعنا خير ما عندك بشر ما عندنا ، ولا ترنا
حيث نهيتنا ، ولا تفقدنا من حيث أمرتنا ، أعزنا ، ولا تذللنا ، أعزنا
بالطاعة ، ولا تذللنا بالمعاصي

جاء الى الإمام أحمد بن حنبل رجل فقال له شيئاً ، فقال له : اصبر
فان النصر مع الصبر ؛ ثم قال : سمعت عفان بن مسلم يقول : حدثنا
همام بن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : النصر

مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، وإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا
ومن دعائه أن قال : اللهم إنا نسألك بالقدرة التي قلت للسموات
والأرض ﴿ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ اللهم وفقنا
لمرضاتك ، اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ونعوذ بك من الذل
إلا لك ، اللهم لا تكثر علينا فنطغي ، ولا تقلل علينا فننسى ، وهب
لنا من رحمتك ، وسعة من رزقك ، مايكون بلاغا لنا ، وغنى من فضلك

هيئته

قال محمد بن مسلم : كنا نهاب أن نرد أحمد بن حنبل في الشيء ،
أو نحتاجه في شيء من الأشياء ، يعنى لجلالته ولهية الإسلام الذي رزقها
وقال أبو بكر المروزي : قال الحسن بن أحمد - والى الجسر - وكان
في جوارنا : دخلت على اسحق بن إبراهيم وفلان وفلان - ذكر
السلطين - مارأيت أهيب من أحمد بن حنبل ، صرت اليه أكله في
شيء ف وقعت على الرعدة حين رأيت من هيئته

وقال أبو عبد القاسم بن سلام : جالست أبا يوسف ومحمد بن الحسن
ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي فما هبت أحدا منهم ماهبت
أحمد بن حنبل ، ولقد دخلت عليه في السجن لأسلم عليه فسألني رجل
عن مسألة فلم أجبه هيبة له

نظافته وطهارته

قال عبد الملك بن عبد الحميد الميموني : ما أعلم أني رأيت أحداً أنظف ثوباً ولا أشد تعاهداً لنفسه في شاربته وشعر رأسه وشعر بدنه ، ولا أنقى ثوباً ، وشدة بياض من أحمد بن حنبل

سهولة أخلاقه وحسن معاشرته

حدثنا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي البخاري قال : سمعت محمد بن إبراهيم البوسنجي قال : ما رأيت أحداً في عصر أحمد من رأيت أجمع منه ديانةً وصيانةً وملكاً لنفسه ، وطقاً لها وفقهاً وعلماً ، وأدب نفس ، وكرم خلق ، وثبات قلب ، وكرم مجالسة ، وأبعد من التحدث . قال الحسين بن المنادي : سمعت جدي يقول : كان أحمد ابن حنبل من أحيي الناس ، وأكرمهم نفساً ، وأحسنهم عشرة وأدباً ، كثير الإطراق والغض ، معرضاً عن القبيح واللغو ، لا يسمع منه إلا المذاكرة بالحديث ، وذكر الصالحين والزهاد في وقار وسكون ولفظ حسن ، وإذا لقيه انسان بشاً به ، وأقبل عليه ، وكان يتواضع للشيخ تواضعاً شديداً ، وكانوا يكرمونه ويعظمونه

قال عبد الله بن أحمد : كان أبي إذا دخل من المسجد إلى البيت

يضرب برجله قبل أن يدخل الدار حتى يسمع ضرب نعله لدخوله الى الدار ، وربما تنحج ليعلم من في الدار بدخوله
قال أبو بكر المروزي : كان أبو عبد الله لا يجهل ، وإن جهل عليه احتمال وحلم ويقول : « كفى بالله حسيبا » ولم يكن بالحقود ولا العجول . ولقد وقع بين عمه وجيرانه منازعة فكانوا يجيئون الى أبي عبد الله فلا يظهر لهم ميله مع عمه ، ولا يفضب لعمه ، ويتلقاهم بما يعرفون من الكرامة وكان كثير التواضع ، يحب الفقراء ، لم أرَ الفقير في مجلس أعز منه في مجلسه ، مائلا اليهم ، مقصراً عن أهل الدنيا ، تعلوه السكنينة والوقار ، إذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسأل ، وإذا خرج الى مسجده لم يتصدر ، يقعد حيث انتهى به المجلس
وكان لا يمد قدمه في المجلس ، ويكرم جلسيه ، وكان حسن الخلق ، دائم البشر ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، وكان يحب في الله ، ويغض في الله ، وكان إذا أحب رجلاً أحب له ما يحب لنفسه ، وكره له ما يكره لنفسه ، ولم يمنعه حبه إياه أن يأخذ على يديه ، ويكفه عن ظلم أو أثم أو مكروه إن كان منه ؛ وكان إذا بلغه عن شخص صلاح أو زهد أو قيام بحق أو اتباع للأمر سأل عنه وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة ، وأحب أن يعرف أحواله ، وكان رجلاً فطناً إذا كان شيء لا يرضاه اضطرب لذلك ، يغضب لله ، ولا يغضب لنفسه ، ولا

ينتصر لها، فاذا كان في أمر من الدين اشد له غضبه حتى كأنه ليس هو، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان حسن الجوار يؤذى فيصبر، ويحتمل الأذى من الجار

ولقد أخبرني بعض جيرانه ممن بينه وبينه حائط قال: كان لي برج فيه حمام، وكان يشرف على أبي عبد الله، فكنت أصعد وأنا غلام أشرف عليه، فمكث على ذلك صابراً لا ينهاني، فبينما أنا يوماً إذ صعد عني فنظر إلى البرج مشرفاً على أبي عبد الله فقال:

ويحك! أما تستحي أن تؤذى أبا عبد الله؟ قلت له: فانه لم يقل لي شيئاً

قال: فلست أبرح حتى تهب لي هذه الطيور، فإبرح حتى وهبتها له فذبحها وهدم البرج

وقال إبراهيم الحربي: كان أحمد رضى الله عنه يأتي العرس، والأملأكل، والختان، يحجب ويأكل

حلمه وعفوه

قال إبراهيم الحربي: كان أحمد بن حنبل كأنه رجل قد وفق للأدب، وسدد بالحلم، وملىء بالعلم، أتاه رجل يوماً فقال له: عندك كتاب زندقة؟ فسكت ساعة ثم قال له: إنما يحرز المؤمن قبره

وقال ابراهيم : كئنا يوماً عند داود بن عمر فقال له داود : يا أبا عبد الله كيف أكلك ؟ كيف نومك ؟ فقال أحمد : ليس أنا بمحصور ، ولا روحاني ، ولم يزد علي هذا

وقال ابن هاني : كنت عند أحمد بن حنبل فقال له رجل : يا أبا عبد الله قد اغتبتك فاجعلني في حل . قال : أنت في حل ان لم تعد . فقلت له : تجعله في حل وقد اغتباك ؟ قال : ألم ترني اشترطت عليه ؟

ماله ومعاشه

كان أحمد رضي الله عنه قد خلف له أبوه طرزاً (ثوباً) وداراً يسكنها ، وكان يكرى تلك الطرز ويتعفف بكرامتها عن الناس وقال محمد بن عبد الله : قال لي أحمد بن حنبل : أنا أزرع هذه الدار التي أسكنها وأخرج الزكاة عنها في كل سنة وقال أحمد بن جعفر : سألت رجل أحمد بن حنبل عن العقار الذي كان يستغله ويسكن داراً منه كيف سبيله عنده ؟ فقال له : هذا شيء قد ورثته عن أبي ، فان جاءني أحد فصحيح أنه له خرجت عنه ودفعته إليه

تعففه عن أموال الناس

قيل : أنه لما خرج أحمد بن حنبل الى عبد الرزاق انقطعت به النفقة فأكرى نفسه من بعض الجمالين الى أن وافى صنعاء ، وقد كان أصحابه عرضوا عليه الموساة فلم يقبل من أحد شيئاً

وقال عبد الرزاق : قدم علينا أحمد بن حنبل هاهنا فأقام سنتين إلا قليلا فقلت له : يا أبا عبد الله خذ هذا الشيء فانتفع به فإن أرضنا ليست بأرض متجر ولا مكسب

فقال أحمد : أنا بخير ولم يقبل منه

وقيل : أنه رهن نعله عند خباز على طعام أخذ منه عند خروجه من اليمن وأكرى نفسه من ناس من الجمالين عند خروجه وعرض عليه عبد الرزاق دراهم صالحة فلم يقبلها

وقال حمدان بن سنان الواسطي : قدم علينا أحمد بن حنبل ومعه جماعة فنقدت نفقاتهم فبررهم فأخذوا ، وجاءني أحمد بن حنبل بفروة فقال : قل لمن يبيع هذه ويحيثني بثمنها فأتسع به . قال : فأخذت صرة دراهم فضيت بها اليه ، فردها . فقالت امرأتى هذا رجل صالح ، لعله لم يرضها فأضعفها ، فأضعفتها فلم يقبل ، وأخذ الفروة مني وخرج

قيل : أن رجلا كان رقيقاً لأبي عبد الله أحمد بن حنبل بواسط على

باب يزيد بن هارون ، فجاءه أبو عبد الله بحجة يبيعها في شدة البرد قال : فلم أزل به حتى صرفته عن بيعها ، ثم صرت الى يزيد بن هارون فقلت : يا أبا خالد إن أحمد بن حنبل جاءني بحجة لأبيعها له في هذا البرد . فقال لجاريته : زني مائة درهم وهاتيها ، فدفعها اليّ وقال : ادفعها اليه . فحُت بها اليه . فقلت : هذه بعثها أبو خالد . فقال : اني لاحتاج اليها ، واني لابن سبيل ؛ ولكن لا أحب أن أعود نفسي هذا ، ردها عليه ، فرددتها اليه ، فدفع اليّ جبتة فبعتها له .

قال علي بن الجهم بن بدر : كان لنا جار فأخرج لنا كتاباً فقال : أتعرفون هذا الخط ؟ قلنا : نعم . هذا خط أحمد بن حنبل ، كيف كتب لك ؟

قال : كنا بمكة مقيمين عند سفيان بن عيينة ففقدنا أحمد بن حنبل أياماً لم نره ، ثم جئنا اليه لنسأل عنه . فقال لنا أهل الدار التي هو فيها : هو في ذلك البيت ، فحُتنا اليه والباب مردود عليه واذا عليه خلقان ؟ (ثياب ممزقة) فقلنا له : يا أبا عبد الله ما خبرك لم ترك منذ أيام ؟ فقال سرقت ثيابي . فقلت له : معي دنانير فان شئت خذ قرصاً ، وإن شئت صلة فأبى أن يفعل ، فقلت : تكتب لي بأجرة ؟ قال : نعم ، فأخرجت ديناراً ، فأبى أن يأخذه ، وقال : اشترى لي ثوباً وأقطعه نصفين ، فأومى اليّ انه يأتزر بنصف ، ويرتدى بالنصف الآخر ، وقال : جئني

ببقيته ، ففعلت ، وجئت بورق فكتب لى ، فهذا خطه

قال موسى بن حماد البربرى : حمل الى الحسن بن عبد العزيز
الجروى ميراثه من مصر مائة ألف دينار ، فحمل إلى أحمد بن حنبل
ثلاثة أكياس فى كل كيس ألف دينار ، فقال : يا أبا عبد الله هذه
من ميراث حلال ، خذها فاستعن بها على عائلتك . قال : لاحتاجة لى
فيها ؛ أنا فى كفاية ، فردها ولم يقبل منه شيئاً

كرمه وجوده

كان أبو عبد الله كريماً ، يعجبه السخاء والجود ، فما يؤثر عنه :
أن أبا سعيد بن أبى حنيفة المؤدب قال لعبد الله بن أحمد بن حنبل :
كنت آتى أباك فرجما أعطانى الشيء وقال : أعطيتك نصف ما عندنا ،
فجئت يوماً فأطلت القعود ، فخرج ومعه أربعة أرغفة فقال : يا أبا سعيد
هذا نصف ما عندنا . فقلت : يا أبا عبد الله هذه الأربعة الأرغفة أحبُّ
إلىّ من أربعة آلاف من غيرك

وقال يحيى بن هلال الورّاق : جئت مرة الى أبى عبد الله أحمد بن
محمد بن حنبل فأخرج إلىّ أربعة دراهم وقال : هذه جميع ما أملك
وقال هارون المستملى : لقيت أحمد بن حنبل فقلت له : ما عندنا
شيء ، فأعطانى خمسة دراهم وقال : ما عندنا غيرها

وقال أبو بكر المروزي : كان أبو عبد الله رجلاً واسعاً من قوته ، وجاءه أبو سعيد الضرير فشكا إليه . فقال له : يا أبا سعيد ما عندنا إلا هذا الجذع ، فجئ به بحمال يحمله . قال : فأخذت الجذع فبعته بتسعة دراهم ودائقتين . وكان أبو عبد الله شديد الحياء كريم الأخلاق يعجبه السخاء .

قبوله الهدية ومكافأته عليها

قال أبو بكر المروزي : رأيت أبا عبد الله وقد أهدى إليه إنسان ماء زمزم ، فأرسل إليه سويقاً وسكراً (السويق الناعم من دقيق الحنطة والشعير) وأمرني أن أشتري لإنسان هدية بما يقرب من خمسة دراهم وقال : اذهب إلى صبيانه فإنه قد وهب لسعيد شيئاً

قال صالح بن أحمد : ان رجلاً أهدى إلى أبيه فاكهة ، فبعث إليه ثوباً أهدى جارية لأبي عبد الله شيئاً من جوز زبيب وتين في قصعة ميساوي ثلاثة دراهم أو أقل فأعطى ابنه ديناراً وقال له : اذهب فاشتر بعشرة دراهم سكراً وبسبعة دراهم تمرًا ، واذهب به إليه في الليل . ففعل

الحنّة التي أصيب بها وسببها

لم يزل الناس بخير في عهد السلف الصالح يؤمنون بالله وكتبه ويعتقدون حقاً أن القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق حتى ظهرت

المعتزلة . فقالت : (بخلق القرآن) وكانت تستر ذلك ، وكان القانون محفوظاً في زمن الرشيد ، وكان يحارب كل من ادعى بخلق القرآن قال محمد بن نوح : سمعت هارون الرشيد أمير المؤمنين يقول : بلغني أن بشراً المريسي زعم أن القرآن مخلوق ، علَّ إن أظفرني الله به لأقتلنه قتلة ماقتلتها أحداً قط . فكان بشر متوارياً أيام هارون الرشيد نحواً من عشرين سنة حتى مات هارون ، فظهر ودعا إلى الضلالة وكان من المحنة ما كان

فلما توفي الرشيد كان الأمر كذلك في زمن الأمين ، فلما ولي المأمون خالطه قوم من المعتزلة فحسنوا له القول بخلق القرآن ، وكان يتردد في حمل الناس على ذلك ويراقب بقايا الأشياخ ، ثم قوى عزمه على ذلك فحمل الناس عليه . وكان أحمد بن حنبل من أشد الناس معارضة لذلك ، وأصيب بمحنة شديدة لامتحانه في هذه المسألة وهي : (خلق القرآن)

قصته مع المأمون

قال العلماء بالسير : كتب المأمون وهو بالرقعة الى اسحق بن ابراهيم وهو صاحب الشرطة ببغداد بامتحان الناس فامتنحهم قال صالح بن أحمد بن حنبل سمعت أبي يقول : لما ادخلنا على

اسحق بن ابراهيم للمحنة قرىء علينا كتاب المأمون ، فكان فيما قرىء
 علينا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وهو ﴿خَالِقُ كُلِّ
 شَيْءٍ﴾ فقلت : وهو السميع البصير

قال صالح : ثم امتحن القوم فوجه بن امتنع الى الحبس فأجاب
 القوم جميعاً غير أربعة ، أبى (أحمد بن حنبل) ومحمد بن نوح ، وعبيد الله
 ابن عمر القواريري ، والحسن بن حماد سجادة ، ثم أجاب عبيد الله
 ابن عمر ، والحسن بن حماد ، وبقي أبى ومحمد بن نوح فى الحبس
 فحكث اياماً فى الحبس ثم ورد الكتاب من « طرسوس » بحماهما
 فحملاً مقيدىن زميلين

كيف امتحن أحمد بن حنبل ؟

قال ميمون بن الأصغ : كنت ببغداد فسمعت ضجة فقلت :
 ماهذا ؟ فقالوا : أحمد بن حنبل يُمتحن ، فأتيت منزلى فأخذت مالاً له
 خطر فذهبت به الى من يدخلنى الى المجلس فأدخلونى ، فاذا بالسيوف
 قد جردت ، وبالرماح قد ركزت ، وبالتراس قد نصبت ، وبالسياط
 قد طرحت ، فالبسونى قباء أسود ومنطقة وسيفاً ، وأوقفونى حيث
 أسمع الكلام

(م - ١١ رابع)

فأتى أمير المؤمنين فجلس على كرسي، وأتى بأحمد بن حنبل فقال له : وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربك بالسياط أو تقول كما أقول ؟ ثم التفت الى جلال فقال : خذه اليك ، فأخذه . فلما ضرب سوطاً قال (بسم الله) فلما ضرب الثاني قال : (لاحول ولا قوة إلا بالله) فلما ضرب الثالث قال : « القرآن كلام الله غير مخلوق » فلما ضرب الرابع قال : (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) فضر به تسعا وعشرين سوطاً ، وكان تسعة أحمد انقطعت فنزل السروال الى عانته فقلت : الساعة ينهتك . فرمى أحمد طرفه نحو السماء وحرك شفتيه فما كان بأسرع من أن ارتقى السروال ولم ينزل . قال ميمون : فدخلت اليه بعد سبعة أيام فقلت : يا أبا عبد الله رأيتك يوم ضربوك قد انحل سروالك فرفعت طرفك نحو السماء ، ورأيتك تحرك شفتيك فأى شيء قلت ؟ قال . قلت : اللهم أسألك باسمك الذي ملأت به العرش إن كنت تعلم أنى على الصواب فلا تهتك لى سترًا

قال ابن أبي أسامة : يحكى لنا أن أحمد بن حنبل قيل له أيام المحنة : يا أبا عبد الله ألا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل ؟ فقال : كلا ، إن ظهور الباطل على الحق أن تنقل القلوب من الهدى الى الضلالة ، وقلوبنا بعد لازمة للحق

قال صالح بن أحمد : حمل أبي ومحمد بن نوح مقيدين فصرنا
معهما الى (الأنبار) فسأل أبو بكر الأحول أبي فقال : يا أبا عبد الله
إن عرضت على السيف تجيب ؟ قال : لا . ثم سيرا ، قال : فسمعت أبي
يقول : لما صرنا الى الرحبة ورحلنا منها - وذلك في جوف الليل - عرض
لنا رجل فقال : أيكم أحمد بن حنبل ؟ فقليل له : هذا ؟ فقال للجمال :
على رسلك ، ثم قال : يا هذا ما عليك أن تقتل هاهنا وتدخل الجنة
هاهنا ، ثم قال : استودعك الله ومضى ، قال أبي : فسألت عنه . فقليل
لى : هذا رجل من العرب من ربيعة يعمل الشعر في البادية يقال له :
جابر بن عامر يزكر بخير

وقال أحمد بن حنبل : ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر الذي
وقعت فيه أقوى من كلمة أعرابي كلنى بها في رحبة طوق ، قال لى :
يا أحمد إن يقتلك الحق مُتَّ شهيداً ، وإن عشت عشت حميداً ،
قال : فقوى قلبى

فكان كما قال ، لقد رفع الله عز وجل شأن أحمد بن حنبل بعد
ما امتحن بهذه المحنة وعظم عند الناس وارتفع أمره جداً
قال ابن الجوزى رحمه الله : قد بلغنا عن الشافعى رضى الله عنه
أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام يخبره بما سيقى أحمد
من الامتحان فى خلق القرآن ، ويأمره ان يعلم أحمد بذلك

قال أبو جعفر الأنباري : لما حمل أحمد بن حنبل الى المأمون
أخبرت فعبرت الفرات فاذا هو جالس في الخان فسلمت عليه فقال :
يا أبا جعفر تعنيت ؟ فقلت : ليس هذا عناء . وقلت له : يا هذا أنت
اليوم رأس ، والناس يقتدون بك ، فوالله لئن أجبته الى خلق القرآن
ليجيبن باجابتك خلق من خلق الله ، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق
من الناس كثير ؛ ومع هذا فان الرجل إن لم يقتلك فأنت تموت ولا بد
من الموت ، فاتق الله ولا تجبهن الى شيء ، فجعل أحمد يبكي ويقول :
ما شاء الله ، ما شاء الله ، ثم قال لى أحمد : يا أبا جعفر أعد على ما قلت .
فأعدت عليه ، فجعل يقول : ما شاء الله ، ما شاء الله

قيل : لما قدم أحمد للسياط أيام المحنة أغاثه الله تعالى برجل يقال له
(ابو الهيثم العيار) فوقف عنده وقال : يا أحمد أنا فلان اللص ضربت
ثمانية عشر ألف سوط لأقر فدا أقررت ، وأنا أعرف أنى على الباطل
فاحذر أن تقلق وأنت على الحق من حرارة السوط ، فكان أحمد
كلما أوجعه الضرب تذكر كلام اللص ، وكان بعد ذلك لم يزل يترحم
عليه ويقول : رحم الله أبا الهيثم

قال أحمد بن غسان : لما حملت مع أحمد الى المأمون تلقانا خادماً
وهو يبكي ومسح دموعه وهو يقول : عزّ على يا أبا عبد الله ما نزل بك .
قد جرد أمير المؤمنين سيفاً لم يجرده قط ، وبسط نطعاً لم يبسطه قط ،

ثم قال : وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رفعت السيف
عن أحمد وصاحبه حتى يقولوا : إن القرآن مخلوق . فبنا أحمد على
ركبته، ولحظ السماء بعينه ودعاء، فما مضى الثلث الأول من الليل إلا
ونحن بصيحة وضجة، فأقبل علينا خادمه وهو يقول : صدقت يا أحمد
(القرآن كلام الله غير مخلوق) لقد مات والله أمير المؤمنين ، وكان قد
لقيه قبل أن يدخل المدينة رجل من العباد فقال : احذر يا أحمد أن
يكون قدومك شؤماً على المسلمين، فإن الله تعالى قد رضى بك لهم وافداً
والناس إنما ينظرون الى ماتقول فيقولون به . فقال أحمد : حسبنا الله
ونعم الوكيل

رفع المحنة عنه

وقال ابن عياض رضى الله عنه : حبس الإمام أحمد بن حنبل
رضى الله عنه ثمانية وعشرين شهراً وكان فيها يضرب بالسياط الى أن
يفمى عليه، وينخس بالسيف ثم يرمى على الأرض ويداس عليه
ولم يزل كذلك إلى أن مات المعتصم ، وتولى بعده الواثق ، فاشتد
الأمر على أحمد وقال :

لا أسكن فى بلد الحد فيه، فأقام مختفياً لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها
حتى مات الواثق وولى المتوكل، فرفع المحنة عن أحمد وأمر باحضاره

وإكرامه وإعزازه وكتب الى الآفاق برفع المحنة عنه وإظهار السنة ،
وإن القرآن غير مخلوق وخدمت المعتزلة ، وكانوا أشد الطوائف المبتدعة
وقيل : لما دخل أحمد على المتوكل قال المتوكل لأمه : يا أمه
قد أنارت الدار بهذا الرجل ، ثم أتوا بثياب نفيسة فألبسوها له فبكى وقال :
سأمت منهم عمرى كله حتى إذا دنا أجلى بليت بهم وبدنياهم ثم نزعها
لما خرج

مرضه

قال أبو بكر المروزي : مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء ليلتين خلتا
من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ومرض تسعة
أيام ، فلما اشتدت علته وسمع الناس بها أقبلوا لعيادته فكثروا ولزموا
الباب الليل والنهار يبيتون ، وسمع السلطان بكثرة الناس فوكل السلطان
ببابه وبياب الزقاق الرابطة وأصحاب الأخبار
وكان أبو عبد الله ربما أذن للناس فيدخلون أفواجا أفواجا يسلمون
عليه فيرد عليهم يده

فلما جاءت الرابطة ، منع الناس من ذلك ، وأغلق باب الزقاق .
فسكان الناس في الشوارع والمساجد حتى تعطل بعض الباعة وحيل
بينهم وبين البيع والشراء ، وكان الرجل إذا أراد أن يدخل عليه ربما

أدخل من بعض الدور ، وربما تسلق ، وجاء أصحاب الأخبار فقعدهوا
على الباب كي يتعاهدوه بالغداة والعشي
ولما مرض عرضوا بوله على الطبيب فنظر اليه وقال : هذا بول
رجل قد فتت النغم والحزن كبده

وفاته رضي الله عنه

قد اشتدت به العلة يوم الخميس ، فلما كان يوم الجمعة اجتمع الناس
حتى ملأوا السكك والشوارع ، فلما كان صدر النهار (قبض رحمه
الله) فصاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجت
وقعد الناس ، وبعد صلاة الجمعة شيعت جنازته (فكانت وفاته ببغداد
في يوم الجمعة في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين وعمره
سبع وسبعون سنة)

ودفن في مقبرة (باب حرب) وحضر جنازته من الخلق ما لا يحصى
وازدحم الناس على قبره بعد دفنه

قال أبو الحسن التيمي عن أبيه عن جده : أنه حضر جنازة أحمد بن
حنبل قال : فمكثت طول الأسبوع رجا أن أصل الى قبره فلم أصل
من شدة ازدحام الناس عليه ، فلما كان بعد أسبوع وصلت الى القبر .
وكان لموته تأثير عظيم عند جميع الناس من مسلمين ويهود ونصارى

ومجوس ، وقيل : أسلم يوم وفاته عشرون ألفاً من اليهود والنصارى
والمجوس ، وفي رواية أخرى عشرة آلاف

تركته

مات رضى الله عنه ولم يخلف إلا ست قطع أو سبع قطع كانت
في خرقة (خرقة كان يمسح بها وجهه قدر دائقين)

تأيينه ورثاؤه

فأبنة ورثاه كثير من الشعراء ، ولندكر بعض أبيات من قصائد بعضهم
من قصيدة للهيضم بن أحمد :

« ياناعى العلم بيوم أحمدا نعت بجرأ كان يجرى مزبدا »

« ومكرمات وتقى وسؤددا صلابة في دينه تجردا »

« إذا غدا قلت الربيع قد غدا يا أحمد الخير الذى تحمدا »

« أشبهت سفيان الذى تعبدا ومسعراً دابته ومعضدا »

« أشبهتهم قناعة ومهتدى وعفة نبت بها ومقتدى »

« وكنت في هذا وذاك أوحدا سميت في هذا وذاك المفردا »

ورثاه أبو مزاحم الخاقاني فقال :

« جزى الله ابن حنبل النقيا عن الإسلام إحسانا هنيا »

« فقد أعطاه إذ صبر احتساباً على الأسواط إيماناً قويا »
 « هو الورع الذي امتحنوه قدما فألفوه علماً لا غيباً »
 « وجاء بصادق الآثار حتى أقام بذلك الدين الرضيا »
 « حبا المتوكل السنى بدءاً وعوداً أحمد المال السنيا »
 « فآثر أحمد الاقلال زهداً على الدنيا وكان بها سخيا »
 « فأحمد جامع ورعا وزهدا وعلماً نافعاً حبراً تقيا »
 « وأحمد كان للفتوى إماماً رضى للمسلمين معاً وفيها »
 « وأحمد محنة للناس طرا يميز به المعوج والسويا »
 ورثاه جعفر بن أحمد السراج فقال :

« سقى الله قبراً حل فيه ابن حنبل من الغيث وسمياً على أثره ولى »
 « على أن دعى فيه رى عظامه إذا فاض مالم يبل منها وما يلى »
 « فله رب الناس مذهب أحمد فان عليه ما حيت معولى »
 « دعوه الى (خلق القرآن) كما دعوا سواه فلم يسمع ولم يتأول »
 « ولا رده ضرب الشياط وسجنه عن السنة الغراء والمذهب الجلى »
 « ولما يزدهم والسياط تنوشه فشلت يمين الضارب المتبتل »
 « على قوله القرآن وليشهد الورى كلامك يا رب الورى كيف ماتلى »
 « فمن مبلغ أصحابه أننى به أفأخر أهل العلم فى كل محفل »
 « وألقى به الزهاد كل مطلق من الخوف دنياه طلاق التبتل »

« مناقبه إن لم تكن عالمًا بها فكشف طروس القوم غنهن واسأل »
 « لقد عاش في الناس حميدًا موفقًا وصار إلى الأخرى إلى خير منزل »
 « وإني لأرجو أن يكون شفيع من تولاه من شيخ ومن متكلم »
 « ومن حدث قد نور الله قلبه إذا سألوا عن أصله قال حنبلي »

زوجاته

تزوج رضى الله عنه بعد سن الأربعين ، وأول زوجاته (عائشة)
 بنت الفضل أم صالح من العرب ولم يولد له منها غير صالح ثم توفيت
 قال المروزي : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : أقامت
 معي أم صالح ثلاثين سنة فما اختلفت أنا وهي في كلمة
 والزوجة الثانية (ريحانة) أم عبد الله

قال زهير : لما ماتت عائشة أم صالح تزوج جدى بعدها امرأة
 من العرب يقال لها : (ريحانة) فولد له منها عيسى عبد الله ولم يولد له
 منها غيره

سراريه

كان رضى الله عنه قد اشترى جارية اسمها (حُسن)
 قال زهير بن صالح : لما توفيت أم عبد الله اشترى (حُسن)

فولدت منه أم علي (واسمها زينب) ثم ولدت الحسن والحسين
(توأمان) وماتا بالقرب من ولادتهما ، ثم ولدت الحسن ومحمداً فعاشا
حتى صارا من السن الى نحو الأربعين سنة ، ثم ولدت بعدها سعيدا
واشترى جارية ثانية بثمن يسير سماها (ربحانة) استنانا برسول الله
صلى الله عليه وسلم . فعلى هذا يكون قد اشترى جارتين إحداهما في
حياة زوجته والله أعلم

أولاده

قد ذكرنا أن (صالحا) من أم (وعبد الله) من أم ، وإن حسنا
الجارية ولدت له (الحسن والحسين) ثم ولدت ثالثا يسمى (بالحسن)
أيضاً ثم ولدت (محمداً) وولدت (سعيداً وزينب) وتكنى أم علي

ذكر نبذ من أقواله رضي الله عنه

كان رضى الله عنه يقول : يؤكل الطعام بثلاث : مع الاخوان
بالسرور ، ومع الفقراء بالإيثار ، ومع أبناء الدنيا بالمروءة
وكان يقول : إن لكل شئ كرماً ، وكرم القلب الرضى عن الله
عز وجل
وكان يقول : إذا مات أصدقاء الرجل ذل

وكتب الى سعيد بن يعقوب : بسم الله الرحمن الرحيم - من أحمد
ابن محمد الى يعقوب، أما بعد ، فان الدنيا داء ، والسلطان داء ، والعالم
طبيب، فاذا رأيت الطبيب يجر الداء الى نفسه فاحذره، والسلام عليك

نبذ من شعره

يروى أنه كان ينشد الشعر، فما يؤثر عنه أنه قال :

« إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب »
« ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ماتخفى عليه يغيب »
« لهونا عن الأعمال حتى تتابع ذنوب على آثارهن ذنوب »
« فياليت إن الله يغفر ماضى ويأذن فى توباتنا فنتوب »
« إذا ماضى القرن الذى أنت فيهم وخلفت فى قرن فأنت غريب »
وكان يقول :

« تقنى اللذادة بمن نال صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار »
« تبقى عواقب سوء من مغبتها لآخر فى لذة من بعدها النار »
وقد أنشد فى على بن المدينى الذى باع دينه بديناه فقال :

« يا بن المدينى الذى عرضت له دينا فجاء بدينه لينالها »
« ماذا دعاك الى انتحال مقالة قد كنت تزعم كافرا من قالها »
« أمر بدالك رشده فتبعته أم زهرة الدنيا أردت نوالها؟ »

« ولقد عهدتكم مرة متشددا صعب المقالة للتي ندعى لها »
« ان المرزأ من يصاب بدينه لا من يرزأ ناقة وفصاها »

المذهب الحنبلي

المذهب الحنبلي منسوب الى الإمام أحمد بن حنبل الشيباني رضى
الله عنه المولود ببغداد سنة ١٦٤ هـ والمتوفى بها سنة ٢٤١ هـ

ومذهبه رابع مذاهب أهل السنة المعمول بها ، وقد ظهر أولا في
بغداد ، ثم انتشر في كثير من بلاد الشام ؛ ولكنه ضعف الآن ، ولا
يزال يتبعه في أنحاء الشام بقسميها الشمالى والجنوبى بعض قرى لاتزاحمه
فيها مذاهب أخرى

وقد عرف مذهب الحنابلة بمصر في القرن السابع للهجرة مع أنه ظهر
بالعراق في القرن الرابع

وأول إمام من الحنابلة حل بمصر الحافظ عبد الغنى المقدسى
(صاحب العمدة) كما ذكره في رسالته المرحوم أحمد باشا تيمور

وليس للمذهب الحنبلي غلبة على قطر من الأقطار الاسلامية اللهم
إلا على البلاد النجدية الآن

والناس فيما يعشقون مذاهب . وقد أشد بعضهم في قلة عدد
المتبعين للمذهب الحنبلي فقال :

« يقولون لي قد قلّ مذهب أحمد

وكل قليل في الأنام ضئيل »

« فقلت لهم : مهلاً غلظتم بزعمكم

ألم تعلموا أن الكرام قليل ؟ »

هـ - أبو الحرث الإمام الليث بن سعد

ابن عبد الرحمن رضي الله عنه

الإمام الليث بن سعد هو الإمام الكبير القدر، المعظم الشأن في الدين والعلم والكرم

نسبه وكنيته - الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفقيه يكنى أبا الحرث، يقال :

انه مولى بنى فهم، ثم لآل خالد بن ناشر بن طاعن الفهمى، ثم من بنى كنانة بن عمرو بن القيس وكان اسمه فى ديوان مصر فى موالى بنى كنانة من فهم، وأهل بيته يقولون : نحن من الفرس من أهل أصبهان . وقال يعقوب بن سفيان : كان الليث يقول : أصلنا من أصبهان وقال أبو أحمد الحاكم : يكنى أبو الحرث الليث بن سعد مولى بنى فهم من قيس بن رفاعة

مولده - قال البخارى فى تاريخه : قال يحيى بن بكير . ولد الليث لأربع عشرة خلت من شعبان سنة أربع وتسعين . وكذا قال ابن حبان وراى يوم الجمعة . وكان مولده (بقرقشدة) على نحو أربعة فراسخ من الفسطاط

طلبه للعلم وتقدمه فيه

قال أبو صالح كاتب الليث : خرجت مع الليث في سنة إحدى وستين فشهدنا الأضحى ببغداد ، فقال لي الليث : سل عن منزل (هشيم الواسطي) فقل له : أخوك الليث المصري يقرأ عليك السلام ويسألك أن تبعث إليه شيئاً من كتبك ؟ فذهبت إليه ففعل ، فكتبت لليث منها وسمعتها من هشيم مع الليث

وروى غير واحد عن الليث قال : دخلت على نافع مولى ابن عمر فقال : من أين ؟ قلت من أهل مصر . قال : ممن ؟ قلت : من قيس . قال : ابن كم ؟ قلت : ابن عشرين . قال : أما لحيتك فلحيت ابن أربعين قال الحسن بن سعيد : خرجنا مع الليث بن سعد إلى الاسكندرية ومعه ثلاث سفائن : سفينة فيها مطبخه ، وسفينة فيها عياله ، وسفينة فيها أضيافه ، فقلنا : ياسيدي إننا نسمع منك أحاديث ليست في كتبك . فقال : أوكلما في صدري في كتبى ؟ لو وضعت مافي صدري في كتبى ماوسعته هذه السفينة

قال عمرو بن خالد لليث : بلغني أنك أخذت بركاب ابن شهاب الزهري . قال : نعم للعلم ، فأما لغير ذلك فلا ، والله ما فعلته بأحد قط

مناقبه

مروءته وكرم أخلاقه وكرمه

قال أبو صالح كاتب الليث : كنا على باب مالك بن أنس فامتنع علينا (أى احتجب) فقلنا : ليس يشبه هذا صاحبنا . قال : فسمع مالك كلامنا فأمر بادخالنا عليه فقال لنا : من صاحبكم ؟ قلنا : الليث بن سعد . قال : تشبهوني برجل كتبت اليه فى قليل عصفور نصبغ به ثياب صبياننا فانفذ الينا منه ماصبغنا به ثياب صبياننا وثياب جيراننا وبعنا الفضل بألف دينار

قال عبد الله بن صالح : صحبت الليث عشرين سنة فكان لا يتغدى وحده ، ولا يتعشى وحده إلا مع الناس

قال منصور بن عمار : أتيت الليث فأعطاني ألف دينار وقال : صن بهذه الحكمة التى آتاك الله تعالى

وقال أيضاً : كنت عند الليث جالساً فأتته امرأة ومعهما قدح فقالت له : يا أبا الحرث إن زوجي يشتكى وقد نعت (وصف) لنا العسل . فقال : اذهبي الى الوكيل فقولى له : يعطيك (مطراً) فجاء الوكيل

(م - ١٢ - رابع)

يسارّه بشيء . فقال له الليث : اذهب فاعطها مطراً ، أنها سألت بقدرها
فأعطيناها بقدرنا . قال : (والمطر عشرون ومائة رطل أو نحو مائة رطل
مصرى تقريباً)

وقال يونس بن عبد الأعلى : كان دخل الليث في كل سنة مائة
ألف دينار وما وجبت عليه زكاة قط

وقال محمد بن عبد الحكم : أنه كان يدخل لليث في كل سنة أكثر
من ثمانين ألف دينار وما وجبت عليه زكاة قط ؛ لأن الحول كان
لا ينقضى عنه حتى ينفقها ويتصدق بها

وقال ابن يونس : كان له قرية بمصر يقال لها (العرفا) يحمل اليه
من خراجها فيجعل ذلك صرراً ويجلس على باب داره ويعطى صرة
لهذا وصرة لهذا حتى لا يدع إلا اليسير من ذلك

وقال أبو حاتم بن حبان : كان الليث لا يتردد اليه أحد إلا أدخله
في جملة عياله مادام يتردد اليه ؛ ثم إن أراد الخروج زوّده بالبلغة الى
وطنه (أى باليسير من الزاد)

وحكى ابن النحوى من مناقبه قال : بلغنى عن يونس بن عبد الأعلى
الصدفى أنه قال : صودر برجل من أهل مصر في زمن الليث بن سعد
ونودى على داره فبلغت أربعة آلاف درهم ، فاشتراها الإمام الليث
ابن سعد وبعثنى أخذ المفاتيح فوجدت فيها أيتاماً وعائلة فقالوا : بالله

عليك اتركنا إلى الليل حتى ننظر خربة نذهب اليها
قال : فتركهم وجئت اليه وأخبرته بالقصة فبكى وقال : عد اليهم
وقل لهم : الدار لكم ، ولكم مايقوم بكم في كل يوم
وقال الترمذى : سمعت قتبية يقول : كان الليث في كل صلاة
يتصدق على ثلثائة مسكين

وقال أشهب : كان الليث لايرد سائلا ، وكان يطعم الناس الهرايس
بعسل النحل وسمن البقر في الشتاء ، وفي الصيف بشيء من اللوز والسكر
قال ابن وهب : كان الليث يصل مالكا كل سنة بمائة دينار ،
وكتب اليه مرة : إن على دينا فبعث اليه بخمسة دینار . وقيل : ان
الإمام مالكا أهدي اليه صنية فيها تمر فأهداها مملوءة ذهباً

زهده وقناعته

وقال يحيى بن بكير : رأيت الفقراء يزدهون على باب الليث بن
سعد وهو يتصدق عليهم حتى لم يبق أحد منهم حتى مشى وأنا معه
على سبعين بيتاً من الأرامل ، ثم انصرف

فمشيت معه فبعث غلامه بدرهم فاشتري زيتاً وخبزاً ، ثم جئت الى
بابه فرأيت أربعين ضيفاً جاء اليهم باللحم والحلوى ؛ فلما أصبح قلت
لغلامه : بالله عليك لمن الخبز والزيت ؟ فقال : يطعم ضيفانه اللحم
والحلوى ، وما رأيته يأكل إلا خبزاً وزيتاً

صدقه

قال يحيى بن بكير عن ابن وهب : دخلت على مالك فسألني عن
الليث فقال : كيف هو ؟

فقلت بخير . قال : كيف صدقه ؟ قلت : يا أبا عبد الله أنه لصدوق
قال : أما أنه إن فعل متعه الله بسمعه وبصره

ثناء الأئمة عليه

قال أحمد بن حنبل : الليث كثير العلم صحيح الحديث
وقال يحيى بن بكير : مارأيت فيمن رأيت مثل الليث ، وما رأيت
أكمل منه ، كان فقيه البلد ، عربي اللسان ، يحسن القرآن والنحو
والحديث والشعر ، والمذاكرة ، الى أن عد خمس عشرة خصلة مارأيت
مثله . وقال أيضاً : الليث أفقه من مالك ، ولكن كانت الخطوة لمالك
ولما أتى الشافعي مصر أتى قبر الليث بن سعد وقال : ما فاني
شيء كان أشد على من ابن أبي ذئب والليث بن سعد
وقال الشافعي : الليث أنفع للأثر من مالك
وروى أن الإمام الشافعي وقف على قبر الإمام الليث وقال :

للهِ دَرْكٌ يا إمام لقد حزت أربع خصال لم يكملهن عالم : العلم ، والعمل ،
والزهد ، والكرم

وقال أيضاً : الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به ،
وفي رواية عن الشافعي ضيَّعه قومه ، وفي أخرى ضيَّعه أصحابه ، أى لم
يدونوا فقهه كما دونوا فقه مالك وغيره

وقال ابن حبان : كان الليث من سادات أهل زمانه فقهاً وعلماً
وحفظاً وفضلاً وكرماً

وقال النووي في تهذيبه : أجمعوا على جلالته وأمانته وعلو مرتبته في
الفقه والحديث

وقال ابن وهب : لولا مالك والليث لضللتنا . وقال أيضاً : والله
الذي لا إله إلا هو ما رأينا أحداً قط أفقه من الليث

عظم قدره عند الخلفاء

قالوا : إن الأمراء بمصر لا يقطعون أمراً دون الليث وكانوا
يحترمونه ويعظمونه

وقال أشهب بن عبد العزيز : كان لثيث أربع مجالس كل يوم (١)
مجلس لحوائج السلطان (٢) ومجلس لأصحاب الحديث (٣) ومجلس

لأصحاب المسائل (٤) ومجلس الحوائج الناس ، لا يسأله أحد فيرده
صغرت حاجته أو كبرت

قصته مع هارون الرشيد وعفته

قال (لولو) خادم الرشيد : جرى بين هارون الرشيد وبنت عمه
زيدة بنت جعفر كلام . فقال هارون : أنت طالق إن لم أكن من
أهل الجنة ، ثم ندم ، فجمع الفقهاء فاختلفوا ، ثم كتب الى البلدان
فاستحضروا علماءها اليه . فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم فاختلفوا ؛
وبقى شيخ لم يتكلم ، وكان في آخر المجلس ، وهو الليث بن سعد ؛ قال :
فسأله ، قال : إذا خلى أمير المؤمنين مجلسه كلمته ، فصر فهم . فقال :
يدينني أمير المؤمنين - فأدناه . فقال : أتكلم على الأمان ؟ قال : نعم ،
فأمر باحضار مصحف ، فأحضر . فقال : تصفحه يا أمير المؤمنين حتى
تصل الى سورة الرحمن فاقرأها ، ففعل ، فلما انتهى الى قوله تعالى :
﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾

قال : أمسك يا أمير المؤمنين ، قل : والله ، قال : فاشتد ذلك على
هارون ؛ فقال : يا أمير المؤمنين الشرط أملك ، فقال : والله حتى فرغ
اليمين ، قال : قل إني أخاف مقام ربي ، فقال ذلك ، فقال : يا أمير
المؤمنين : (فهي جنتان وليست بجنة واحدة)

قال : قسمنا التصفيق والفرح من وراء الستر . فقال له الرشيد :
أحسن يا أبا الحرث وأمر له بالجوائز والخلع ، وأمر له باقطاع الجيزة ،
ولا يتصرف أحد بمصر إلا بأمره ، وصرفه مكرماً
وقيل : ان الرشيد أمر له بخمسة آلاف دينار فردها وقال : اذهبها
لمن هو أحوج اليها مني

قال عبد الله بن صالح : سمعت الليث بن سعد يقول : لما قدمت
على هارون الرشيد قال لي : يا ليث ما صلاح بلدكم ؟ قلت : يا أمير
المؤمنين صلاح بلدنا إجراء النيل ، وصلاح أميرها ومن رأس العين يأتي
الكدر ، فاذا صفارأس العين صفت العين . قال : صدقت يا أبا الحرث

وفاته

مات الليث بن سعد سنة خمس وسبعين ومائة في يوم الجمعة لأربع
عشرة بقيت من شعبان

وقال ابن حبان : مات في النصف من شعبان

قال خالد بن عبد السلام الصدفي : جالست الليث بن سعد وشهدت
جنازته مع أبي فما رأيت جنازة قط بعدها أعظم منها ، ورأيت الناس
كلهم عليهم الحزن ويعزى بعضهم بعضاً ، فقلت لأبي : يا أبت كان كل
واحد من هؤلاء صاحب الجنازة . فقال لي : يا بني ، الليث بن سعد كان

لأصحاب المسائل (٤) ومجلس الحوائج الناس ، لا يسأله أحد فيرده
صغرت حاجته أو كبرت

قصته مع هارون الرشيد وعفته

قال (لولو) خادم الرشيد : جرى بين هارون الرشيد وبنت عمه
زبيدة بنت جعفر كلام . فقال هارون : أنت طالق إن لم أكن من
أهل الجنة ، ثم ندم ، فجمع الفقهاء فاختلفوا ، ثم كتب الى البلدان
فاستحضروا علماءها اليه . فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم فاختلفوا ؛
وبقى شيخ لم يتكلم ، وكان في آخر المجلس ، وهو الليث بن سعد ؛ قال :
فسأله ، قال : إذا خلى أمير المؤمنين مجلسه كلمته ، فصرفهم . فقال :
يدينني أمير المؤمنين - فأدناه . فقال : أتكلم على الأمان ؟ قال : نعم ،
فأمر باحضار مصحف ، فأحضر . فقال : تصفحه يا أمير المؤمنين حتى
تصل الى سورة الرحمن فاقرأها ، ففعل ، فلما انتهى الى قوله تعالى :
﴿وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾

قال : أمسك يا أمير المؤمنين ، قل : والله ، قال : فاشتد ذلك على
هارون ؛ فقال : يا أمير المؤمنين الشرط أملك ، فقال : والله حتى فرغ
اليمين ، قال : قل لي أخاف مقام ربي ، فقال ذلك ، فقال : يا أمير
المؤمنين : (فهى جنتان وليست بجنة واحدة)

قال : قسمنا التصفيق والفرح من وراء الستر . فقال له الرشيد :
أحسن يا أبا الحرث وأمر له بالجوائز والخلع ، وأمر له باقطاع الجيزة ،
ولا يتصرف أحد بمصر إلا بأمره ، وصرفه مكرماً
وقيل : ان الرشيد أمر له بخمسة آلاف دينار فردها وقال : ارفعها
لمن هو أحوج اليها مني

قال عبد الله بن صالح : سمعت الليث بن سعد يقول : لما قدمت
على هارون الرشيد قال لي : يا ليث ما صلاح بلدكم ؟ قلت : يا أمير
المؤمنين صلاح بلدنا إجراء النبل ، وصلاح أميرها ومن رأس العين يأتي
السكر ، فاذا صفارأس العين صفت العين . قال : صدقت يا أبا الحرث

وفاته

مات الليث بن سعد سنة خمس وسبعين ومائة في يوم الجمعة لأربع
عشرة بقيت من شعبان

وقال ابن حبان : مات في النصف من شعبان

قال خالد بن عبد السلام الصدفي : جالست الليث بن سعد وشهدت
جنازته مع أبي فما رأيت جنازة قط بعدها أعظم منها ، ورأيت الناس
كلهم عليهم الحزن ويعزى بعضهم بعضاً ، فقلت لأبي : يا أبت كان كل
واحد من هؤلاء صاحب الجنازة . فقال لي : يا بني ، الليث بن سعد كان

عالمًا كريمًا ، حسن العقل ، كثير الأفضال ، يابني لا ترى مثله أبداً
وقد عاش إحدى وثمانين سنة ودفن في مقابر الصدفى بالقرافة
الصغرى

ولده

ولده (شعيب) كان من أجل العلماء ومعدود من المحدثين ، وكان
كريمًا كوالده

قال ابن أبي الدنيا : حج شعيب بن الليث سنة من السنين فتصدق
بمال عظيم فمرّ عليه رجل من العلماء فسأل عنه . فقيل له : هذا العالم
ابن العالم ، الكريم ابن الكريم

ولما فقد أباه بعد موته رحل الى الشام ودخل دمشق فجاءه رجل
وقال : أنا عبد أبيك ومعى لأبيك تجارة بألفي دينار ، وأنا الآن في
الرق فخذ مال أبيك واعتقني إن شئت ، وإلا فبعني فقال : أنت حرّ ،
والمال الذى بيدك هبة منى اليك

قال الخطابي : فلا أدري أيهما أفضل ؟ العبد فى إقراره بالمال ، أم
السيد حين أعطاه المال ؟

وحكى عنه أيضاً : أنه جاءه إنسان فقال له : ياسيدى كان والدك
يعطينى فى كل سنة مائة دينار

فأعطاه مائة دينار إلا دينارا، فقال : يا سيدي أعجزت عن دينار؟
فقال : لا ؛ ولكنني فعلت ذلك تأدبا مع والدي

وكان والده رضى الله عنه قد أوصاه بحفظ العلم ودرس الحديث
وقد مات بعد أبيه ودفن بجواره ، وقبره الآن أمام قبر أبيه في
المكان الذى يلي المصطبة المقابلة لباب المشهد ، وعلى مكانه باب مغلق
وليس فى المكان قبر سواه

ومعه فى القبر محمد بن هارن الصدفى وهو أخوه لأمه

٦ - الامام سفيان بن سعيد الثوري

ولد سنة ٩٧ هـ - وتوفي سنة ١٥٥ هـ

نسبه - أبو عبد الله سفيان بن سعيد . بن مسروق . بن حبيب .
ابن رافع . بن عبد الله . بن وهب . بن أبي . بن عبد الله . بن منقذ
ابن نصر . بن الحكم . بن الحرث . بن ثعلبة . بن ملكان . بن ثور .
ابن عبد مناة . بن أد . بن طابخة . بن الياس . بن مضر . بن نزار .
ابن معد . بن عدنان الثوري الكوفي

مولده - ولد في سنة خمس ، وقيل ست ، وقيل سبع وتسعين
للهجرة بالكوفة

بعض مناقبه - كان رضى الله عنه إماماً في الحديث وغيره من
العلوم ، وكانوا يسمونه : أمير المؤمنين في الحديث ، وأجمع الناس على
دينه ، وورعه ، وزهده ، وثقته

وهو أحد الأئمة المجتهدين . ويقال : أن الشيخ أبا القاسم الجنيد
كان على مذهبه

قال سفيان بن عيينة : مارأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من
سفيان الثوري

وقال مالك : كانت العراق تجيش علينا بالدرهم والثياب ، ثم صارت
تجيش علينا بالعلم منذ جاء سفيان الثوري
وقال أبو اسحق الفزاري : لو خيرت هذه الأمة لما اخترت لها
إلا سفيان الثوري

وقال الخطيب : كان سفيان الثوري إماماً من أئمة المسلمين وعلماء
من أعلام الدين ، مجعماً على إمامته بحيث يستغنى عن تزكيته مع
الاتقان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد . وكان يمكث اليومين
والثلاثة لا يأكل كل حتى يضربه الجوع شغلاً عنه بما هو فيه من العبادة .
وكان لا يجلس في صدر مجلس قط ؛ إنما كان يقعد في جنب حائط يجمع
بين كتبه

سمع سفيان الثوري الحديث من أبي اسحق السبّعي ، والأعمش
ومن في طبقتهم ، وسمع منه الأوزاعي وابن جريج ، ومحمد بن اسحق ،
ومالك ، وتلك الطبقة

وحكى عن أبي صالح شعيب بن حرب المدائني ، وكان أحد السادة
الأئمة الأكابر في الحفظ والدين أنه قال : انني لأحسب يُجاء بسفيان
الثوري يوم القيامة حجة من الله على الخلق يقال لهم : لم تدركوا نبياكم
عليه أفضل الصلاة والسلام ، فلقد رأيتم سفيان الثوري ألا اقتديتم به ؟

وكان رضى الله عنه جريئاً على الخلفاء والأمرء لا يخشى فى الحق
لومة لأثم

سفيان الثورى والمهدى

ذكر المسعودى فى مروج الذهب مأماله : قال القعقاع بن حكيم :
كنت عند المهدى وأتى سفيان الثورى ، فلما دخل عليه سلم تسليم
العامة ، ولم يسلم بالخلافة ، والربيع قائم على رأسه متكئاً على سيفه ،
يرقب أمره ، فأقبل عليه المهدى بوجه طلق وقال له :

يا سفيان تفرّ منا ههنا وههنا وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك ،
فقد قدرنا عليك الآن ، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا ؟

قال سفيان : إن تحكّم فيّ يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل
فقال الربيع : يأمر المؤمنين ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا ؟
اثذن لى أن أضرب عنقه

فقال له المهدى : اسكت ، ويلك ، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن
تقتلهم فنشقى بسعادتهم ، اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على ألا
يعترض عليه فى حكم

امتناعه عن قضاء الكوفة

فكتب عهده ، ودفع اليه ، فأخذه وخرج ، فرمى به في دجلة
وهرب ، فطلب في كل بلد فلم يوجد ، ولما امتنع من قضاء الكوفة
وتولاه شريك بن عبد الله النخعي قال الشاعر :

« تحرز سفیان وفرّاً بدينه وأمسى شريك مرصداً للدرهم »
وكان يقول للمهدى في وجهه : احذر من هؤلاء الأعوان والمتردين
اليك من الفقراء ، فإن هلاكك على أيديهم ، يأكلون طعامك ، ويأخذون
دراهمك ، ويغشونك ، ويمدحونك بما ليس فيك

سفيان الثوري وأبو جعفر المنصور

بعث أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين الحشابين أمامه حين خرج الى
مكة وقال : إذا رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه ، فوصلوا الى مكة ونصبوا
الخشب وجاءوا اليه ، فوجدوه نائماً رأسه في حجر الفضيل ابن عياض
ورجله في حجر سفيان بن عيينة فقالوا : يا أبا عبد الله اتق الله ،
ولا تشمت بنا الأعداء ، فتقدم الى استار الكعبة فأخذها وقال :
برئت منه إن دخلها أبو جعفر ، فمات قبل أن يدخل مكة

وفاته

خرج من الكوفة الى البصرة سنة ١٥٥ خمس وخمسين ومائة
وتوفى رضى الله عنه بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة ، متواريا من
السلطان ، ودفن عشاء رحمه الله تعالى ، ولم يعقب ، وقوموا ثياب
الثورى التى عليه حتى النعل فبلغ درهما وأربعة دوانق ، وهذا دليل
كاف على زهده وورعه

نبذ من أقواله وحكمه

كان رضى الله عنه يقول : لا ينبغي للرجل أن يطلب العلم والحديث
حتى يعمل فى الأدب عشرين سنة . من تصدر للعلم قبل أن يحتاج
اليه أورثه ذلك ذلًا . لو علمت من الناس أنهم يريدون بالعلم وجه الله
تعالى لأتيت الى بيوتهم فعلمتهم ؛ ولكن إنما يريدون به مجازاة الناس
وأن يقولوا حدثنا سفيان ، وكانوا إذا قالوا حدثنا يقول : ما أراكم أهلا
للحديث ، ولا أرى نفسى أهلا لأن أحدث ، وما مثلى ومثلكم إلا كما
قال القائل : افتضحوا فاصطلحوا . أحب لطالب العلم أن يكون فى
كفاية فان الافات وألسن الناس تسرع اليه اذا احتاج وذل . إنما
يطلب العلم ليتقى به الله تعالى فمن ثم فضل على غيره ، ولولا ذلك كان

كسائر الأشياء . أول العلم طلبه ، ثم العمل به ، ثم الصمت ، ثم نظره ،
ولو أن أهل العلم أخلصوا فيه ما كان عمل أفضل منه . من رأى نفسه
على أخيه بالعلم والعمل حبط أجر عمله وعلمه ، ولعل أخاه يكون أروع
منه على حرم الله عز وجل . إذا رأيت العالم يلوذ بياب السطان فاعلموا
أنه لص ، وإذا رأيت موه يلوذ بياب الأغنياء فاعلموا أنه مُراء . إذا فسد
العلماء فمن يصلحهم ؟ وفسادهم يميلهم الى الدنيا ؛ وإذا جر الطيب
الداء الى نفسه فكيف يداوى غيره ؟

وكان يقول رضى الله عنه : قد ظهر من الناس الآن أمور يشتهي
الرجل أن يموت قبلها ، وما كنا نظن أننا نعيش لها . ما كنت أظن أن
أعيش الى زمان اذا ذكرت الأحياء ماتت القلوب ، وإذا ذكرت
الأموات حيّت القلوب . المال فى زماننا هذا سلاح للمؤمن . الحلال
فى زماننا لا يحتتمل السرف . لابد لمن يحتاج الى الناس أن يبذل لهم
دينه فيما يحتاج ، فيمسك على ما بيده من المال . لا تجب أخاك الى طعام
إلا اذا كنت ترى أن قلبك يصلح على طعامه

وكان يقول : إذا بلغك عن قرية أن بها رخصاً فارحل اليها فانه
أسلم لقلبك ودينك وأقل همك . لا تصحب فى السفر من يتكرم
عليك ، فإنك إن ساوئته فى النفقة أضربك ، وإن تفضل عليك
استعبدك

الزهد في الدنيا هو قصر الأمل ، ليس بأكل الحشن ، ولا بلبس الغليظ والعبادة . إزهد في الدنيا ونم لالك ولا عليك . إن الرجل ليكون عنده المال وهو زاهد في الدنيا ، وإن الرجل ليكون فقيراً وهو راغب فيها . أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام

وكان يرد ما يعطاه ويقول : لو أنى أعلم فيهم أنهم لا يفتخرون علىّ بعطائهم لأخذته منهم ، ولذلك كان يجوع ولا يقترض ويقول : أنهم لا يكتمون ذلك ؛ بل يروح أحدهم ويقول : جاءني سفيان الثوري البارحة واقترض مني كذا

وسئل عن رجل يكتسب لعياله ولوصلي في الجماعة لفاته القيام عليهم ماذا يصنع ؟

قال : يكتسب لهم قوتهم ويصلي وحده
وكان يقول : إذا سمعتم ببدعة فلا تحكوها لأصحابكم ، ولا تقوها في قلوبكم . قد قلّ أهل السنة والجماعة في زماننا هذا

ونصح يوماً انساناً رآه في خدمة المولاة فقال : فما أصنع بعيالي ؟ فقال : ألا تسمعون لهذا ؟ يقول : أنه اذا عصى الله رزق عياله ، وإذا أطاعه ضيعهم ؛ ثم قال : لا تقتدوا قط بصاحب عيال فانه قلّ صاحب عيال أن يسلم من التخليط وعذره دائماً في أكل الشبهات والحرام قوله عيالى . لا طاعة للوالدين في الشبهات

قيل له : ألا تدخل على الولاية فتحفظ ، وتعظمهم ، وتنهاهم ؟ فقال :
تأمروني أن أسبح في بحر ولا تبتل قدماي ، إني أخاف أن يترجوا بي
فأميل اليهم فيحبط عملي

شكى إليه رجل مصيبتة فقال : قم عني ، ما وجدت أحداً أهون في
عينيك مني تشكو الله تعالى عنده ، اصبر واذكر قول الله تعالى :
« إنا لله وإنا إليه راجعون »

وكان يقول : إذا أرضيت ربك أسخطت الناس ، وإذا أسخطتهم
فتهياً للسهام ، والتهيو للسهام أحب من أن يذهب دين الرجل

وكتب إلى عابد من العباد : اعلم يا أخي أنك في زمان كان أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذون أن يدركوه ومعهم من العلم
ماليس معنا ، ولهم من القدم ماليس لنا ، فكيف بنا حين أدركناه على
قلة العلم ، وقلة الصبر ، وقلة الأعوان على الخير ، وفساد في الزمان ؟
فعليك بالأمر الأول والتمسك به ، وعليك بالتحول ، فإن هذا
زمان خمول ، وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس ، فقد كان الناس إذا

التقوا ينتفع بعضهم ببعض ، فأما اليوم فقد ذهب ذلك ، فالنجاة
الآن في تركهم فيما نرى

وإياك يا أخى والأمر أن تدنو منهم ، أو تخالطهم فى شىء من
الأشياء ، ويقال لك : تشفع أو تدرأ عن مظلوم ، أو ترد مظلمة ، فإن
ذلك من خديعة إبليس ؛ وإنما اتخذ ذلك القراء سُلماً للقرب منهم ،
واصطياداً للدنيا بذلك

٧- الامام أبي عمرو الاوزاعي

خلاصة ما كتبه الأستاذ العلامة الأمير شبيب أرسلان بشأنه
في كتابه « محاسن المساعي » الذي ظهر حديثاً وطبع بمطبعة الحلبي
نسبه ومولده - هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي
نسبة الى (أوزاع) وهي قرية بالشام ، ولد في (بعلبك) سنة ثمان
وثمانين وقيل : سنة ثلاث وتسعين

نشأته - نشأ بالبقاع يتيمًا في حجر أمه ، وكانت تنتقل به من بلد الى
بلد إلى أن بلغته ، حيث رآته ، وتأدب بنفسه ، فلم يكن في أبناء الملوك
والخلفاء والوزراء والتجار وغيرهم أعقل منه ، ولا أروع ، ولا أعلم ،
ولا أنصح ، ولا أوفر ، ولا أحلم ، ولا أكثر صمتًا ما تكلم بكلمة
إلا كان المتعين على من يسمعه من جلسائه أن يكتبها عنه من
حسنها

صفاته الخلقية - كان فوق الرتبة ، خفيف اللحية ، به سمره ، وكان
يخضب بالحناء

علمه ومكانته - كان رضى الله عنه عالمًا ، ساد أهل زمانه وسائر
البلاد في الفقه والحديث والمغازي وغير ذلك من علوم الإسلام ، وقد

أدرك خلقاً من التابعين وغيرهم ، وحدث عنه جماعات من سادات المسلمين كمالك بن أنس ، والثوري ، والزهرى ، وهو من شيوخه وكان رضى الله عنه من الطبقة الأولى فى مجتهدى الإسلام ، لا يتأخر مكانه عن مكان الأئمة الأربعة : أبى حنيفة النعمان ، ومالك ابن أنس ، ومحمد بن إدريس الشافعى ، وأحمد بن حنبل رضى الله عنهم جميعاً

وكان رحمه الله إمام أهل الشام باجماع المؤرخين ، وتبعاً لانتشار مذهبه فى الشام انتشر فى الأندلس ، وأول من أدخله فيها صمصمة ابن سلام لما انتقل إليها ويقال : إن أهل الشام لبثوا يعملون بمذهب الأوزاعى فى الفقه نحواً من مائتين وعشرين سنة إلى أن غلب عليهم مذهب الشافعى ؛ وإن أهل الأندلس لبثوا يعملون به الى زمن الأمير هشام بن عبد الرحمن الأموى إلى أن غلب مذهب مالك على تلك الديار ، وذلك فى أوائل المائتين للهجرة

ولم يكن الأوزاعى عالماً كباقي العلماء ؛ بل كان عالماً وعاملاً يطبق العلم على العمل ، ولا يكتفى بالحفظ والنظر

عبادته وورعه - وكان ممن يهمة أمر الأمة بأجمعها ، ومن لا يقتصر على الصلاة والعبادة مبتغياً بها رضا الله تعالى ، والنجاة بنفسه دون

السعي لتوزيع العدالة في خلقه ، وإراحة عباد الله أجمعين ؛ بل كان رحمه الله مع شدة ورعه ، وكثرة عبادته يعمل بالحديث الشريف :
« عدل ساعة خير من عبادة ألف شهر »

ولهذا كان مالك رضى الله عنه يقول عن الأوزاعي : أنه يصلح للإمامة

وكان أبو اسحاق الفزاري يقول : الأوزاعي رجل عامة ، ولو خيرت لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعي ، أى إماماً وخليفة

سياسته ونصحه للملوك والخلفاء - لقد كان رحمه الله يتعرض للسياسة العامة ، وينصح للملوك والخلفاء ، ويغلظ لهم القول إذا رأى من أعمالهم ما يضر بالأمة ، وكان على ما يوجبه الإسلام من إتياء كل إنسان حقه بدون تمييز بين الأديان والمذاهب

وبالجملة كان الأوزاعي من أحسن الأمثلة المجسمة البارزة عن معالى الإسلام ، الدالة على أنه دين العدل والإحسان ، دين المحافظة على حقوق الأنام

كرمه وسخاؤه - كان رحمه الله من أكرم الناس وأسخاهم ، وكان له في بيت المال من الخلفاء أقطاع ، صار إليه من بنى أمية وأقاربهم وبنى العباس نحو من سبعين ألف دينار ، وكان ينفقها كلها ولا يدخر منها شيئاً ، وكان أكثر إنفاقه في سبيل الله ، وعلى الفقراء والمساكين

شجاعته وجراسته - كان رحمه الله من الجراءة على الخلفاء والأمراء ما يقل نظيره في تاريخ الإسلام ، ولعمري لو كان العلماء الذين من صنف الأوزاعي عدداً كبيراً في الإسلام لما أسرع الفساد الى المجتمع الإسلامي ، ولما انحطت دول الإسلام بعد ذلك العلو في الأرض وقل في الإسلام من كان يصادم الخلفاء في مآربهم ، ويوبخهم في وجوههم ، ونذكر بعضهم : وذلك مثل عالم المدينة أبي الحارث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب العامري الزاهد الورع الذي قال للمنصور يوماً : الظلم ببابك فاش

ومثل أحمد بن نصر الخزاعي الشهير الذي كان قوَّالاً بالحق ، أماراً بالمعروف ، وقتله الواثق بالله لكونه أغلظ له في الحق وقال له : مه يا صبي ومثل أحمد بن حنبل الذي خاصم المأمون في مسألة خلق القرآن ولم يتزعزع عن قوله رغم كل ما أصابه ،

ومثل أبي حنيفة النعمان الذي تعرض للعذاب ولم يقبل القضاء . ومثل القاضي مصعب بن عمران الذي أراه الأمير عبد الرحمن بن معاوية الأموي على قضاء قرطبة والأندلس فأبى أشد الإباء وأصر عليه الأمير الى حد الغضب وبقي على إصراره ومثل قاضي مصر المشهور بالعدل والهيبة أبي عبيد بن حريبه الذي

كان أمير مصر يركب الى داره ، وهو لم يكن يركب الى دار الأمير

الأوزاعى وأبو جعفر المنصور

اجتمع الأوزاعى بالمنصور حين قدم الشام ووعظه فأجبه المنصور وعظمه ، ولما أراد الانصراف من بين يديه استأذنه ألا يلبس السواد فأذن له

فلما خرج قال المنصور للربيع (الحاجب) الحقه فأسأله لِمَ كره لبس السواد ؟ ولا تعلمه أنى قلت لك . فسأله الربيع ، فقال : لأننى لم أرَ مُحَرَّمًا أحرم فيه ، ولا ميثمًا كفن فيه ، ولا عروسًا جليت فيه ، فلهذا أكرهه وكتب أبو جعفر المنصور الى الأوزاعى الكتاب الآتى :

أما بعد ، فقد جعل أمير المؤمنين فى عنقك ما جعل الله لرعيته قبلك فى عنقه ، فاكتب اليه بما رأيت فيه المصلحة فكتب الأوزاعى اليه :

أما بعد ، فعليك يا أمير المؤمنين بتقوى الله عز وجل ، وتواضع يرفعاك الله تعالى يوم يضع المتكبرين فى الأرض بغير الحق واعلم أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تزيد حق الله تعالى عليك إلا وجوبًا

وكتب أيضاً الأوزاعي الى أبي جعفر المنصور كتاباً طويلاً
ابتدأه بقوله :

أما بعد ، فإن الله تعالى استرعاك هذه الأمة لتكون فيها بالقسط
قائماً ، وبنبيه صلى الله عليه وسلم في خفض الجناح والرافة متشبهاً .
وختمه بقوله : يأمر المؤمنين إن أشد الشدة القيام بحق الله ، وإن
أكرم الكرم عند الله التقوى ، إن من طلب العز بطاعة الله تعالى
رفعه الله تعالى ، ومن طلبه بمعصية أذله الله تعالى ووضعه ، هذه
نصيحتي اليك والسلام عليك

وفاته وسببها

توفي لرحمة مولاه في سنة سبع وخمسين ومائة ، يوم الأحد لليلتين
بقيتا من صفر ، وقيل في شهر ربيع الأول ، بمدينة بيروت ، ودفن في
قرية على باب بيروت يقال لها (خموس) وأهلها مسلمون
وهو مدفون في قبلة المسجد ، وأهل القرية لا يعرفونه ؛ بل يقولون :
ههنا رجل صالح ينزل عليه النور ، ولا يعرفه إلا الخواص من الناس ،
وهو مفخرة مسلمي بيروت ولبنان بنوع خاص
أما سبب وفاته فذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق : أن
الأوزاعي دخل الحمام ببيروت ، وكان لصاحب الحمام شغل فأغلق

الحمام عليه وذهب ؛ ثم جاء ففتح الباب فوجده ميتاً قد وضع يده اليمنى
تحت خده وهو مستقبل القبلة
وقيل : ان امرأته فعلت ذلك ولم تكن عامدة لذلك ، فأمرها
سعيد بن عبد العزيز بعنق رقبة

تأيينه

لما توفي رحمه الله رثاه بعضهم بقوله :
« جاد الحيا بالشام كل عشية قبراً تضمن لحده الأوزاعي »
« قبر تضمن فيه طود شريعة سقياً له من عالم نقاع »
« عرضت له الدنيا فأعرض مقلعاً عنها بزهد أيما إقلاع »

نبد من أقواله وحكمه

كان رحمه الله يقول : عليك بأثار من سلف وإن رفضك الناس ؛
وإياك وأقوال الرجال وإن زخرفوه وحسنوه ، فإن الأمر ينجلي وأنت
منه على طريق مستقيم
وقال : إن المؤمن يقول قليلاً ويعمل كثيراً ، وإن المنافق يقول
كثيراً ويعمل قليلاً
إن الميت يجد ألم الموت ما لم يبعث من قبره ، أو إلى أن يبعث من قبره

إِنَّ فِي السَّمَاءِ مَلَكًا يَنَادِي كُلَّ يَوْمٍ ، أَلَا لَيْتَ الْخَالِقَ لَمْ يُخْلَقُوا ،
وَيَا لَيْتَهُمْ إِذْ خَلَقُوا عَرَفُوا لِمَ خَلَقُوا ، وَجَلَسُوا فَذَكَّرُوا مَا عَمَلُوا ، يَعْنِي
فَنَدِمُوا وَاسْتَغْفَرُوا

وَكَانَ يَقُولُ : خَمْسَ كَانَ عَلَيْهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِأَحْسَانٍ :

لِزُومِ الْجَمَاعَةِ ، وَاتِّبَاعِ السَّنَةِ ، وَعِمَارَةِ الْمَسْجِدِ ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ،
وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

وَقَالَ : مَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ كَفَاهُ الْيَسِيرُ ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ
مَنْطِقَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ

وَقَالَ : قَالَ لِي أَبِي : لَوْ قَبَلْنَا مِنَ النَّاسِ كُلِّ مَا يَعْطُونَنَا لَهَذَا عَلَيْهِمُ
وَقَالَ : اصْبِرْ بِنَفْسِكَ عَلَى السَّنَةِ ، وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ ، وَقُلْ بِمَا
قَالُوا ، وَكَفْ عَمَّا كَفُّوا عَنْهُ ، وَاسْلُكْ سَبِيلَ السَّلَفِ الصَّالِحِ ، فَإِنَّهُ يَسْعُكَ
مَا وَسَعَهُ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِالْقَوْلِ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ وَالْقَوْلُ إِلَّا
بِالْعَمَلِ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ وَالْقَوْلُ وَالْعَمَلُ إِلَّا بِنِيَّةٍ مُوَافِقَةٍ لِلْسَّنَةِ

قَالَ : كَانَ مِنْ مَضَى مِنْ سَلَفُنَا لَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ ،
فَالْعَمَلُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَالْإِيمَانُ مِنَ الْعَمَلِ ، وَإِنَّمَا الْإِيمَانُ اسْمُ جَامِعٍ
فَمَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ ، وَعَرَفَ بَقَلْبِهِ ، وَصَدَّقَ ذَلِكَ بِعَمَلِهِ ، فَتِلْكَ الْعُرْوَةُ
الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ، وَمَنْ قَالَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَعْرِفْ بَقَلْبِهِ وَلَمْ يَصْدُقْ بِعَمَلِهِ
لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ وَكَانَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ

ثانياً - مناقب الائمة الصالحين الأختيار

من آل بيت النبي المختار

١ - مناقب سيدنا الحسن السبط

ولد سنة ٣ هـ وتوفي سنة ٥٠ هـ

نسبه الشريف - هو الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما،
وأمه السيدة البتول سيدة النساء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم، وهذا أشرف نسب

مولده - ولد الحسن رضي الله عنه بالمدينة المنورة في منتصف
رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وهو أول أولاد الإمام علي رضي الله
عنهما، والسيدة فاطمة سيدة نساء العالمين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت عميس وأم سلمة
رضي الله عنهما: أحضرا فاطمة فاذا وقع ولدها واستهل صارخاً فاذنّا في
أذنه اليمنى، وأقما في أذنه اليسرى، فإنه لا يفعل ذلك بمثله إلا عَصَمَ
من الشيطان، ولا تحدثا شيئاً حتى آتيكما

فلما ولدت السيدة فاطمة فعلتا ما أمرها به الرسول عليه الصلاة

والسلام ، وأتى الرسول فسرّه ولباه بريقه وقال : اللهم إني أعيزه بك
وذريته من الشيطان الرجيم

ولما كان اليوم السابع من مولده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ما سميتموه ؟ قالوا : حرباً (لميل العرب الى الشجاعة) قال : بل سموه
حسناً. وقال : يافاطمة إحلقى رأسه ، وتصدقى بزنة شعره فضة ، فوزناه
فكان وزنه درهماً أو بعض درهم ، ثم طلى رأسه بيده المباركة وختمه
صلى الله عليه وسلم

وقد أرضعته (أم الفضل) امرأة العباس بن عبد المطلب

كنيته وألقابه

كنيته أبو محمد : وأما ألقابه فكثيرة وهى : التقي ، والزكى ، والسيد
والسبط (ولد الولد ^(١)) والولى ، وأكثرها شهرة التقي ، وأعلىها رتبة ما لقبه
به النبي صلى الله عليه وسلم ، كما فى الحديث الصحيح أن ابنى هذا (سيد)

شبهه بالنبي ﷺ

روى البخارى فى صحيحه عن عقبة بن الحارث قال : صلى أبو بكر
رضى الله عنه العصر ثم خرج يمشى ومعه على رضى الله عنهما ، فرأى
الحسن رضى الله عنه يلعب مع الصبيان فحملة أبو بكر رضى الله عنه على

(١) ويغلب على ولد البنت

عاقته وقال : بأبي شبيهة بالنبي صلى الله عليه وسلم ليس شبيهاً بعلى .
قال : وعلى رضى الله عنه يتسم

الأحاديث التي وردت في فضله وتعظيمه

وقد ورد في فضله رضى الله عنه أحاديث كثيرة : فمن ذلك ما رواه البخارى ومسلم مرفوعا الى البراء رضى الله عنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والحسن بن على على عاتقه وهو يقول : اللهم إني أحبه فأحبه وروى الترمذى مرفوعا الى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل الحسن بن على رضى الله عنهما فقال رجل : نعم المركب ركبت يا غلام . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : ونعم الراكب هو

وروى عن الحافظ أبى نعيم فيما أورده فى حديثه عن أبى بكر رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بنا فيجئ الحسن رضى الله عنه وهو ساجد وهو إذ ذاك صغير فيجلس على ظهره ، ومرة على رقبته ، فيرفعه النبي صلى الله عليه وسلم رفعا رقيقا ، فلما فرغ من الصلاة قالوا : يا رسول الله إنا رأيناك تصنع بهذا الصبي شيئا ما رأيناك تصنعه بأحد . فقال : إن هذا ربحانتي وإن ابني هذا سيد ، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين

وروى الترمذى عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هما ريحانتاى من الجنة

وروى أنه صلى الله عليه وسلم مرّ بالحسن والحسين وهما يلعبان فطأطأ لهما عنقه وحملهما وقال : نعم المطية مطيتهما ، ونعم الراكبان هما . وكان صلى الله عليه وسلم يعوذهما بالكلمات الآتية :

أعني كما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة

مناقبه

أدبه وتواضعه ورده للجميل بالاحسان

يحكى عن الحسن بن الإمام على رضى الله عنهما حكاية تدل على رده للجميل وشكره على المعروف وأدبه وتواضعه وذلك :

أنه مرّ بصبيان من المساكين الذين يسألون الناس على الطرق وقد نثروا كسراً على الأرض ولقماً من العيش

وكان الحسن على بغلته ، فلما مرّ بهم سلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا : هَلُمَّ الغداء يا بن رسول الله ؟ فقال : نعم (إن الله لا يحب

المتكبرين) ثم ثنى وركه فنزل عن دابته ، وقعد معهم على الأرض وأقبل يأكل

وبعد أن فرغوا من الأكل - وكان الخبز الذى معهم قليلاً - قام سيدنا الحسن وأركبهم معه الى منزله ، ثم أطعمهم أنواعاً من الأكل ، وكساهم بعد ذلك

فلما سُئِلَ فى سبب إطعامهم وكسوتهم ؟ قال : الفضل لهم ؛ لأنهم لم يجدوا معهم غير قطع الخبز الذى أطعموني ؛ ولكنى أجد كثيراً مما أعطيتهم ، فيجب أن أقابل الحسنة بمثلاً أو بأحسن منها

كرمه

كان رضى الله عنه كريماً ، فمن كرمه ما نقل عنه : أنه سمع رجلاً يسأل ربه أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فانصرف الحسن الى منزله وبعث بها اليه

ومنه أن رجلاً سأله وشكا اليه حاله ، فدعا الحسن وكيه وجعل يحاسبه على نفقاته ومقبوضاته حتى استقصاها فقال له : هات الفاضل ؟ فأخضر خمسين ألف درهم ؛ ثم قال : ما فعلت باخمسائة دينار التى معك ؟ قال : عندى . قال : فأخضرها . فلما أخضرها دفع الدراهم والدنانير الى الرجل واعتذر منه

قصته مع العجوز التي أكرمها بألف شاة وألف دينار

روى أبو الحسن المدائني قال : خرج الحسن والحسين ، وعبد الله ابن جعفر رضي الله عنهم حُجاجاً الى بيت الله الحرام ، فلما كانوا ببعض الطريق جاعوا وعطشوا وقد فاتهم أثقالهم ، فنظروا الى خباء فقصدوه فاذا فيه عجوز ، فقالوا : هل من شراب ؟ فقالت : نعم . فأناخوا بها وليس عندها إلا شاة فقالت : احلبوها واشربوا لبنها . ففعلوا ذلك ، وأقاموا عندها حتى أبردوا . فلما ارتحلوا من عندها قالوا لها : يا هذه نحن نفر من قریش نريد هذا الوجه ، فاذا رجعنا سالمين فألمى بنا فانا صانعون بك خيراً إن شاء الله تعالى ؛ ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته الخبر فغضب وقال :

وَيْحَكَ تَذْبِجِينَ شَاتِنَا لِقَوْمٍ لَا نَعْرِفُهُمْ ثُمَّ تَقُولِينَ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ
ثُمَّ بَعْدَ زَمَنٍ طَوِيلٍ أَصَابَتِ الْمَرْأَةَ وَزَوْجُهَا الْفَاقَةُ فَاضْطَرَّتْهُمْ الْحَاجَةُ
إِلَى دُخُولِ الْمَدِينَةِ فَدَخَلَهَا يَلْتَقِطَانِ الْبَعْرَ ، فَمَرَّتِ الْعَجُوزُ فِي بَعْضِ
سُكَّكَ الْمَدِينَةِ وَمَعَهَا مَكْتَلُهَا تَلْتَقِطُ فِيهِ الْبَعْرَ وَالْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
جَالِسٌ عَلَى بَابِ دَارِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَعَرَفَهَا فَنَادَاهَا وَقَالَ لَهَا :
يَا أُمَةَ اللَّهِ هَلْ تَعْرِفِينِي ؟ فَقَالَتْ : لَا . فَقَالَ : أَنَا أَحَدُ ضِيَوفِكَ
يَوْمَ كَذَابَةِ كَذَا فِي الْمَنْزِلِ الْفُلَانِي ، فَقَالَتْ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَسْتَ أَعْرِفُكَ

قال : فان لم تعرفيني فأنا أعرفك ، فأمر غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة وأعطاه ألف دينار ، وبعث بها مع غلامه الى أخيه الحسين رضى الله عنه ، فلما دخل بها الغلام على أخيه الحسين عرفها وقال : بكم وصلها أخى الحسن ؟ فأخبره الغلام ، فأمر لها بمثل ذلك ثم بعث بها الغلام الى عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما ، فلما دخلت عليه عرفها وأخبره الغلام بما فعل معها الحسن والحسين رضى الله عنهما فقال : والله لو بدأت بى لأتعبتهما ، وأمر لها بألفى شاة وألفى دينار ، فرجعت وهى من أغنى الناس

تصدقته ومواساته للفقراء

وكان رضى الله عنه من شدة كرمه يواسى الفقراء ولا يرد سائلاً فقيل له : لأى شىء نراك لاترد سائلاً وإن كنت على فاقة ؟ فقال : إني لله سائل ، وفيه راجب ، وأنا أستحي أن أكون سائلاً وأرد سائلاً ، وإن الله تعالى عودنى عادة ، عودنى أن يفيض نعمة على ، وعودته أن أفيض نعمة على الناس ، فأخشى إن قطعت أن يمنعنى العادة، وأنشد يقول :

« إذا ما أتانى سائل قلت مرحباً بمن فضله فرض على مُعجل »

« وَمَنْ فَضَّلَهُ فَضْلًا عَلَى كُلِّ فَاضِلٍ وَأَفْضَلَ أَيَّامَ الْفَتَى حِينَ يُسْأَلُ »
 وكان رضى الله عنه جالساً ذات يوم، فأتاه رجل وسأله أن يعطيه
 شيئاً من الصدقة ، ولم يكن عنده ما يسد به رمقه ، فاستحيا أن يرده
 فقال : ألا أدلك على شىء يحصل لك منه البرُّ والخير الكثير ؟ فقال :
 ماذا تدلنى عليه ؟ فقال : اذهب الى الخليفة فان ابنته توفيت ، وانقطع
 عليها ، وما سمع من أحد تعزية ، فعزه بهذه التعزية يحصل لك بها الخير
 الكثير . فقال : حفظنى إياها . قال : قل له : « الحمد لله الذى سترها
 بجلوسك على قبرها ، ولا هتكها بجلوسها على قبرك » وفى رواية أخرى :
 « الحمد لله الذى أعزها بجلوسك على قبرها ، ولم يذلها بجلوسها على قبرك »
 فذهب الى الخليفة وعزاه بهذه التعزية ، فسمعها الخليفة فذهب
 عنه الحزن ، فأمر له بمجائزة سنية وقال : بالله عليك أكلامك هذا ؟
 قال : لا ؛ بل كلام فلان . فقال : صدقت ، فانه معدن الكلام الفصيح ،
 وأمر له بمجائزة أخرى لصدقه

قصته مع معاوية ومصالحته معه

قال أصحاب السير : لما استشهد على رضى الله عنه عمه أهل
 العراق الى ابنه الحسن فبايعوه ، ثم أشاروا عليه بالمسير ليأخذ الشام من
 معاوية ، وسار معاوية بجيش الشام يقصده ، فلما تقارب الجيشان ،

وترأى الجمعان ، بموضع يقال له (مسكن بناحية الأنبار) من أرض السواد علم الحسن أنه لم تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى ، فرأى أن المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال « وهكذا السياسة

الحكيمة من الرجل المصلح الحكيم «

فكتب الى معاوية يرأسه، ويخبره بأنه يصير الأمر اليه وينزل عنه على أن يشترط عليه ألا يطالب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه ، وأن يكون ولي العهد من بعده ، وأن يمكنه من بيت المال ليأخذ حاجته منه ، ففرح معاوية وأجاب الى ذلك ، إلا أنه قال : إلا عشرة أنفس لأؤتمنهم ، فراجع الحسن فيهم فكتب اليه معاوية : إني قد آليت إنني متى ظفرت بقيس بن سعد بن عبادة قطعت لسانه ويده . فراجع الحسن ، إني لا أباعك أبداً وأنت تطلب قيساً وغيره بتبعة قلت أو كثرت ، فبعث اليه معاوية حينئذ برق أبيض وقال له : اكتب ما شئت فيه فأنا ألتزمه ، فاصطلحا على ذلك فكتب الحسن كل ما اشترط عليه من الأمور المذكورة ، واشترط أن يكون له الأمر من بعده ، فالتزم ذلك كله معاوية ، فخلع الحسن نفسه ، وسلم الأمر الى معاوية ببيت المقدس تورعاً وقطعاً للشر فلما اصطلحا دخل معاوية الكوفة، وارتحل الحسن الى المدينة، وأقام

بها ، وكان نزوله عنها سنة إحدى وأربعين في ربيع الأول ، وقيل في
جمادى الأولى ، وقيل غير ذلك

وذلك مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم في حق الحسن : إن ابني
هذا (سيد) وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين (رواه
البخارى) كما تقدم ذكره

ولـكونه نزل عنها ابتغاء وجه الله عوضه الله وأهل بيته بالخلافة
الباطنة ، حتى ذهب قوم الى أن قطب الأولياء في كل زمان لا يكون
إلا من أهل البيت

ولما نزل عن الخلافة كان أصحابه يقولون : يا عار المؤمنين ! فيقول :
العار خير من النار

مرضه ووفاته

بعد أن تم الصلح بين الحسن ومعاوية ، وخرج الحسن الى المدينة
أقام بها عشر سنين وسقته زوجته (جعدة بنت الأشعث بن قيس
الكندى) الشّم فبقى مريضاً أربعين يوماً ، وكان قد سألها يزيد في
ذلك ، وبذل لها مائة ألف درهم ، وأن يتزوجها بعد الحسن ففعلت
ولما مات الحسن بعثت الى يزيد بن معاوية فسأله الوفاء بما وعدها ،
فقال : إنا لن نرضاك للحسن أفنرضاك لأنفسنا (وكان ذلك خدعة منه لها)

قال الحافظ أبو نعيم في حليته : لما اشتد الأمر بالحسن قال :
اخرجوا فراشي الى صحن الدار لعلّي أتكفر في ملكوت السموات
(يبنى الآيات) فلما خرجوا به قال : اللهم اني أحسب نفسي عندك
فانها أعز عليّ

وعن عمرو بن اسحق قال : دخلت على الحسن أنا ورجل نعوذه
في مرضه فقال : يا فلان سلمي . فقال له : والله لا أسألك حتى يعافيك
الله وأسألك . قال : لقد أقيت طائفة من كبدي ، وإني سقيت السم
مراراً فلم أسقه مثل هذه المرة ، ثم دخلت عليه من الغد فوجدت أخاه
الحسين رضى الله عنه عند رأسه فقال له الحسين : من تنهم يا أخي ؟
قال : ليم ؟ قال : لأن تقتله ؟ قال : نعم . قال : ان يكن الذي أظنه ، فالله
أشد بأساً وأشد تنكيلاً ، وإن لم يكن هو ، فما أحب أن يقتل بي برىء
وروى أنه لما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين : يا أخي قد
حضرت وفاتي ، وحان فراقى ، وإني لأحق بربي ، وأجد كبدي
تقطع ، وإني لعارف من أين ذهبت ؟ وأنا أخاصمه الى الله تعالى ، ثم
توفي لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة خمسين (وقيل تسع)
وأربعين (وقيل غير ذلك من الهجرة ، وصلى عليه سعيد بن العاص
فانه كان والياً يومئذ بالمدينة من جهة معاوية ودفن بالبقيع عند جدته

فاطمة بنت أسد وكان عمره سبعاً وأربعين سنة
وكانت مدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام

أولاده

قال ابن الحشاش : أولاده أحد عشر ابناً وبنت واحدة وهم :
١ عبد الله ٢ والقاسم ٣ والحسن ٤ وزيد ٥ وعمر ٦ وعبد الله
٧ وعبد الرحمن ٨ وأحمد ٩ وإسماعيل ١٠ والحسين ١١ وعقيل .
والبنت اسمها (فاطمة) وكنيتها أم الحسن وهي أم محمد الباقر بن علي

ذكر نبذ من كلامه وحكمه رضي الله عنه

قال الحافظ أبو نعيم في حليته بسنده :
إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سأل الحسن
رضي الله عنه فقال :

يا بني ما السداد ؟ فقال : يا أبت السداد ، دفع المنكر بالمعروف
قال : فما الشرف ؟ قال : إصطناع العشيرة والاحتمال
قال : فما السماح ؟ قال : البذل في العسر واليسر
قال : فما اللؤم ؟ قال : إحراز المرء ماله ، وبذله عرضه
قال : فما الجبن ؟ قال : الجراءة على الصديق ، والنكول عن العدو

قال : فما الغنى ؟ قال : رضا النفس بما قسم الله لها وإن قل
 قال : فما الحلم ؟ قال : كظم الغيظ ، وملك النفس
 قال : فما المتعة ؟ قال : شدة البأس ، ومنازعة أعز الناس
 قال : فما الذل ؟ قال : الفرع عند الصدمة
 قال : فما الكلفة ؟ قال : كلامك فيما لا يعينك
 قال : فما الجد ؟ قال : أن تعطى في العزم ، وتعفو في الجرم
 قال : فما السؤدد ؟ قال : إتيان الجميل ، وترك القبيح
 قال : فما السفه ؟ قال : إتباع الدناءة وصحبة الغواة
 قال : فما الغفلة ؟ قال : ترك المسجد ، وطاعة المفسد
 ومن كلامه وحكمه رضى الله عنه :

لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مودة لمن لا همة له ، ولا حياء لمن
 لا دين له ، ورأس العقل معاشره الناس بالجميل ، وبالعقل تدرك
 الداران جميعاً ، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً
 وقال رضى الله عنه : هلاك الناس في ثلاث : في الكبر ، والحرص
 والحسد . فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس ، والحرص عدو النفس
 وبه أخرج آدم من الجنة ، والحسد رائد سوء ومنه قتل قابيل هابيل
 وقال رضى الله عنه : دخلت على أبي على بن أبي طالب رضى الله عنه

وهو يجود بنفسه لما ضربه ابن ملجم ، فجذعت لذلك ، فقال لى أتجزع ؟
فقلت : وكيف لا أجزع ، وأنا أراك على هذه الحالة ؟ فقال : يابى ،
إحفظ عني خصالاً أربعاً إن أنت حفظتني نلت بهن النجاة

يابنى : لاغنى أكثر من العقل ، ولا فقر مثل الجهل ، ولا وحشة
أشد من العجب ، ولا عيش ألد من حسن الخلق

واعلم أن مروءة القناعة والرضا أكبر من مروءة الاعطاء ، وقام
الصنيعة خير من ابتدائها

وقال رضى الله عنه : حسن السؤال نصف العلم ، ومن بدأ بالكلام
قبل السلام فلا نجيوه

وسئل عن الصمت فقال : هو ستر العى ، وزين العرض ، وفاعله
فى راحة ، وجليسه فى أمن

وكان رضى الله عنه يقول لبنيه وبني أخيه : تعلموا العلم ، فان لم
تستطيعوا حفظه فاكتبوه وضعوه فى بيوتكم

مواعظه

ومن مواعظه رضى الله عنه أنه كان يقول :
يا ابن آدم ، عف عن محارم الله تكن عابداً ، وارض بما قسم الله لك

تكن غنياً ، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً ، وصاحب الناس
بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً ، إنه كان بين أيديكم قوم
يجمعون كثيراً ، ويبنون مشيداً ، ويأملون بعيداً . أصبح جمعهم بوراً ،
وعملهم غروراً ، ومساكنهم قبوراً

يا ابن آدم ، إنك لم تنزل في هدم عمرك ، منذ سقطت من بطن أمك .
فجد بما في يدك لما بين يديك ، فان المؤمن يتزود ، والكافر يمتنع
وكان يتلو هذه الآية بعدها ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾

٢ - سيرة سيدنا الحسين ومناقبه

عليه السلام

ولد سنة ٤ هـ - توفي سنة ٦١ هـ

نسبه الشريف - الإمام الحسين أبوه على كرم الله وجهه ابن أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمه سيدة النساء البتول فاطمة الزهراء رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أشرف نسب

مولده - ولد سيدنا الحسين رضى الله عنه بالمدينة المنورة لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة ، وكانت أمه قد علقت به بعد أن ولدت أخاه الحسن رضى الله عنه بخمسين ليلة ، وهكذا صح النقل في ذلك . ولما وضعته جاءت به الى جده رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبشر به ، وحنكه بريقه ، وأذن في أذنه ، وتفل في فيه ، ودعا له ، وسمّاه حسيناً ، يوم السابع ، وعقّ عنه كبشاً ، وقال لأمه : احلّقي رأسه وتصدّقي بزنة شعره فضة ، كما فعلت بأخيه الحسن

ويحتفل المسلمون بمولد الحسين رضى الله عنه كل سنة في جميع بلادهم أياماً ، ولهم في القاهرة موسم يسمونه (مولد الحسين) تزين فيه

الأسواق والبيوت ليلاً ونهاراً، ويقرأ القرآن، ويجتمع الناس لزيارة
المشهد الحسيني من ليلة الاثنين الأول من ربيع الثاني الى ليلة الأربعاء
الأخير منه وهي الليلة الكبيرة، ويتلوها بعض ليال يسمونها اليتيمة،
ثم يحتفل بالمشهد الحسيني وغيره ليلة الخامس من شعبان في كل
سنة بمولده

اسمه

سماه النبي صلى الله عليه وسلم (حسيناً) وهو اسم لم يكن لأحد قبله
عن علي رضي الله عنه قال : لما ولد الحسن سمّيته حرباً (لميل
العرب الى الشجاعة) فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : أروني
ابني، ما سمّيتموه ؟ قال : قلت : حرباً . قال : بل هو (حسن)

فلما ولد الحسين سمّيته (حرباً) فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : أروني ابني ما سمّيتموه ؟ قال : قلت حرباً . فقال : بل هو (حسين)
فلما ولد الثالث سمّيته حرباً ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أروني
ابني ما سمّيتموه ؟ قلت : حرباً . قال : بل هو (محسن)

كنيته وألقابه

كنيته أبو عبد الله لاغير ، وأما ألقابه فهي : الرشيد ، والطيب ،
والزكي ، والوفى ، والسيد ، والمبارك ، والنافع لمرضاة الله ، والسبط ،
وأشهرها (الزكى) وأعلاها رتبة ما لقبه به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى قوله عنه وعن أخيه الحسن (أنهما سيدا شباب أهل الجنة) وكذلك
(السبط) فإنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : حسين
سبط من الأسباط ، فكان السيد أشرفها وكذلك السبط

ختانه

عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم عَقَّ عن الحسن والحسين
وختنهما لسبعة أيام من مولدهما

رضاعه

زعم قوم أن الحسين لم ترضعه أنثى ، يقصدون بذلك تعظيمه ، وفضله
غير محتاج الى زيادة ، وقد ثبت أن رضاعه كان كسائر الناس ، وأن
أم الفضل هى التى أرضعته ، بدليل ما جاء فى الحديث الشريف : أن
أم الفضل قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله لقد رأيت

أن عضواً من أعضائك في بيتي ، فقال لها : تلد فاطمة غلاماً وترضعينه بلبن قُشْم (ابن أم الفضل)

فولدت حسيناً فأخذته وأرضعته ، حتى تحرك ، فجاءت به النبي صلى الله عليه وسلم ، فأجلسه في حجره فبال ، فضربت به بين كتفيه فقال لها النبي : أوجعت ابني رحمك الله

الأحاديث الواردة في فضله وتعظيمه

قد ورد في حقه رضى الله عنه أحاديث كثيرة تدل على عظم قدره وتشير الى ارتفاع ذكره منها :

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : حسين منى وأنا من حسين
اللهم أحب من أحب حسيناً ، حسين سبط من الأسباط

وروى ابن حبان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
من سرّه أن ينظر الى رجل من أهل الجنة (وفى لفظ) الى سيد شباب أهل الجنة فلينظر الى الحسين بن على

وروى عن أبى هريرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس في المسجد فقال : أين لكع ؟ فجاء الحسين يمشى حتى سقط في حجره ، فجعل أصابعه في حية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففتح رسول الله صلى الله

عليه وسلم فمه، أى فم الحسين ، فأدخل فاه فى فيه، ثم قال : اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه

وروى عن زيد بن أبى زياد قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة فمرّ على بيت فاطمة فسمع حسيناً يبكي فقال : ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني ؟

وعن البراء بن عازب قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل الحسين بن على رضى الله عنهما على عاتقه وهو يقول : اللهم إني أحبه فأحبه

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزل قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ قالوا : يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا محبتهم ؟ قال : على ، وفاطمة ، وابناهما

موجز أخبار حياته

أقام الحسين رضى الله عنه مع جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله سبع سنين ، ومع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام سبعاً وثلاثين سنة ، ومع أخيه الحسن عليه السلام سبعاً وأربعين سنة ، وكانت مدة خلافته بعد أخيه إحدى عشرة سنة . فيكون مدّة حياته ٥٨ سنة

وكانت إقامة الحسين رضى الله عنه بالمدينة الى أن خرج مع أبيه الى الكوفة فشهد معه واقعة الجمل (ثم صفين) ثم قتل الخوارج وبقى معه الى أن قتل ؛ ثم مع أخيه الى أن سلم الأمر الى معاوية فتحول مع أخيه الى المدينة واستمر بها الى أن مات معاوية ، فخرج إلى مكة ثم أتمته كتب أهل العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية ، فأرسل إليهم ابن عمه (مسلم بن عقيل) فأخذ بيعتهم وأرسل اليه فتوجه ، وكان ما كان من قصة قتله

وقال ابن كثير : ان الحسين رضى الله عنه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن توفى وهو عنه راض ؛ ثم كان الصديق يكرمه ويعظمه ، وكذلك عمر وعثمان وصحب أباه (علياً كرم الله وجهه) وروى عنه ، وكان معه في مغازيه كلها في الجمل وصفين ، وكان معظماً موقراً ، ولم يزل في طاعة أبيه حتى قتل

ولما آلت الخلافة إلى أخيه الحسن وأراد أن يصلح معاوية شق ذلك على الحسين ، فلما استقرت الإمارة لمعاوية كان الحسين يتردد اليه مع أخيه الحسن ، فكان معاوية يكرمهما إكراماً زائداً ويقول لهما : مرحباً وأهلاً ، ويعطيهما عطاءً جزلاً ، وقد أطلق لهما في يوم واحد مائتي ألف وقال : خذاها وأنا ابن هند ، والله لا يعطيكما أحدا قبلى

ولا بعدى . فقال الحسين : والله لن تعطى أنت ولا أحد قبلك ولا
بعدك رجلين أفضل منا

ولما توفى الحسن كان الحسين يفد اليه ، ويقدم كل عام عليه

نشأته في حياة جده رسول الله ﷺ

كان الحسين في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم طفلاً وأقام معه
ست سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام

وقال عبد الله بن شداد : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في إحدى صلاة العشاء وهو حامل حسناً أو حسيناً ، فتقدم النبي صلى
الله عليه وسلم فوضعه ، ثم كبر للصلاة فأطال سجدة الصلاة ، فرفعت
رأسى ، فاذا الصبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد
فرجعت الى سجودى فلما قضى الصلاة قيل : يا رسول الله : إنك
سجدت بين ظهري صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث
أمر أو أنه يوحى اليك

قال : كل ذلك لم يكن ؛ ولكن ابني ارتحاني فسكرت أن أعجله
حتى يقضى حاجته (أخرجه النسائي)

محبة عمر بن الخطاب للحسن والحسين

قال ابن عباس : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحب الحسن والحسين ، ويقدمهما على ولده ، ولقد قسم يوماً فأعطى الحسن والحسين كل واحد منهما عشرة آلاف درهم ، وأعطى ولده عبد الله ألف درهم ، فعاتبه ولده وقال : قد علمت سبقى فى الإسلام وهجرتى وأنت تفضل على هذين الغلامين . فقال : ويحك يا عبد الله اثنى بجد مثل جدكما ، وأب مثل أبيكما ، وأم مثل أمكما ، وجدة مثل جدتهما ، وخال مثل خالهما ، وخالات مثل خالاتهما ، وعم مثل عمكما ، وعممة مثل عممتكما : جدكما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبوهما على كرم الله وجهه ، وأمهما فاطمة ، وجدتهما خديجة ، وخالهما إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخالاتهما زينب ورقية وأم كلثوم ، وعمهما جعفر بن أبى طالب ، وعممتكما أم هانئ بنت أبى طالب .

وقال ابن عساكر فى تاريخه : جعل عمر عطاء الحسن والحسين مثل عطاء أبيهما ، فأحقهما بفريضة أهل بدر ، ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف .

وقيل : قدم على عمر حلال من اليمن فسكسا الناس ، فراحوا فى

(م - ١٥ رابع)

الحلل وهو بين القبر والمنبر جالس والناس يأتون فيسلمون عليه ،
ويدعون ، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة يتخطيان
وكان بيت فاطمة في جوف المسجد ليس عليهما من تلك الحلل شيء ،
وعمر قاطب ما بين عينيهِ ؟ ثم قال : والله ما هنائي ما كسوتكم .
قالوا : لِمَ يأمر المؤمنين ؟ فقال : من أجل هذين الغلامين يتخطيان
الناس ليس عليهما مما كسوت الناس شيء

ثم كتب لصاحب اليمن : أن ابعث الىَّ بمجلتين لحسن وحسين
وعجل . فبعث اليه بمجلتين فكساها ، فلما كساها قال : الآن طابت نفسي

صفة الحسين رضي الله عنه

روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك في مناقب الحسن والحسين
فقال : كان أشبههما برسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال علي رضي الله عنه : الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليه
وسلم ما بين الصدر الى الرأس ، والحسين أشبه ما أسفل ذلك
فمن هذين الحديثين يظهر أن الحسن والحسين كلاهما كان يشبه جده
صلى الله عليه وسلم ، وكان أحدهما ، وهو الحسن ، أشد شبهاً به من الآخر
في بعض مواضع من جسمه ، أو في زمن حياته وبعده ، وكان الحسين
يتشبه به صلى الله عليه وسلم فيما لم يكن يشبهه فيه

وبالجملة كان الحسين في غاية الجمال كما قال عبد القادر البغدادي :
مارأيت أحداً قط أحسن ولا أملاً للعين من الحسين
وروى ابن عساكر في تاريخه أنه كان في صوت الحسين غنةً حسنة
وهي صوت لذيذ يخرج من أقصى الأنف ، وشبهه به صوت الرياح في
الأشجار الملتفة ولذلك قيل (روضة غناء)

وعن أبي هريرة قال : كان الحسن والحسين يصطرعان بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي أنهما كانا يلعبان في طفولتهما وصباهما
وكان للحسين رضى الله عنه خاتم منقوش عليه (ان الله بالغ أمره)
وقال ابن الصباغ : نقش خاتم الحسين (لكل أجل كتاب)

مناقبه إجمالاً كما ذكرها

المرحوم على بك جلال الحسيني المستشار في كتابه (الحسين)

قد جمع الحسين رضى الله عنه الفضائل ، ومكارم الأخلاق ،
ومحاسن الأعمال ، من علو الهمة ، ومنتقى الشجاعة ، وأقصى غاية
الجود والكرم ، وأسرار العلم ، وفصاحة اللسان ، ونصرة الحق ،
والنهي عن المنكر ، وجهاد الظلم ، والتواضع عن عز ، والعدل والصبر ،
والحلم والعفاف ، والمروءة والورع ، وغيرها
واختص بسلامة الفطرة ، وجمال الخاتمة ، ورجاحة العقل ، وقوة الجسم

وأضاف الى هذه المحامد كثرة العبادة ، وأفعال الخير والتقوى ،
كالصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد في سبيل الله والإحسان
وكان إذا أقام بالمدينة أو غيرها مفيداً بعلومه ، مرشداً بعمله ، مهذباً
بكريم أخلاقه ، مؤدباً ببلغ بيانه ، سخيّاً بماله ، متواضعاً للفقراء ، معظماً
عند الخلفاء ، مواصلاً للصدقة على الأيتام والمساكين ، منصفاً
للمظلومين ، مستقلاً بعبادته

مشى من المدينة على قدميه الى مكة حاجاً خمساً وعشرين مرة ،
وعاش مدة يقاتل مع أبيه أصحاب الجمل ، فجنود معاوية ، فالخوارج
وينتقل مع جيوش المسلمين الى أقطار الأرض في فتح أفريقية وغزو
جرجان وطبرستان وقسطنطينية

وهو في جميع أيام حياته مثابر على الاهتداء بهدى جده صلى الله
عليه وسلم

فكان الحسين في وقته علم المهتدين ، ونور اليقين ، فأخبار حياته
فيها هدى للمسترشدين بأنوار محاسنه ، المقتفين آثار فضله وإحسانه

كرمه وجوده

قد اشتهر النقل عنه عليه السلام بأنه كان يكرم الضيف ، ويمنح الطالب ، ويصل الرحم ، ويُنيل الفقير ، ويسعف السائل ، ويكسو العارى ، ويشبع الجائع ، ويعطى الغارم ، ويشد من الضعيف ، ويشفق على اليتيم ، ويعين ذا الحاجة ، وقلَّ أن وصله مالاَّ إلاَّ فرقه (كما قال محمد بن أبي طلحة الشافعى القرشى فى (مطالب السؤل فى مناقب آل الرسول) فى الفصل السابع ، فى كرم الحسين وجوده

وروى أحمد بن سليمان فى (عقد اللآل فى مناقب الآل) أن الحسين عليه السلام كان جالساَّ فى مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام ، وكان عبد الله بن الزبير جالساَّ فى ناحية المسجد ، (وعتبة بن أبى سفيان) فى ناحية أخرى ، فجاء أعرابى على ناقه فعقلا بباب المسجد ، ودخل فوقف على (عتبة بن أبى سفيان) . فسلمَّ عليه ، فرد عليه السلام ، فقال له الأعرابى إني قتلت ابن عم لى وطولبت بالدية ، فهل لك أن تعطينى شيئًا ؟ فرفع رأسه الى غلامه وقال : ادفع اليه مائة درهم . فقال الأعرابى : ما أريد إلاَّ الدية تمامًا ، ثم تركه وأتى عبد الله بن الزبير وقال له مثل ما قال لعتبة . فقال عبد الله لغلامه : ادفع اليه مائتى درهم . فقال الأعرابى : ما أريد إلاَّ الدية تمامًا

ثم تركه وأتى الحسين عليه السلام فسلمَّ عليه وقال : يا ابن رسول الله إني قتلت ابن عم لي وقد طولبت بالدية ، فهل لك أن تعطيني شيئاً ؟ فقال له : يا أعرابي : نحن قوم لانعطى المعروف إلا على قدر المعرفة . فقال : سل ما تريد ؟ فقال له الحسين عليه السلام : يا أعرابي ما النجاة من الهلكة ؟ قال : التوكل على الله عز وجل . فقال : وما الهمة ؟ قال : الثقة بالله ، ثم سأله الحسين عليه السلام غير ذلك وأجاب الأعرابي ، فأمر له الحسين عليه السلام بعشرة آلاف درهم . وقال له : هذه لقضاء ديونك ، وعشرة آلاف درهم أخرى ، وقال : هذه تلم بها شعئك ، وتحسن بها حالك ، وتنفق منها على عيالك ، فأنشأ الأعرابي يقول :

« طربت وما هاج لي مَعْبِقٌ ولا لي مقام ولا مَعشَق »
« ولكن طربت لآل الرسو ل فلذ لي الشعر والمنطق »
« هم الأكرمون هم الأنجبون نجوم السماء بهم تشرق »
« سبقت الأنام الى المكرمات وأنت الجواد فلا تلحق »
« أبوك الذي ساد بالمكرمات فقصر عن سبقه السُّبِق »
« به فتح الله باب الرشاد وباب الفساد بكم مُغلق »

وروى ابن عساكر في التاريخ الكبير : أن سائلاً خرج يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين فقرع الباب وأنشأ يقول :

« لم يحب اليوم من رجاك ومن حرك من خلف بابك الحلقه »
 « أنت ذو الجود أنت معدنه أبوك قد كان قاتل النفسه »
 وكان الحسين عليه السلام واقفاً يصلى خفف من صلاته وخرج
 الى الأعرابي فرأى عليه أثر ضرر وفاقة ، فرجع ونادى (بقنبر) فأجابه :
 لبيك يا ابن رسول الله . قال : ماتبقى معك من نفقتنا ؟ قال : مائتا درهم
 أمرتني بتفريقها في أهل بيتك . فقال : هاتها فقد أتى من هو أحق بها
 منهم ، فأخذها وخرج يدفعها الى الأعرابي وأنشأ يقول :

« خذها فاني اليك معتذر واعلم بأنى عليك ذو شفقه »
 « لو كان في سيرانا عصا تمد اذن كانت سمانا عليك مندفعه »
 « لكن ريب المنون ذونكد والكف منا قليلة النفقه »
 فأخذها الأعرابي وولى وهو يقول :

« مطهرون تقيات جيوبهم تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا »
 « وأنتم أتمم الأعلوف عندكم علم الكتاب وما جاءت به السور »
 « من لم يكن علويًا حين تنسبه فماله في جميع الناس مفتخر »
 وقال نور الدين على بن محمد بن الصباغ في الفصول المهمة : كتب
 أخوه الحسن يلوم على إعطائه الشعراء . فكتب اليه : أنت أعلم مني
 أن خير المال ما وقي العرض

« وروى السيد محسن بن عبد الكريم الحسيني : أن الحسن عليه السلام : دخل على أسامة بن زيد وهو مريض وهو يقول : وانما ! فقال الحسين عليه السلام وما غمك يا أخي ؟ قال : دَبْنِي ، وهو ستمون ألف درهم . فقال الحسين عليه السلام : هوَ عليّ . قال : إني أخشى أن أموت فقال : لَنَ تموت حتى أقضيها عنك ، فقضاها قبل موته
حسن أدبه وظرفه

روى ياقوت المستعصمي في رسالته ، ونور الدين علي بن محمد بن الصباغ عن أنس قال : كنت عند الحسين عليه السلام فدخلت عليه جارية بيدها طاقة ريحان فحيت به . فقال لها : أنت حرة لوجه الله تعالى . فقلت له : جارية تحيك بطاقة ريحان فتمتعها ؟ فقال : كذا أدبنا الله ، فقال تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ وكان أحسن منها عتقها

ويحكى أن الحسن والحسين سبغى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانا على شط الفرات إذ نظرا الى شيخ أعرابي خفف الوضوء والصلاة فقالا : لو قلنا له غلطت ربما لا ينقاد الى الحق . فقالا له : نحن شابان وأنت شيخ ربما تكون أعلم منا بأمر الوضوء والصلاة فنتوضأ ونصلي أمامك فان كان عندنا قصور فعلمنا

فتوضاً وصلياً كما رأيا من جدّها صلى الله عليه وسلم فتأب الشيخ
ورجع عن صنيعه

حامله وعفوه

جنى بعض مواليه جناية توجب التأديب فأمر بتأديبه فقال :
يا مولاي ، قال الله تعالى : « والكاذمين الغيظ » قال عليه السلام : خلوا
عنه فقد كظمت غيظي . فقال : « والعافين عن الناس » قال عليه السلام :
قد عفوت عنك . فقال : « والله يحب المحسنين » قال عليه السلام :
فأنت حرٌّ لوجه الله تعالى ، وأجازه بمجازة سنية

عفته وعزة نفسه

إن الحسين عليه السلام كان عفيفاً عزيز النفس فما كان يأخذ
صلات معاوية كما زعم بعضهم ؛ بل كان يأخذ منه حقه في بيت المال .
بدليل أنه قيل : أن معاوية لما قدم مكة وصله بمال كثير ، وثياب
وافرة ، وكسوة فاخرة ، فردّ الجميع عليه ، ولم يقبل منه شيئاً ، فهذه صفة
العفة والنزاهة ، وصفة من حوى مكارم الأخلاق
وأنه عليه السلام لم يكن فقيراً قط ؛ بل كان له في جميع أيام حياته
من المال ما يكفيه وزيادة ، وأنه كان شبيه أبيه كرم الله وجهه وجده

عليه الصلاة والسلام في غنى النفس ، فلم يكن حريصاً على كثرة المال ولا مولعاً بجمعه ، مغرّى بادخاره ؛ بل كان جواداً كريماً ، فكان يحسن بما يزيد عن حاجته ، ويجود على غيره ، ولا يجود غيره عليه

نهيّه عن الإسراف والتبذير

كان الحسين عليه السلام مع جوده الذي امتاز به ، وكرمه الذي يندر نظيره ، لا يتجاوز حد السخاء الى الإسراف ، وينهى عن التبذير ، فقد روى عن ياقوت المستعصمى فى أسرار الحكماء قوله : لا تتكلف مالا تطيق ، ولا تنفق إلّا بقدر ماتستفيد

وروى المبرد فى الكامل والقزوينى فى عجائب المخلوقات : أن عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب قال له الحسن والحسين عليهما السلام : إنك قد أسرفت فى بذل المال . فقال : بأبى أننا وأمى ، إن الله تعالى عودنى أن يتفضل علىّ ، وعودته أن أتفضل على عباده ، فأخاف أن أقطع العادة ، فيقطع عنى المادة

شجاعته

كان الحسين عليه السلام شجاعاً مقداماً منذ كان طفلاً قال محمد بن أبى طلحة (بعد ذكر الجيش الذى أرسله ابن زياد

لقتاله (مانصه : فنصب عليه السلام نفسه وأخوته وأهله لمحاربتهم ، واختاروا بأجمعهم القتل على متابعتهم ليزيد ومبايعتهم ، فأعلقتهم الفجرة الطغام ، وأرهقتهم المردة اللئام ، ورشقتهم النبال والسهام . هذا والحسين عليه السلام ثابت لا تخف حصاة شجاعته ، ولا تجف عزيمة شهامته ، وقدمه في المعرك أرسى من الجبال ، وقلبه لا يضطرب لهول القتال ، ولا لقتل الرجال

وروى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة فقال : من مثل الحسين ابن علي عليهما السلام (يوم الطف) مارأينا مكشورا قد أفرق من إخوته وأهله وأنصاره أشجع منه ، كان كالليث المحرب يحطم الفرسان حطماً ، وما ظنك برجل أبت نفسه الدنية ، وأن يُعطى بيده فقاتل حتى قتل هو وبنوه وإخوته وبنو عمه بعد بذل الأمان لهم ، والتوثقة بالآيمان المغالطة ، وهو الذي سن للعرب الآباء واقتدى به أبناء الزبير وبنو المهلب وغيرهم

وقال أيضاً : سيد أهل الآباء الذي علم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف اختياراً له على الدنية ، أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، عرض عليه الأمان وأصحابه فأنف من الذل ، وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان مع أنه لا يقتله فاختار الموت على ذلك

وجاء في لسان العرب في حديث مقتل الحسين عليه السلام ما يأتي :
 مارأينا مكشوراً أجراً مقدماً منه (المكشور المقلوب وهو الذي
 تكاثر عليه الناس فقهره) أى مارأينا مقهوراً أجراً إقداماً منه
 وقال على بن عيسى في كشف الغمة : شجاعة الحسين عليه السلام
 يضرب بها المثل ، وصبره في الحرب أعجز الأواخر والأوائل

فراسته

ذكر ابن قيم الجوزية فقال : من أنواع الفراسة فراسة الحسين
 رضى الله عنه ، وهى :
 أن رجلاً ادعى عليه مალًا ، فقال الحسين عليه السلام : ليحلف على
 ما ادعاه ويأخذه

فتبها الرجل لليمين وقال : والله الذى لا إله إلا هو . فقال الحسين :
 قل والله ، والله ، والله ، إن هذا الذى تدعيه ، فبكى . ففعل الرجل ذلك
 وقام فاختلفت رجلاه وسقط ميتاً

ف قيل للحسين : لِمَ فعلت ذلك ؟ أى عدلت عن قوله (والله الذى
 لا إله إلا هو) الى قوله . والله ، والله ، والله . فقال : كرهت أن
 يثنى على الله فيحلم عنه

ومقتضى العقل والتجربة فى ذلك أن من عرضت عليه اليمين فقد

فوض اليه حصمه أن يحكم في النزاع بينهما بالعدل ولو عليه ثقة منه به ،
والذي يحلف كاذباً يكره نفسه على مخالفة الحق ، ويحس أنه ظلم خصمه
فتلومه نفسه ، ويكون لكل هذا أثر في أعصابه

فخضم الحسين عليه السلام فاجر حلف كاذباً ثم أدرك خطأه وتذكر
عظيم شأن اليمين وجليل قدر الحسين وشهرته بالصدق فخاف العقاب
في الآخرة ، والعار في الدنيا ، ولامته نفسه فحدث له رعب شديد ،
وصدمة عصبية ، كما يقول الأطباء فإت . (وهذا ماقرره المرحوم على
بك جلال في كتابه)

عبادته وصلاته

كان الحسين عليه السلام فاضلاً كثير الصلاة والصوم والحج
والصدقة وأفعال الخير جميعها كما رواه ابن الأثير

تواضعه

روى ابن عساكر في تاريخه : أن الحسين مرّ بمساكين يأكلون
في الصُفّة فقالوا : الغداء ، فنزل وقال : إن الله لا يحب المتكبرين ،
فتغذى معهم ثم قال لهم :

قد أجبتكم فأجيئوني . قالوا : نعم . فمضى بهم الى منزله وقال
لخادمتيه (الرباب) أخرجي ما كنت تدخرين

روى ابن قتيبة في عيون الأخبار : أن عبد الله بن الزبير دعا الحسين عليه السلام فحضر وأصحابه فأكلوا ولم يأكل قليل له : ألا تأكل ؟ فقال : إني صائم ؛ ولكن تحفة الصائم . قيل : وما هي . قال : الدهن والجمر (العود يوضع في الجمر يتخرجه) فهو وإن كان امتنع عن الأكل ؛ ولكنه أجاب الداعي وطلب شيئاً من الطيب تطيباً لحاظه وإكراماً للداعي والحاضرين

علمه

إن الحسين عليه السلام كان عالماً فاضلاً ، وكان الناس يقدمون عليه بالمدينة وينتفعون بما يسمع منه ، ويضبطون مايروونه عنه وذكروا ابن عمر الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال : إنما كانا يغريان العلم غراً

نبذ من كلامه وحكمه

قال الحسين عليه السلام

- ١ - إذا سمعت أحداً يتناول أعراض الناس فاجتهد ألا تعرفك ، فإن أشقى الأعراض به معارفه .
- ٢ - لا تتكلف ما لا تطيق ، ولا تعرض لما لا تدرك ، ولا تعد بما

لا تقدر عليه ، ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد ، ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت ، ولا تفرح إلا بما نلت من طاعة الله تعالى ، ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك له أهلاً . (عن ياقوت المستعصم في أسرار الحكماء)

٣ - شر خصال الملوك الجبن عن الأعداء ، والقسوة على الضعفاء ، والبخل عن الإعطاء

٤ - قال لنافع بن الأزرق لما قال له : صف لي إلهك الذي تعبد .
 يانافع من وضع دينه على القياس ، لم يزل الدهر في الالتباس ،
 ماثلاً إذا كبا عن المنهاج ، ظاعناً بالاعوجاج ضالاً عن السبيل ، قائلاً
 غير الجميل ؛ يا ابن الأزرق أصف إلهي بما وصف به نفسه فأقول :

لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، قريب غير ملتصق ، وبعيد
 غير مستقص ، يوحد ولا يُبعض ، معروف بالآيات ، موصوف
 بالعلامات ، لا إله إلا هو الكبير المتعال . فبكى الأزرق وقال :
 ما أحسن كلامك ؟ فقال : بلغني أنك تشهد على أبي وعلى أخي بالكفر
 وعلى . قال ابن الأزرق : أما والله يا حسين لنن كان ذلك لقد كنتم
 منار الإسلام ، ونجوم الأحكام (عن ابن عساكر)

٥ - ومن كلامه رضى الله عنه : حوائج الناس من نعم الله عليكم ،
 فلا تملوا النعم فتعود تقمًا

وقال : صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك ، فأكرم وجهك
عن رده

وقال : الحلم زينة ، والوفاء مروءة ، والصلة نعمة ، والاستكثار
صلف ، والعجلة سفه ، والسفه ضعف ، والغلو ورطة ، ومجالسة أهل
الدناءة شر ، ومجالسة أهل الفسوق ريبة

بعض كتبه

١ — كتابه الى معاوية في أمر خاص

كتب معاوية الى الحسين عليه السلام
من أمير المؤمنين معاوية الى الحسين بن علي :
أما بعد : فانه بلغني أنك تزوجت جاريتك ، وتركت أكفأك من
قريش ممن تستنجبه للولد ، وتمجد به في الصهر ، فلا لنفسك نظرت ،
ولا لولدك انتقيت

فكتب اليه الحسين :
أما بعد : فقد بلغني كتابك ، وتعبيرك إيائي بأني تزوجت مولاتي
وتركت أكفأئي من قريش ، فليس فوق رسول الله منتهى في شرف ،
ولا غاية في نسب ؛ وإنما كانت ملك يميني خرجت عن يدي بأمر

التمست فيه ثواب الله ، ثم ارتجعتها على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وقد رفع الله بالإسلام الحسيسة ، ووضع عنابه النقيصة ، فلا لوم على امرئ مسلم إلا في أمر مآثم ، وإنما اللوم لوم الجاهلية فلما قرأ معاوية كتابه نبذه الى يزيد فقرأه وقال : لشد ما خثر عليك الحسين . قال : لا ؛ ولكنها ألسنة بني هاشم الحداد التي تغلق الصخر ، وتعرف من البحر

٢ — كتابه الى أهل الكوفة

لما تابعت على الحسين مع رسل أهل الكوفة كتبهم يستدعونه ، كتب الحسين اليهم جميعاً كتاباً واحداً ودفعه الى هانئ بن هانئ وسعيد بن عبد الله وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم - من الحسين بن علي إلى من بلغه كتابي هذا من أوليائه وشيعته بالكوفة

سلام عليكم ، أما بعد فقد أتتني كتبكم ، وفهمت ما ذكرتم من محبتكم بقدمي عليكم ، وأنا باعث اليكم بأخي وابن عمي وثقتي من أهلي (مسلم بن عقيل) ليعلم لي كنهه أمركم ، ويكتب اليّ بما يتبين له من

(م - ١٦ - رابع)

اجتماعكم ، فان كان أمركم على ما أئتنى به كتبكم ، وأخبرتني به رسلكم
أسرعت القدوم عليكم ، إن شاء الله ، والسلام

أما صورة الكتاب الذى أرسل اليه من أهل الكوفة فها هو :

بسم الله الرحمن الرحيم - للحسين بن على أمير المؤمنين من شيعته
وشيعه أبيه رضى الله عنهما

أما بعد ، فان الناس منتظرونك ، لارأى لهم فى غيرك ، فالعجل العجل
يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعلَّ الله أن يجمعنا بك على
الحق ، ويؤيد الإسلام بك ، بعد أجزل السلام وأتمه عليك ، ورحمة
الله وبركاته

٣ — كتابه الى أهل الكوفة مع قيس بن سهر الصيدأوى

بسم الله الرحمن الرحيم - من الحسين بن على إلى إخوانه من
المؤمنين المسلمين

سلام عليكم ، فانى أحمد اليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فان
كتاب مسلم بن عقيل جاءنى يخبرنى فيه بحسن رأيكم ، واجتماع مثلكم
على نصرنا ، والطلب بحقنا ، فسألت الله أن يحسن لنا الصنع ، وأن
يشيكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء

لثمان مضيّن من ذى الحجة (يوم التروية) فاذا قدم عليكم رسولى
فاكتموا أمركم وجدوا ، فانى قادم عليكم فى آياى هذه إن شاء الله
تعالى والسلام

٤ — كتابه الى أهل البصرة

روى ابن جرير الطبرى وابن كثير ، أن الحسين بعث مع مولى له
يقال له (سليمان) كتاباً الى أشراف أهل البصرة نسخة واحدة فيه :
أما بعد ، فان الله اصطفى محمداً على خلقه ، وأكرمه بنبوته ،
واختاره لرسالته ، ثم قبضه اليه ، وقد نصح لعباده ، وبلغ ما أرسل به ،
وكنا أهله وأولياءه وورثته ، وأحق الناس بمقامه ، فاستأثر علينا قومنا
بذلك ، فرضينا وكرهنا الفرقة ، وأحبينا العاقبة ، ونحن نعلم إنا أحق
بذلك الحق ممن تولاه ، وقد أحسنوا ، وأصلحوا ، وتحروا الحق ، فرحمهم
الله ، وغفر لنا ولهم

وقد بعثت اليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم (الى كتاب الله وسنة
نبيه) فان السنة قد أُميتت ، وإن البدعة قد أُحييت ، فان تسمعوا قولى
وتطيعوا أمرى ، أهدكم الى سبيل الرشاد ، والسلام عليكم ورحمة الله

بعض خطبه في المواعظ والحكم

قال رضى الله عنه في خطبة خطبها : أيها الناس نافسوا في المكارم ،
وسارعوا في المغانم ، واكتسبوا الحمد بالمنح ، واعلموا أن المعروف
يكسب حمداً ، ويعقب أجراً ، ولورأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً
جيلاً يسر الناظرين ، ولورأيتم اللؤم رأيتموه سمجاً مشوهاً تنفر منه
القلوب وتغض دونه الأبصار

أيها الناس : من جاد ساد ، ومن بخل ذل . وإن أجود الناس
من أعطى من لا يرجوه ، وأعف الناس من عفا عن قدرة ، وأفضل
الناس من وصل من قطعه ، ومن يعجل لأخيه خيراً وجده إذا قدم
عليه ، ومن أحسن أحسن الله إليه ، والله يحب المحسنين

ومن كلامه في الحرب التي اختار الله له بها ماعنده في خطبة ألقاها :
بعد أن حمد وصلى قال : قد نزل من الأمر ماترون ، وإن الدنيا
قد تغيرت وتسكرت ، وأدبر معروفها وانشرت ، حتى لم يبق منها
إلا كصابة الإناء ، وإلا خسيس عسيس كالمرعى الويل ، ألا ترون
الحق لا يعمل به ، والباطل لا يتناهى عنه ؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله
عز وجل وإنى لأرى الموت إلا سعادة ، ولا أرى الحياة مع الظالمين
إلا جرمًا

خطبة له في اليوم الذي استشهد فيه

قال ابن عساكر في كتاب التاريخ الكبير: خطب الحسين في اليوم الذي استشهد فيه فقال بعد الحمد والثناء: عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر، فإن الدنيا لو بقيت لأحد أو بقي عليها أحد لكانت الأنبياء أحق بالبقاء، وأولى بالرضاء، وأرضى بالقضاء، غير أن الله خلق الدنيا للبلاء، وخلق أهلها للفناء، فجددها بال، ونعيمها مضمحل، وسرورها مكفهر، والمنزل بُلغة (اليسير من الزاد) والدار قلعة (أى ليست بمستوطنة) فتزودوا، فإن خير الزاد التقوى، واتقوا الله لعلكم تفلحون

دعاؤه

روى محمد بن جرير الطبري وابن كثير: أنه لما صَبَحَت الخيل الحسين يوم الطفّ (اليوم الذي استشهد فيه الحسين) رفع يديه فقال: اللهم أنت تقى في كل كرب، ورجائى في كل شدة، وأنت لى في كل أمر نزل ثقة وعدة، كم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته اليك

رغبة منى اليك عن سواك ، ففرجته وكشفته وكفيتنيه ، فأنت ولي كل
نعمة ، وصاحب كل حسنة ، ومنتهى كل رغبة
ومن دعائه بالكعبة الشريفة : إلهي نَعَمْتَنِي فلم تجدني شاكرًا ،
وابتليتنِي فلم تجدني صابرًا ، فلا أنت سلبت النعمة لترك الشكر ، ولا
أدمت الشدة لترك الصبر ، إلهي ما يكون من الكريم إِلَّا الكرم

شعره في الحكم

« إذا ماعَضَّكَ الدهر فلا تجنح الى الخلق »
« ولا تسأل سوى الله تعالى قاسم الرزق »
« فلو عشت وطوّفت من الغرب الى الشرق »
« لما صادفت من يقدر أن يُسعد أو يُشقى »
وقال ابن عساكر : يقال : ان هذه الآيات للحسين رضى الله عنه
« اِغْنِ عن المخلوق بالخالق تغن عن الكاذب والصادق »
« واسترزق الرحمن من فضله فليس غير الله من رازق »
« من ظنَّ أن الناس يغفونَه فليس بالرحمن من واثق »
« أو ظنَّ أن المال من كسبه زلت به النعلان من حالق »
وقال الأعمش : ومن كلامه أيضًا :
« كلما زيد صاحب المال مالا زيد في همّة وفي الاشتغال »

« قد عرفناك يا منغصة العيش ويا دار كل فاز وبال »
 « ليس يصفوا زاهد طلب الزهد اذا كان مثقلا بالعيال »
 وروى ابن كثير قال : بلغني أن الحسين زار مقابر الشهداء
 بالبقيع فقال :

« ناديت سكان القبور فأسكتوا فأجاني عن صمتهم ترب الحشا »
 « قالت : أتدري ما صنعت بساكني مزقت لحمهم وخرقت الكسا »
 « وحشوت أعينهم تراباً بعدما كانت تأذى باليسير من القذا »
 « أما العظام فأنى مزقتها حتى تباينت المفاصل والشوى »
 « قطعت ذا من ذا ومن هذا كذا فتركتهما مما يطول بها البلى »
 ومن كلامه رضى الله عنه فى البغى :

« ذهب الذين أحبهم وبقيت فيمن لا أحبه »
 « فيمن أراه يسبنى ظهر المغيب ولا أسبه »
 « أفلا يرى أن فعله مما يسير اليه غيه »
 « حسبي برى كافيا مما اجتنى والبغى حسبه »

خلاصة ما قيل في مقتل الحسين عليه السلام

وانتقاله الى النعيم المقيم

ان مقتل الحسين عليه السلام من الحوادث العظيمة ، وذكره نافعة ، وإن كان حديثه يحزن كل مسلم ، ويسخط كل عاقل ، لأنه لما ظهر من فسق (يزيد بن معاوية) واستهتاره بالفواحش ، وظلمه وتهوانه بالدين ، بايع أهل العراق الحسين وعاهدوه على أن ينصروه عليه واستدعوه ، فرأى الحسين عليه السلام أنه تعين عليه جهاده ، والقيام بأمر الأمة بدله ، فسار اليهم في أهل بيته فخذلوه ، وقاتله منهم خمسة آلاف وهو في اثنين وسبعين من أهله وأصحابه فصبر وقاتل ولم يستسلم ، فنعوه الماء مستعنين بالعطش على قتاله ، مع أنه سقاهم وسقى خيلهم وهو يملك الماء وقتلوا ابنه (عبد الله) طفلاً وهو في حجره ، رماه أحدهم بسهم فذبحه ، فقاتل عنه أصحابه حتى قتلوا عن آخرهم

ولما بقي الحسين وحده ، تكاثروا عليه فجرحوه أكثر من سبعين جرحاً ، فلما صرع ذبحوه ، وداسوه بخيولهم ، واجتزوا رأسه الشريفة ورؤوس جميع أصحابه حتى ملابسهم ، وتركوا أجسادهم بالعراء مجردة

بغير دفن ، واحتملوا الروس على أطراف الرماح والصبيان والنساء
كالسبايا من كربلاء الى الكوفة ، ومن الكوفة الى دمشق ، وبين
الكوفة ودمشق كانت النساء على أقتاب الإبل ، وكان زين العابدين
مغلولاً الى عنقه

فأى فاجعة أقطع من مقتل الحسين ! وقد مضى شهيداً ، مظلوماً ،
كريماً ، صابراً ، مكشوراً

وأي عدو أحط نفساً ، وأعظم جهلاً ، وأغلظ كبداً من خصومه !
إذ ارتكبوا هذه الخيانة ، وهم يعرفون جليل قدره ، طلباً للحظوة عند
أميرهم ، وطمعاً في المال ، فباعوا آخرتهم بدنياههم ، غير أنه لم يثبت أن
يزيد أمر بالقتل ؛ بل قيل : أنه لما حملت اليه رأس الحسين غضب
لذلك وتألم جداً ، وصرح بأنه ما كان يحب قتله

واللوم كل اللوم على أهل العراق ، فهم المسؤولون عما صنعوا ، المؤخذون
بما أساءوا ؛ لأنهم أخلفوا الحسين ما وعده ، ثم خذلوه وقتلوه حتى
قُتل ، وكان ذلك لعشر خلون من المحرم يوم عاشوراء سنة إحدى
وستين من الهجرة بموضع يقال له (كربلاء) في أرض العراق بناحية
الكوفة ويعرف أيضاً (بالطف)

ومن غريب أمر شيعة الحسين أنهم خذلوه حيًّا ، ونصروه ميتًا ،
فإنهم بعد قتله ندموا على ما فرطوا في حقّه ، وسموا أنفسهم (التوايين)
وقاموا لأخذ ثاره ، فلم يستبينوا الرشد من الغي إلّا ضحى الغد
وجزى الله المختار وأصحابه خيرًا ، فانهم شقوا غليل الصدور بانتقامهم
من قاتليه

ومن عجيب أمره عليه السلام أن يقتله شيعته ثم يجددون الحزن
عليه في جميع بلاد المسلمين كل عام من يوم قتله للآن . (عن كتاب
الحسين للمرحوم علي بك جلال)

السبب في نزول هذه الكارثة العظمى

كما ذكره المرحوم السيد محمود البيلوى

في كتابه التاريخ الحسينى

والسبب في هذه النازلة العظمى أن (يزيد) لما مات أبوه (معاوية) سنة ستين من الهجرة وتولى الخلافة بعده ، أرسل الى (الوليد بن عقبة) ليأخذ بيعة الحسين (وعبد الله بن الزبير) رضى الله عنهما فأرسل لهما ليلاً فقالا : مثلنا لا يبايع سراً ، ولكن نبايع على رؤوس الناس ثم خرجا تحت الليل الى مكة ، ليلة الأحد الثامن والعشرين من رجب من السنة المذكورة ، فأقام الحسين رضى الله عنه بها أربعة شهور جاءه في خلالها رسائل عديدة من أهل الكوفة يدعونه بها للخلافة ، ويعدونه إذا أجابهم أنهم يعززونهم وينصرونهم ، وإلا سألوهم بين يدي ربه عما فشا في الأرض من ظلم الظالمين . فأجاب سؤالهم وسافر يوم (التروية) ميمماً الكوفة ، فأرسل يزيد لما بلغه ذلك الى (عبيد الله ابن زياد) ليجهز جيشاً تحت قيادة (الحصين بن تميم) صاحب الشرطة فأرسله ونظم الخيل بين القادسية وجبل لعلع فلما بلغ الحسين رضى الله عنه ذلك أرسل الى أهل الكوفة يخبرهم

بسد الطريق بالحصين ، ويزكروهم بوعدهم له ، وأعطى الكتاب (لقيس بن مسهر) فظفر به الحصين فقتله ، ثم أقبل الإمام نحو الكوفة ومعه خلائق لا تحصى اتبعته في الطريق ، وإذا بناع يعنى (مسلم بن عقيل) الذى أرسله الى أهل الكوفة يخبرهم بقدومه ، فلما بلغه ذلك تغير خاطره الشريف وقال :

« أيها الناس ، قد خذلتنا شيعتنا ، فمن أحب أن ينصرف فلينصرف فليس عليه منا ذمام » ففترقوا عنه ، وبقي فى أصحابه الذين جاءوا معه فسافروهم ، وإذا هو بالخیل قد أدركته وعليها ألف فارس تحت قيادة (الحر بن يزيد التميمي) فقال لهم الحسين رضى الله عنه :

« أيها الناس ، انهما معذرة الى الله واليكم ، إني لم آتكم حتى أتنى كتبكم ورسلكم أن أقدم علينا ، فليس لنا إمام يجمعنا على الهدى ، وقد جئتكم ، فان تعطوني ما أطمئن به من عهودكم أقدم مصركم ، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين ، رجعت عنكم إلى المكان الذى أقبلت منه » فسكتوا

فقال الحسين رضى الله عنه : أيها الناس ، إنكم إن تقبوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله ، ونحن أهل البيت أحق بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ، ما ليس لهم السائرین فيكم بالجور والعدوان ، فان أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أئتنى به كتبكم انصرف

عنكم ، فأنكر (الحر) ومن معه تلك الكتب وقالوا : إنا قد أمرنا باحضارك الى ابن زياد

فقال : الموت أدنى من ذلك ، وأمر أصحابه بالمسير فممنهم (الحر) فقال الحسين رضى الله عنه : ثكلتك أمك ، ماتريد ؟

قال : إني لم أؤمر بقتالك ؛ بل باحضارك الى ابن زياد ، فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة ، ولا توصل الى المدينة ، حتى أكتب الى ابن زياد ، وتكتب أنت الى يزيد والى ابن زياد ، لعل الله يعصمى أن أبتلى بشيء من أمرك

فسار كذلك ، واذا (بعمربن سعد) قادماً من الكوفة بأربعة آلاف وذلك يوم الجمعة خامس المحرم سنة إحدى وستين فأخبر الحسين بأن ابن زياد أمره بمنعه الماء حتى يبايع ليزيد ، فمنع رضى الله عنه من شرب الماء هو ومن معه قبل القتل بثلاثة أيام ؛ ثم أخذت عمراً رقة فاتفق على الصلح على شروط أرسلها الى ابن زياد لاستئذانه فى أمرها ، فغضب وأبى وأرسل (شمر بن ذى الجوشن) بكتاب لعمر يعنفه فيه ، فأحاطوا به وأخبروه بأن ابن زياد يخيره بين مبايعة يزيد أو القتل ، فاستمهلهم للصباح ، فبات مع أصحابه طول الليل فى تضرع وابتهال واستغاثة بالله من هذا الكرب المحدث بأهل البيت الكرام

فلما أصبح الصباح جهز عمر جيشه للحرب ، فخرج الإمام الحسين

رضى الله عنه في أصحابه، وكانوا أربعين رجلاً واثنين وثلاثين فارساً، ولكن ماذا يصنعون أمام ذلك الجيش المتدرع بالمظالم؟ فوضع الإمام مصحفاً بين يديه، ورمى عمر إلى جيبته سهماً وقال: اشهدوا أني أول من رمى سهماً في الناس، فاشتد الكرب، وحى وطيس الحرب، وصرع أصحاب الإمام، وأحاطوا به من كل حذب، واقتتلوا قتالاً عنيفاً أبلى فيه الإمام وأصحابه بلاءً حسناً، وبلغ فيه (شمر) فسطاط الحسين رضى الله عنه، والقوم شهداء من حوله، وهو رضى الله عنه مضرع بدمائه وبجسده الطاهر ثلاث وثلاثون طعنة بالرمح، وأربع وأربعون ضربة بالسيوف، وهو مع ذلك صابر لقضاء الله، قوى الجأش، ثابت القلب، طالب من الله الانتقام من الظالمين

وكما انتهى إليه رجل منهم، رجع وكره أن يتولى قتله، أقبل عليه رجل من (كندة) يقال له (مالك) فضربه على رأسه بالسيف، فقطع البرنس وأدماه، ورماه (حصين بن تميم) بسهم وقع فيه حين أراد أن يشرب فتلقى الدم بيده الشريفة، وقال: اللهم إن كنت حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير منه، وانتقم من هؤلاء الظالمين، اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بآبنت نبيك، اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً

فقال شمر: ما تنتظرون بالرجل؟ اقتلوه، فحملوا عليه من كل جانب

وحزوا رأسه الشريفة ، وانتهبوا ثقله ، وانتزعوا متاعه ، وأمرهم (عمر بن سعد) فأوطئوا الخيل صدره وظهره ، بعد أن أسلم الروح لبارئها ، واختار الله لها ما عنده ، فخلت حرم الرضوان ، وتمتعت في فراديس الجنان ، وصدق قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

ولما بلغ أهل المدينة قتل الحسين رضى الله عنه خرجت ابنة (عقيل بن أبى طالب) فى نساء من بنى هاشم ، وهى حاسرة تلوى ثوبها وتقول :

« ماذا تقولون إن قال النبى لكم ؟

ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم ؟ »

« بعترتى وبأهلى بعد مُفتَقدى

منهم أسارى وقتلى ضُرِّجوا بدم »

« ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم

أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحى »

وقيل انه كان مكتوباً على راية الحسين بن علي رضى الله عنهما
يوم قُتل الأبيات الآتية :

« لئن كانت الدنيا تُعدُّ نفيسة

فدار ثواب الله أعلى وأنبلُ »

« وإن كانت الأرزاق قسماً مقدرًا

فقلة حرص المرء بالكسب أجمل »

« وإن كانت الأموال للترك جمعها

فما بال متروك به المرء يبخل »

« وإن كانت الأبدان للموت أنشئت

فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل »

بعض مراثيه

رثى الحسين عليه السلام منذ توفى شعراء كل جيل ، وكل بلد بكل
لغة ، حتى قيل : أن الجن ناحت عليه ، والسماء أمطرت دماً فلنذكر بعضها

رثاء زوجه الرباب

رثت الرباب بنت امرئ القيس زوجها الحسين عليه السلام حين
قُتل فقالت :

« إن الذي كان نوراً يستضاء به بكر بلاء قتل غير مدفون »
 « سبط النبي جزاك الله صالحه عنا وجُنت خسران الموازين »
 « قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به وكنت تصحبنا بالرحم والدين »
 « من لليتامى ومن للسائلين ومن يغني ويأوي إليه كل مسكين؟ »
 « والله لا أبتغي صهراً بصهركم حتى أغيب بين الرمل والطين »

رثاء ابنته السيدة سكينة رضي الله عنها

« إن الحسين غداة الطف يرشقه ريب المنون فما أن يُخطيء الحديقة »
 « بكف شر عباد الله كلمهم نسل البغايا وجيش المرق الفسقة »
 « يا أمة السوء هاتوا ما احتجاجكم غداً وجاكم بالسيف قد صفقه »
 « الويل حل بكم إلا بمن لحقه صيرتموه لأرماح العدا درقه »
 « ياعين فاحتفل طول الحياة دماً لاتبك ولداً ولا أهلاً ولا رقة »
 « لكن على ابن رسول الله فانسكبى قيحاً ودمعاً وفي إثرهما العلقه »

رثاء عقبة بن عمرو العبسي

قال سبط ابن الجوزي في تذكرة خواص الأمة : قال السدي :

(م - ١٧ رابع)

أول من رثي الحسين عليه السلام عقبه بن عمرو العيسى فقال: «
 « إذا العين قرّبت في الحياة وأتمّ تخافون في الدنيا فأظلم نورها »
 « مررت على قبر الحسين بكر بلا ففاضت عليه من دموعي غزيرها »
 « وما زلت أبكيه وأرثي لشجوه ويسعد عيني دمعها وزفيرها »
 « وناديت من حول الحسين عصائباً أطافت به من جانبيه قبورها »
 « سلام على أهل القبور بكر بلا وقلّ لها مني سلام يزورها »
 « سلام بأصال العشي وبالضحى تؤديه تكبّاء الرياح ومورها »
 « ولا برج الزوار زوار قبره يفوح عليهم مسكها وعيرها »

رثاء الإمام الشافعي

« وقيل: إن الإمام الشافعي رحمه الله أنشد الرثاء الآتي: »
 « ومما نفي نومي وشيّب لمتي تضاريف أيام هنّ خطوب »
 « تأوب هي والفؤاد كئيب وأرق عيني والرقاد غريب »
 « تنزلت الدنيا لآل محمد وكادت لهم صمّ الجبال تذوب »
 « فمن مبلغ عني الحسين رسالة وإن كرهتها أنفس وقلوب »
 « قتيل بلا جرم كأن قيصه ضيغ بماء الأرجوان خضيب »
 « نصلى على المختار من آل هاشم وتغزوا بنيه إن ذا العجيب »
 « لأن كان ذنبي حب آل محمد فذلك ذنب لست عنه أتوب »

رثاء الشريف الرضى

« كربلا لا زلتِ كرباً وبلاً مالى عندك أهل المصطفى »
 « كم على تُربك لما صُرعوا من دم سال ومن دمع جرى »
 « يارسول الله لو أبصرتهم وهم ما بين قتل وسبا »
 « من رميض يُمنع الظل ومن عاطش يُسقى أنابيب القنا »
 « جزروا جزر الأضاحى نسله ثم ساقوا أهله سوق الإما »
 « هاتفات برسول الله فى شدة الخوف وعثرات الخطا »
 « قتلوه بعد علم منهم أنه خامس أصحاب الكسا »
 « ليس هذا لرسول الله يا أمة الطغيان والبغى جزا »
 « يا جبال المجد عزاً وعُلا وبدور الأرض نوراً وسنا »
 « جعل الله الذى نالكم سبب الوجد طويلاً والبكا »
 « لا أرى حزنكم يُسلى ولا رُزءكم يُنسى وإن طال المدى »

وقد رثاه الصاحب بن عباد والبوصيرى رحمهما الله وغيرهما ، وجميع
 الرثاء المذكور فى كتاب المرحوم على بك جلال الحسينى فمن شاء
 فليطلع عليه .

رثاء الشريف الرضى

نساؤه

الرباب ، ابنة امرئ القيس الكلبيّة ، وهى أم سكينه بنت الحسين .

وكان الحسين يحبها حباً شديداً وله فيها أشعار منها :

« لعمرك أننى لأحبّ داراً تحل به سكينه والرباب »

« أحبهما وأبذل فوق جهدى وليس لعاذل عندى عتاب »

« ولست لهم وإن عتبوا مطيعاً حياؤى أو يفغيني التراب »

قيل : خطبها يزيد والأشرف من قریش فقالت : والله لا كان

لى حمّ آخر بعد رسول الله ، وعاشت بعد الحسين سنة ثم ماتت كمدّاً ،

ولم تستظل بعد الحسين بسقف (عن ابن الجوزى)

لىلى بنت أبى مرة بن عروة بن مسعود الثقفى . وهى أم على المقتول

بالطف مع أبيه

أم اسحق بنت طلحة بن عبد الله ، وهى أم فاطمة

أم جعفر بن الحسين القضاية ، ولم يوقف على شىء من أخبارها

شهربانو بنت كسرى يزدرجرد واسمها (جهان شاه) وهى أم على

زين العابدين

عائشة بنت خليفة ، وحفصة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر

الصدىق ، وعاتكة بنت زيد بن عمر بن ثعلب

أولاده

قال محمد بن أبي طلحة القرشي في مناقب آل الرسول :

كان للحسين من الأولاد تسعة : ستة ذكور ، وثلاث إناث
فالذكور : ١ - علي الأكبر - الذي قاتل بين يدي أبيه حتى
قتل شهيداً

٢ - علي الأوسط (زين العابدين) وأمه شاه زنان بنت كسرى
يزدجرد

٣ - علي الأصغر الذي قتل مع أبيه بالطف وأمه ليلى بنت أبي مرة
ابن عروة بن مسعود

٤ - محمد - ٥ - عبد الله الذي قتل مع أبيه صغيراً وجاء سهم وهو
في حجر أبيه فذبحه

٦ - جعفر بن القضاية

والإناث : ١ - زينب ٢ - سكينه وأما الباب

٣ - فاطمة وأما أم اسحق بنت طلحة بن عبيد الله تيمية

انتقال الرأس الشريف إلى القاهرة المعزية

اختار الله تعالى للإمام الحسين رضي الله عنه ماعنده ، فقرّبه إليه ،
ونقله من دار المحن إلى دار المنح ، ومن دار الفناء ، إلى دار النعيم

السرمدي المقيم ، وذلك يوم عاشوراء سنة إحدى وستين من الهجرة
فسافر عمر بن سعد بالرأس الشريفة إلى الكوفة وسأها إلى ابن
زياد (الشهير بابن مرجانة) فطاف بها في الأسواق ، ثم وجهها إلى دمشق
ليزيد ، فأمر برفعها بها ثلاثة أيام ، ثم أمر بأن يطاف بها في البلاد ،
(عاملهم الله بما يستحقون) فطيف بها حتى وصلت عسقلان ، وأميرها
إذ ذاك من خيرة الناس إيماناً وخوفاً من الله ، فدفنها في مكان خيم
استمرت به إلى سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، وفي شعبان منها خرج
الأفضل ابن أمير الجيوش بعساكر كثيرة إلى بيت المقدس (كما نقله
المقريزي عن ابن ميسر) وحارب من به وملكه ثم دخل عسقلان
ولما علم بالرأس الشريفة عمل مشهداً جليلاً بالمدينة المذكورة إذ
رأى المكان الأول صار لا يلبق بجلاها ، ولما تكامل أخرجها فعضرها
وحملها على صدره وسعى بها ماشياً إلى أن أحلها في المشهد المذكور ،
فاستمرت به إلى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة من الهجرة وحواليها ،
قضى الله على عسقلان أن تمتد إليها أيدي الطمع من الإفرنج وكان بها
أمير يقال له (عياش) فأرسل إلى الخليفة (الفائز بأمر الله) بمصر يقول
له : أما بعد فإن الفرنج قد أشرفوا على أخذ عسقلان وإن بها رأس
الإمام الحسين بن علي فأرسلوا من تختارونه وإلا أخذوها ، وكان
الخليفة الفائز أحد الخلفاء الفاطميين إذ ذاك طفلاً صغيراً لم يبلغ الحادية

عشرة من عمره، ولذلك كان الحل والعقد والأمر والنهي لأكبر وزرائه
 (طلّاع بن رزّيك) فأرسل فرقة من الجيش تحت أمر (مكنون)
 الخادم، وزوّده بثلاثين ألف دينار، فأتوا بها ووصلوا الى (قطيّة)
 فخرج الوزير الى لقائها من عدة مراحل ومعه جيوش كثيرة وكلهم
 حفاة خاشعون فحملها الوزير على صدره حتى دخلوا مصر وبني
 طلالع مسجداً لها خارج باب زويلة من جهة درب الأحمر، وهو
 المعروف (بجامع الصالح) الآن، فكشف الحجب عن تلك الذخيرة
 النبوية فوجد دهما لم يحف، ووجد لها رائحة أطيب من المسك (كما قال
 المقرئ) ففعلها في المسجد المذكور على ألواح من الخشب (بأعلى
 الحائط ألواح الآن يقال انها هي التي كان عليها الغسل) ثم أراد أن
 يشرف ذلك المسجد بدفنها فيه فأبى أهل القصر وهم معية الملك الفائز
 وقالوا: ان أثراً نبوياً جليلاً كهذا لا يليق أن يكون مستقره خارج
 حدود القاهرة بل لابد من دفنه في قصر الملك

وكانت بوابة الباب الأخضر الموجودة الآن تحت المنارة الصغرى
 للمسجد الحسيني باباً من أبواب القصر المنتهى الى الجمالية واسمه (باب
 الدليم) ودهليز الخدمة فعمدوا الى الجهة المذكورة وبنوا بها بناء فخياً
 حلوه بأنواع الزخارف الجميلة وكسوا جدرانها بالخام الملون في البقعة
 المباركة الحالية (عن كتاب التاريخ الحسيني للمرحوم السيد محمود البيلالوي)

الخلاف في وجود رأس الحسين عليه السلام

هل هي مدفونة بكر بلا أم بالقاهرة ؟

قد حصل تضارب في الأقوال ، واختلاف كثير في وجود رأس الحسين عليه السلام . فبعضهم يقول : أنه دفن بدمشق ونقل الى عسقلان ومنها الى القاهرة

وبعضهم يقول : انه مدفون بالمدينة عند قبر أمه فاطمة عليها السلام وقيل بمسجد الرقة على الفرات ، وبعضهم ينكر أن ابن زياد أرسله الى يزيد ، وبعض أهل السنة اتفقوا على أنه مدفون مع الجسد بكر بلا

ولقد حقق المرحوم على بك جلال الحسيني في كتابه (تاريخ الحسين) من الشواهد ما يثبت وجود الرأس بالقاهرة ، كما أن الاستاذ حسن أفندي قاسم الكتائب التاريخي لمجلة الإسلام الغراء ، أثبت في كتابه (مصرع الحسين الذي ظهر حديثاً) بالأدلة التاريخية ، والشواهد الدينية المنقولة عن كبار العلماء ، أن الرأس الشريفة مدفونة بالقاهرة بالمشهد الحسيني بلا خلاف ، وقد أورد كثيراً من التحقيقات المؤيدة لذلك بأدلة ثابتة ، والله تعالى أعلم

زيارة المسجد الحسيني

لقد أشرقت الديار المصرية بيزوغ هذه الشمس المنيرة بأنوار النبوة رأس الإمام الحسين رضي الله عنه وحلولها بالقبة الشريفة بالقاهرة سنة ثمان أو تسع وأربعين وخمسمائة بعد الهجرة بالمسجد الحسيني ، وصار من دفنها الى الآن مطمح أنظار العباد من المسلمين في أقطار القطر المصري ويزار في معظم الأوقات خصوصاً في المولد الحسيني المشهور

المواسم السنية بالمسجد الحسيني

ويحتفل بالمسجد الحسيني في كل عام بعشرة مواسم جليلة هي أعياد للأمة المصرية الاسلامية ، ومطالع للأنوار السنية الحسينية ، بها تستمد البركات ، وتعم النفحات ، كيف لا وهي مشارق الأنوار ، ومعاهد الأسرار ، في مشهد سبط النبي المختار

والمواسم المذكورة هي : ١ - ليلة عاشوراء ويومها ٢ - المولد النبوي الشريف ٣ - المولد الحسيني ٤ - حفلة الغسلة ٥ - ليلة المعراج ويومها ٦ - وليلة الخامس من شهر شعبان تذكراً لليلة التي ولد فيها الإمام الحسين رضي الله عنه ٧ - وليلة النصف من شعبان ويومها ٨ - وليلة القدر ٩ - وشهر رمضان ١٠ - والاحتفال بنقل الكسوة الشريفة النبوية الى المسجد الحسيني في شوال من كل سنة

موسم عاشوراء وأعمال العجم فيه

يحتفل بالمسجد الحسيني باحياء ليلة العاشر من المحرم في كل عام بالأذكار والأوراد ، وترتيل آي الذكر الحكيم ، وقراءة الدروس الشرعية ، والقصة الشريفة النبوية ، كل هذا والمسجد مشرق بالأنوار الشمسية والقمرية ، والقبة كاملة الأنوار معنوية وحسية ، وهي تحيا من قديم الزمان ، على نفقة أهل البر والإحسان ، وإن الشريعة الغراء قد اتخذت يوم عاشوراء موسماً دينياً ، أمرت فيه ببذل الأموال ، والتوسعة على الفقراء والأطفال ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « من وسع على عياله وأهله يوم عاشوراء وسع الله عليه في سائر سنته » وقال صلى الله عليه وسلم : « صيام عاشوراء انى أحسب على الله عز وجل أن يكفر السنة التى قبلها »

وأمر المسلمين فيه بزيارة العلماء ، ومواساة الفقراء ، وعيادة المرضى ، وغير ذلك من الأعمال الخيرية التى وردت فى السنة الشريفة التى اتخذت هذا اليوم موسماً من أعظم المواسم الدينية هذا وإن الشيعة والأعاجم قد اتخذوا هذا اليوم يوم حزن كبير ، وماتم عظيم ، بل اتخذ الشيعة أيامه السابقة عليه أيضاً أيام حزن وكدر لما حل بسبط سيد الأبرار ، فيجتمعون فى منزل يعدونه لذلك ،

ويزينونه بالأقمشة الفاخرة ، ويوقدون الشموع والمصابيح ، ويدعون من أرادوا ، ويقوم بعد العشاء خطيب يرثى الإمام الحسين وأهل بيته الأختار ، فيبكي ويبكي الحاضرون ، وهكذا كل ليلة الى ليلة عاشوراء فيتوسعون في الاحتفال بالماثم ، ويدعون الكبراء والأمرء ، وفي الساعة الرابعة يسرون في مشهد كبير صفوفاً بثياب بيضاء وبأيديهم سيوف يجرحون بها رؤوسهم ، وبعضهم يضرب صدره براحتيه ، وبعضهم يضرب ظهره بالسلاسل والأغلال ، وبينهم جواد عليه طفل تسيل دماؤه على وجهه وصدره ، وجواد آخر يمثل حمل الرأس الشريفة ، وهكذا كل امرئ منهم يبدى ما يقدر عليه مما يراه قربة الى الإمام الحسين رضى الله عنه ، فحتى انتظموا ساروا نحو المشهد ثم رجعوا بسلام وقد ذكر المقرئ أنهم كانوا يحرمون عليهم وعلى الناس شرب الماء في ذلك اليوم ؛ لأن الإمام الحسين قتل عطشاً ، فكانوا يشقون قرب السقاين ، ويكسرون أواني الشرب في الأسواق ، ويسبون من ينفق على عياله فيه ، وكان يعظم فيه خوف الناس منهم فيغلقون الحوانيت وأبواب الديار ، وتعطل الأسواق ، ولم يبق لله الحمد من هذا كله شيء الا ان سوى ما ذكر من إحياء المليلة في المسجد

العضات والعبر من قصة مصرع الحسين عليه السلام

كما ذكرها المرحوم علي بك جلال الحسيني في كتابه

كما أن حياة الحسين عليه السلام منار المهتدين ، فمصرعه عظة
لمعتبرين ، وقدوة المستبسلين

١ - أَلَمْ تَرَ كَيْفَ اضْطُرَّهُ نَكَدَ الدُّنْيَا إِلَى إِثَارِ الْمَوْتِ عَلَى الْحَيَاةِ ،
وهو أعظم رجل في وقته لا نظير له في شرقها ولا في غربها

٢ - وأبت نفسه الكريمة الضيم ، واختار السَّلةَ عَلَى الدِّلَّةِ ، فكان
كما قال فيه أبو نصر بن نباتة :

« والحسين الذي رأى الموت في العز

حياةً والعيش في الذل قتلاً »

٣ - ومع التفاوت الذي بلغ أقصى ما يتصور بين فئة القليلة وجيش
ابن زياد في العدد والعدد والمدد ، قد كان ثباته ورباطة جأشه
وشجاعته تحير الألباب ، ولا عهد للبشر بمثلها ، كما كانت دناءة أخصامه
لاشبيه لها

٤ - وما سُمِعَ منذ خلق ولن يُسَمِعَ حتى يقفَ أفضع من ضرب (ابن
مرجانة) من ابن سُمَيَّةَ بقضيب ثغر ابن بنت رسول الله ، ورأسه بين
يديه بعد أن كان سيد الخلق عليه الصلاة والسلام يلثمه

٥ - ومن آثار العدل الإلهي قتل عبيد الله بن زياد (يوم عاشوراء) كما قتل الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ، وأن يبعث برأسه الى على ابن الحسين كما بعث برأس الحسين الى ابن زياد

٦ - وهل أمهل يزيد بن معاوية بعد الحسين إلا ثلاث سنين أو أقل ، فقد روى ابن جرير الطبري في تاريخه عن هشام بن محمد الكلبي أنه ولي سنتين وثمانية أشهر

٧ - وأي موعظة أبلغ من أن كل من اشترك في دم الحسين اقتص الله تعالى منه قُتْلًا أو نُكْبًا

٨ - وأي عبرة لأولى الأبصار أعظم من كون ضريح الحسين حرمًا معظمًا ، وقبر يزيد بن معاوية مزبلة أو (مبولة)

٩ - وتأمل غناية الله بالبيت النبوي الكريم بقتل أبناء الحسين ولا يترك منهم إلا صبي مريض مشرف على الهلاك ، فيبارك الله في أولاده فيكثر عددهم ويعظم شأنهم

١٠ - والذين قُتِلُوا مع الحسين من أهل بيته رجال ماعلى وجه الأرض يومئذ لهم شبه ، كما قال الحسن البصري ، وكانوا عنوان الشهامة والسَّعَم والقُدوة في الصبر والحرب والكرم

« وَإِنَّ الْأَوْلَى بِالطِّفْلِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

تَأَسَّوْا فَسَنُوا لِلْكَرَامِ التَّأْسِيَا »

- ١١ - وكل من أصابته الشدائد جعل رئيس هؤلاء الكرام أسوة
 كمصعب بن الزبير وبنى المهلب وغيرهم كما اقتدى أصحاب نجدة بن
 عامر ، والمختار بن أبي عبيد ، وعبد الله بن الزبير وأخيه مصعب وغيرهم
 في خذلان أمراءهم بأهل العراق حين خذلوا إمامهم الحسين
- ١٢ - ومقتل الحسين بغض بني أمية الى الناس وأيد حجة أعدائهم
 وزعزع أوتاد ملكهم ، وكان أكبر أسباب زوال دولتهم
- ١٣ - والحسين هو الذي عبّد للأمم طريق الخروج على ولاية الفسق
 والجور ، ودعا الى جهاد الظلم من استطاع اليه سبيلاً ، فجاد بنفسه ،
 وبذل مهجته لإقامة الحق والعدل والسنة مقام الباطل ، والاستبداد والإهواء
- ١٤ - ولو قدرت ولاية الحسين لكان خيراً للأمم في حكومتها
 وحياتها ، وأخلاقها وجهادها ، وشتان ما بين السبط الزكي ، والظالم
 السكير (يزيد القروذ والطنابير) وهل يستوى الفاسق الجائر ، والعاذل
 الإمام ؟ وأين الذهب من الرغام ؟
- ولكن اقتضت الحكمة الإلهية سير الحوادث بخلاف ذلك ، وإذا
 أراد الله أمراً فلا مرد له
- ١٥ - واقتضت إرادة الله أيضاً أن يبقى أثر جهاد الحسين على
 ممر الدهور كلما أرهق الناس الظلم تذكرة لمن ندب نفسه لخدمة
 الأمة ، فلم يحجم عن بذل حياته متى كانت فيه مصلحة أحوالها

٣ - الامام على زين العابدين

ابن الحسين رضى الله عنهما

ولد سنة ٣٨ هـ - وتوفي سنة ٩٤ هـ

مولده - ولد زين العابدين رضى الله عنه بالمدينة الشريفة يوم الخميس
خامس شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة في أيام جده على بن أبى
طالب ، وقبل وفاته بستين

كنيته - المشهورة (أبو الحسن) وقيل : أبو محمد . وقيل : أبو بكر
وقال الإمام مالك رضى الله عنه سمي زين العابدين لكثرة عبادته
ألقابه - كثيرة أشهرها . زين العابدين ، وسيد العابدين ، والزكى
والأمين ، وذو النفقات ، نقش على خاتمه « وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ »

نسبه الشريف - أبوه الحسين بن على رضى الله عنهما . وأمه .
(سلافة) ولقبها (شاه زنان) ومعناها بالفارسية (ملكة النساء) وهى
بنث (بزدجرد) ولد (أنوشروان العادل) ملك الفرس :
نشأته - كان زين العابدين مع أبيه بكر بلاء من يضاً نائماً على الفراش
فلم يقتل ، قاله ابن عمر رضى الله عنهما

مناقبه

علمه وورعه - قال محمد بن سعيد : على بن الحسين كان ثقة ، كثير الحديث ، عالماً ، رفيعاً ، ورعاً . وقال ابن تيمية : على بن الحسين من كبار التابعين وساداتهم علماً وديناً

وقال الزهري : مارأيت أفقه منه

وقال ابن المسيب : مارأيت أورع منه

حلمه وعفوه واحسانه - عن سفيان قال : جاء رجل الى على بن الحسين رضى الله عنهما فقال له : ان فلانا قد وقع فيك بحضورى (أى كان يغتابه) فقال له : انطلق بنا اليه ، فانطلق معه وهو يرى أنه سينتصر لنفسه منه ، فلما أتاه قال له : يا هذا إن كان ماقلته في حقنا أسأل الله أن يغفرلى ؛ وإن كان ماقلته في باطلاً فالله تعالى يغفره لك ، ثم ولى عنه ويحكى : أنه خرج الى المسجد للصلاة فسهب رجل فقصده غلماناه

ليضربوه ويؤذوه لأنه شتم سيدهم ، فنهاهم سيدنا زين العابدين وقال لهم : كفوا أيديكم عنه ، ثم التفت الى ذلك الرجل وقال : يا هذا أنا أكثر مما تقول ، وما لاتعرفه عنى أكثر مما عرفتته ، فان كان لك حاجة فى ذكره ذكرته لك . (يريد أن يقول عيوبى كثيرة ، وأن الكلام الذى تسبى

وتشتمنى به أقل من عيوبى) وإن كنت تريد أن أذكر لك بعض
هذه العيوب ذكرتها لك

فخجل الرجل واستحي ؛ لأنه كان ينتظر أن يشتمه سيدنا زين العابدين
بدل أن يلاطفه ويرد عليه بهذا القول اللين والرد الجميل . فلما رأى
خجله سيدنا زين العابدين خلع عليه قميصه ، وأمر له بألف درهم زيادة
عن تركه وملاطفته وعدم ائذائه ، فمضى الرجل وهو يقول : أشهد أن
هذا الشاب ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

تعبده وصلاحه

عن أبي حمزة قال : كان على بن الحسين رضى الله عنه يصلى فى
اليوم واليلة ألف ركعة ، وكان اذا توضأ للصلاة يصفر لونه ، ف قيل له :
ما هذا الذى نراه يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول : أما تدرون من أريد
أن أقف بين يديه ؟

وقال طاووس : دخلت الحجر فى الليل فاذا على بن الحسين قد
دخل ، فقام يصلى ماشاء الله ثم سجد سجدة فأطأها فقلت : رجل
صالح من بيت النبوة لأصغين اليه ؟ فسمعتة يقول : عبدك بفنائك ،
مسكينك بفنائك ، فقيرك بفنائك ، سائلك بفنائك

قال طاووس : فوالله ماصليت ودعوت بهن في كرب إلا فرّج الله عني

تصدقته وكرمه

قال ابن عائشة : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السرّ إلا بعد موت علي بن الحسين

وقال محمد بن اسحق : كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم وماّ كلهم ، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم

وكان يحمل جراب الخبز على ظهره في الليل يتصدق به ، فلما غسلوه جعلوا ينظرون الى سواد في ظهره فقيل : ما هذا ؟ فقالوا : كان يحمل جراب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة . ولما مات رضى الله عنه في سنة خمس وتسعين وجدوه كان يقوت أهل مائة بيت

وقال سفيان : أراد علي بن الحسين الحج ، فانفذت اليه أخته سكينه ألف درهم فالحقوه بها بظهر الحرة فلما نزل فرقها على المساكين وقال المناوى : دخل على علي زين العابدين رضى الله عنه في

مرض موته محمد بن أسامة بن زيد يبكي ، فقال له : ما يبكيك ؟ فقال له : على دين خمسة عشر ألف دينار ، فقال : هي عليّ ، ووفائها رضى الله عنه

حب الناس له

لما مرض دخل عليه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودونه فقالوا له : كيف أصبحت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فدتك أنفسنا . قال : في عافية ، والله محمود على ذلك ، فكيف أصبحتم أنتم جميعاً ؟ قالوا : أصبحنا والله لك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم محبين وادّين

فقال لهم : من أحبنا لله أسكنه الله في ظل ظليل يوم القيامة ، يوم لا ظل إلا ظله ، ومن أحبنا يريد مكافأتنا ، كافأه الله عنا الجنة ، ومن أحبنا لغرض ديننا آتاه الله رزقه من حيث لا يحتسب

حسن خلقه

يحكى أنه طلب غلامه (خادمه) وناداه مرتين فلم يجبه مع أنه سمع فقال له : أما سمعت ندائي ؟ فقال : بلى ، قد سمعت فقال له : ما الذي حملك على ترك إجابتي ؟

فقال : أمنت منك ، وعرفت حسن خلقك ، وطمعت في حلمك ،
فتكاسلت وأبطأت في الإجابة ، فسرّ زين العابدين من حسن إجابته
وقال : الحمد لله الذي آمن مني عبدى

فضله وتعظيمه

يحكى أن هشام بن عبد الملك حج في حياة أبيه ، فطاف بالبيت وجهد
أن يستلم الحجر الأسود فلم يصل إليه لكثرة الزحام ، فنصب له
منبراً الى جانب زمزم في الحطيم وجلس عليه ينظر اليه الناس وحوله
جماعة من أهل الشام

فبينما هم كذلك إذ أقبل زين العابدين على بن الحسين رضى الله
عنهما يريد الطواف ، فلما انتهى الى الحجر الأسود تنحى الناس له
حتى استلم الحجر . فقال رجل من أهل الشام

من هذا الذى قد هابه الناس هذه المهابة فتنحوا عنه يميناً وشمالاً ؟
فقال هشام : لا أعرفه ، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام ، وكان
الفرزدق الشاعر المشهور حاضراً فقال للشامى : أنا أعرفه . فقال : من
هو يا أبا فراس ؟ فقال قصيدة طويلة نكتفى بذكر بعضها :

« هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرم »
« هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم »

« هذا ابن فاطمة إن كنت جاهلًا بحجده أنبياء الله قد ختموا »
 « مَنْ جدّه دان فضل الأنبياء له وفضل أمته دانت له الأُمم »
 « الله شرفه قدراً وعظمه جرى بذاك له في لوحه القلم »
 « سهل الخليفة لا تُخشى بوادره يزينه اثنان حُسن الخلق والشميم »
 « حمال أثقال أقوام إذا اقترضوا حُلّو الشّماثل تحلّو عنده نعم »
 « إذا رأته قریش قال قائلها الى مكارم هذا ينتهى الكرم »
 فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب ، ثم أخذ الفرزدق وسجنه
 (بعسفان) فبلغ ذلك على بن الحسين رضى الله عنه فبعث اليه بأربعة
 آلاف درهم فردّها الفرزدق وكتب اليه : إنّما مدحتك بنا أنت أهلّه ،
 فردّها عليه على رضى الله عنه وكتب اليه : أن خُذها وتعاون بها على
 دهرك ، فإنّا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لانسعيده ، فقبلها منه

وفاته

توفى زين العابدين رضى الله عنه فى ثانى عشر المحرم سنة أربع
 وتسعين من الهجرة وكان عمره إذ ذاك سبعاً وخمسين سنة
 وقال ابن الصباغ المالكي المكي : يقال : مات مسموماً وأن الذى
 سمّه الوليد بن عبد الملك

ودفن (بالبقيع) فى القبر الذى دفن فيه عمه الحسن بن على بن أبى طالب فى القبة التى فيها العباس بن عبد المطلب
أولاده

أولاده رضى الله عنهم أربعة عشر ولداً: عشرة ذكور ، وأربع إناث وهم:
محمد ، المكنى بأبى جعفر الملقب بالباقر ، أمه أم عبد الله بنت
الحسن بن على عم زين العابدين ، وزيد ، وعمر ، أمهما أم ولد -
وعبد الله ، والحسن ، والحسين ، أمهم أم ولد - والحسين الأصغر ،
وعبد الرحمن ، وسليمان ، أمهم أم ولد - وعلى وكان أصغر ولد على
ابن الحسين

وخديجة ، وفاطمة ، وعليه ، وأم كلثوم

نبد من كلامه وحكمه رضى الله عنه

من كلامه رضى الله عنه : عجبت لمن يحتجى من الطعام لمضرته ،
ولا يحتجى من الذنب لموته

وقال رضى الله عنه : أربع عزهن ذل : البنت (ولو مريم) ،
والدين (ولو درهم) ، والغربة (ولو ليلة) ، والسؤال (ولو أين الطريق ؟)
وقال رضى الله عنه : من قنع بما قسم الله فهو من أغنى الناس
وكان يتصدق سرّاً ويقول : صدقة السرّ تطفى غضب الرب

٤ - الامام محمد الباقر

ولد سنة ٥٧ - وتوفي سنة ١١٧ هـ

نسبه - هو ابن سيدنا علي زين العابدين ، بن الحسين رضى الله
عنهما ، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله
عنهم أجمعين ، فهو هاشمى من هاشميين وعلوى من علويين

مولده - ولد بالمدينة فى ثالث صفر سنة سبع وخمسين من الهجرة
قبل قتل جده الحسين بثلاث سنين

كنيته - أبو جعفر لاغير

ألقابه - وألقابه ثلاثة : الباقر ، والشاكر ، والهادى ، وأشهرها الباقر

الأحاديث التى وردت بشأنه

روى عن الزبير بن محمد بن مسلم المسكى قال : كنا عند جابر بن
عبد الله رضى الله عنهما فأتاه على بن الحسين ومعه ابنه محمد وهو صبي
فقال على لابنه وهو صبي : قبل رأس عمك ، فدنا محمد من جابر فقبل
رأسه ، فقال جابر : من هذا ؟ - وكان قد كف بصره - فقال له على
ابن الحسين : هذا ابني محمد ، فضمه جابر اليه وقال : يا محمد ، محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ، فقالوا : كيف ذلك
يا أبا عبد الله ؟

قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسين في حجره
وهو يلاعبه فقال :

« يا جابر ، يولد لابني الحسين ابن يقال له : علي . فإذا كان يوم القيامة
ينادى مناد ، ليقيم سيد العابدين ، فيقوم علي بن الحسين ، ويولد لعلي بن
الحسين ابن يقال له : محمد . يا جابر ، إن أدركته فأقرئه مني السلام ،
وإن لاقيته فاعلم أن بقاءك بعده قليل » فلم يعش جابر رضى الله عنه
بعد ذلك غير ثلاثة أيام

وروى : أن محمد الباقر بن علي سأل جابر بن عبد الله الأنصارى
رضى الله عنهما لما دخل عليه عند عائشة وما جرى بينها وبين علي
رضى الله عنهما ، فقال له جابر : دخلت عليها يوماً وقلت لها : ماتقولين
في علي بن أبي طالب رضى الله عنه ؟

فأطرقت رأسها ، ثم رفعتة ، وقالت رضى الله عنها :

« إذا ما التبر حكَّ على محك تين غشه من غير شك »

« وفيما الغش والذهب المصنَّف على بيننا شبه المحك »

مناقبه

علمه - قيل : لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين من علم الدين والسنن ، وعلم القرآن والسير وفنون الأدب ، مظهر عن أبي جعفر الباقر ، روى معالم الدين عن بقايا الصحابة ووجوه التابعين ، وسارت بذكر علومه الأخبار ، وأنشدت في مدائحه الأشعار ، فمن ذلك ما قاله مالك بن أعين الجهني من قصيدة يمدحه فيها :

« إذا طلب الناسُ علمَ القرأ ن كانت قریش عليه عيالا »
 « وإِن فاه ابن بنية النبي تلقت بذاك فروعاً طوالا »
 وفيه يقول الرضى :
 « ياباقر العلم لأهل التقى وخير من لَبِّي على الأجبِلِ »

تقواه

حكى الأفلح فقال : حججت مع أبي جعفر محمد الباقر فلما دخل المسجد ونظر البيت بكى ، فقلت بأبي أنت وأمي إن الناس ينظرون اليك فلو خفضت صوتك قليلا
 فقال : ويحك يا أفلح ، ولم لا أرفع صوتي بالبكاء لعل الله ينظر الى برحمة منه فأفوز بها غداً

ثم طاف بالبيت وجاء حتى ركب خلف المقام ، فلما فرغ ، إذا موضع سجوده مبتل من دموع عينيه

« وكان نقش خاتمه : (رب لا تدنني فردا) وقيل : « ظني بالله حسن ، وبالنبي المؤتمن ، وبالوحي ذي المنن ، وبالحسين والحسن »

وروى عنه ابنه جعفر قال : كان أبي يقول في جوف الليل في تضرعه : أمرتني فلم آتتني ، ونهيتني فلم أنزجر ، فهأنا عبدك بين يديك مقر لا أعتذر

قال خالد بن المهيم : قال أبو جعفر محمد الباقر : ما اغرورقت عين من خشية الله تعالى إلا حرّم الله وجه صاحبها على النار ، فان سالت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قطر ولا ذلة ، وما من شيء إلا وله جزاء إلا الدمعة فان الله تعالى يكفر بها مجوراً من الخطايا ، ولو أن باكيًا يبكي في أمة لحرم الله تلك الأمة على النار

كرمه وجوده

حكّت سلمى مولاة أبي جعفر : أنه كان يدخل عليه بعض اخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ويكسوهم في بعض الأحيان ويعطيهم الدراهم

قالت : فكنت أكله في ذلك لكثرة عياله ، وتوسط حاله ،

فيقول : ياسلمى ماحسنة الدنيا إلا صلة الإخوان والمعارف ، فكان
يصل بالخمسمائة درهم وبالستمائة الى ألف درهم

وفاته

مات أبو جعفر محمد الباقر سنة سبع عشرة ومائة وله من العمر ثلاث
وستون سنة ، وقيل : ثمان وخمسون ، وأوصى أن يكفن في قميصه
الذى كان يصلى فيه ، وقيل : أنه مات مسموماً كأبيه ودفن بقبة
العباس بالبقيع

أولاده

أولاده رضى الله عنه ستة ، وقيل : سبعة وهم :
أبو عبد الله جعفر الصادق وكان يكنى به ، وعبد الله ، أمهما
أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه ،
وابراهيم ، وعبد الله ، وأمهما أم حكيم بنت أسد بن المغيرة الثقفية ،
وعلى ، وزينب ، لأم ولد

نبذ من كلامه

من كلامه رضى الله عنه : مادخل قلب امرئ شئ من الكبر إلا
نقص من عقله مثل ذلك قل أو أكثر

وقال : سلاح اللئام ، قبيح الكلام
وكان يقول : والله لموت عالم أحب الى الشيطان من موت سبعين عابداً
وقال : شيعتنا من أطاع الله
وقال : الغنى والفقر يجولان فى قلب المؤمن ، فاذا وصلا الى مكان
التوكل استوطناه

وقال : الصواعق تصيب المؤمن وغيره ، ولا تصيب ذا كر الله عز وجل
وقال : مامن عبادة أفضل من عفة بطن وفرج
وقال : بئس الأخ يرعاك غنياً ، ويقطعك فقيراً
وقال : اعرف المودة فى قلب أخيك بما له فى قلبك

مواعظه

وقال لابنه جعفر الصادق رضى الله عنهما : يا بُنى إذا أنعم الله عليك
نعمة فقل : الحمد لله ، وإذا أحزنك أمر فقل : لاحول ولا قوة إلا بالله
العلى العظيم ، وإذا أبطأ عليك الرزق فقل : أستغفر الله
وقال لابنه جعفر الصادق رضى الله عنهما : يا بُنى إن الله خبأ ثلاثة
أشياء فى ثلاثة أشياء . خبأ رضاه فى طاعته ، فلا تحقرن من الطاعات
شيئاً فلعل رضاه فيه
وخبأ سخطه فى معصيته ، فلا تحقرن من معصيته شيئاً فلعل سخطه فيه

وخبياً أوليائه في خلقه فلا تحقرن أحداً ففعله ذلك الولي
وقال لجابر الجعفي : يا جابر إني لمشتغل القلب . قلت : وما يشغل
قلبك ؟ قال : يا جابر أن من يدخل قلبه دين الله الخالص شغله عما سواه
يا جابر ، ما الدنيا وما عسى أن تكون ؟ هل هي إلا مركب ركبتة ،
أو ثوب لبسته ، أو امرأة أصبتها

يا جابر ، إن المؤمنين لم يطمثوا إلى الدنيا لزواها ، ولم يأمّنوا الآخرة
لأهواها ، وإن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة ، وأكثرهم لك
معونة ، إن نسيت ذكرك ، وإن ذكرت أعانوك ، أليسوا قوآلين
لحق الله ؟ قائمين بأمر الله ، فاجمل الدنيا كمَنْزل نزلت به وارتحات منه ،
وكل أصبته في منامك ثم استيقظت وليس معك منه شيء ، واحفظ الله
فما استرعاك من دينه وحكمته

٥ - الامام جعفر الصادق

ولد سنة ٨٠ - وتوفي سنة ١٤٨ هـ

نسبه - سيدنا جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين
ابن الحسين، بن علي، بن أبي طالب رضى الله عنهم، وأمه أم فروة بنت
القاسم، بن محمد، بن أبي بكر الصديق

مولده - ولد بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة وقيل : سنة ثلاث
وثمانين، قال بعضهم : الأول أصح

كنيته - أبو عبد الله، وقيل : أبو اسماعيل

ألقابه - أما القابه ثلاثة : الصادق، والفاضل، والطاهر، وأشهرها
الصادق، وتقرش (خاتمته ماشاء الله، لا قوة إلا بالله، أستغفر الله)

مناقبه

علمه - كان عالماً ثقة، روى عنه جماعة من أعيان الأئمة وأعلامهم،
كيحيى بن سعيد، وابن جريج، ومالك بن أنس، والثوري، وابن
عينية، وأبي حنيفة، وغيرهم
قال ابن أبي حازم : كنت عند جعفر الصادق يوماً وإذا بسفيان

الثورى بالبواب ، فقال : ائذن له . فدخل ، فقال له جعفر : ياسفيان
إنك رجل يطلبك السلطان فى بعض الأحيان ، وتحضر عنده وأنا أتقى
السلطان ، فاخرج عني ، غير مطرود

قال سفيان : حدثني حديثاً أسمعه منك وأقوم

فقال : حدثني أبي عن جدى عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : من أنعم الله عليه نعمة فليحمد الله ، ومن استبطأ الرزق
فليستغفر الله ، ومن حزنه أمر فليقل ، لاحول ولا قوة إلا بالله

فلما قام سفيان قال جعفر : خذها ياسفيان ثلاثاً وأى ثلاث
وقال ابن قتيبة فى كتاب أدب الكاتب : كتاب الجفر كتبه الإمام
جعفر الصادق بن محمد الباقر رضى الله عنهما ، فيه كل ما يحتاجون الى
علمه الى يوم القيامة ، والى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعرى بقوله :

« لقد عجبوا لآل البيت لما أتاهم علمهم فى جلد حفر »

« ومرآة المنجم وهى صغرى تريحه كل عامرة وقفر »

(والجفر من أولاد المعز ما بلغ أربعة أشهر وانفصل عن أمه)

وفى الفصول المهمة نقل بعض أهل العلم أن كتاب الجفر الذى بلغ
بالغرب يتوارثه بنو عبد المؤمن بن على من كلام جعفر الصادق وله فيه
المنقبة السنية ، والدرجة التى فى مقام الفضل عليه

عبادته وتقواه

قال محمد بن طلحة : كان جعفر الصادق يقسم أوقاته على أنواع الطاعات ويحاسب نفسه عليها
وكان يقول : اللهم إنك بما أنت له أهل من العفو أولى بما أنا له أهل من العقوبة

نبذ من كلامه وحكمه

قال جعفر الصادق رضى الله عنه : للصدقة خمسة شروط فمن كانت فيه فانسبوه اليها ، ومن لم تكن فيه فلا تنسبوه الى شيء منها وهي : أن يكون زين صديقه زينه ، وسريته له كعلانيته ، وألا يغره عليه مال ، وأن يراه أهلا لجميع مودته ، ولا يسلمه عند النكبات ومن كلامه رضى الله عنه : لا يتم المعروف إلا بثلاث : تعجيله ، وتصغيره ، وستره

وقال رضى الله عنه : ما كل من رأى شيئاً قدر عليه ، ولا كل من قدر على شيء وفق له ، ولا كل من وفق أصاب له موضعاً ، فإذا اجتمعت النية ، والتوفيق ، والاصابة فهناك السعادة
وقال رضى الله عنه : تأخير التوبة اغترار ، وطول التسويف حيرة

والاعتلال على الله هلكة ، والإصرار على الذنب من مكر الله ،
ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون

وقال رضى الله عنه : أربعة أشياء القليل منها كثير : النار ، والعداوة ،
والفقر ، والمرض

وسئل : لم سُمي البيت العتيق ؟ قال : لأن الله تعالى أعتقه من
الطوفان

وقال : صحبة عشرين يوماً قرابة

وقال : كفارة عمل الشيطان ، الإحسان الى الإخوان
وقال : إذا دخلت منزل أخيك فاقبل الكرامة ما خلا الجلوس

فى الصدور

وقال : البنات حسنات ، والبنون نعم ، والحسنات يثاب عليها ،
والنعم مستثول عنها

وقال : مَنْ لم يستح عند العيب ، ويرعو عند الشيب ، ويخش الله
بظهر الغيب ، فلا خير فيه

وقال : إياكم وملاحاة الشعراء فانهم يضنون بالمدح ، ويجودون
بالهجاء والقدح

وقال : مَنْ أكرمك فأكرمه ، وَمَنْ استخف بك فأكرم نفسك عنه

(م - ١٩ رابع)

وقال : منع الجود ، سوء الظن بالمعبود
 وقال : دعا الله الناس في الدنيا بأبائهم ليتعارفوا ، ودعاهم في الآخرة
 بأعمالهم ليجازوا ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾
 وقال : ان عيال المرء أسراؤه ، فمن أنعم الله عليه نعمة فليوسع على
 أسرائه ، فان لم يفعل يوشك أن تزول تلك النعمة
 وقال : ثلاثة لا يزيد الله بها الرجل المسلم إلا عزاً : الصّبح عن
 ظلمه ، والإعطاء لمن حرمه ، والصلة لمن قطعه
 وقال : المؤمن إذا غضب لم يخرج غضبه عن حق ، وإذا رضى لم
 يدخله رضاه في باطل

وصيته الجامعة لمكارم الأخلاق

قال بعض شيعة جعفر الصادق : دخلت عليه ، وموسى ولده بين
 يديه ، وهو يوصيه بهذه الوصية ، فحفظتها فكان مما أوصى به أن قال :
 يا بُنَيَّ ، إقبل وصيتي ، واحفظ مقالتي ، فانك إن حفظتها تعش
 سعيداً ، وتمت حميداً
 يا بُنَيَّ ، إنه من قنع بما قسم الله له استغنى ، ومن مدّ عينيه الى ما في
 يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم الله له أتته ربه في قضائه ،
 ومن استصغر زلة نفسه استصغر زلة غيره

يأبني ، مَنْ كشف حجاب غيره انكشفت عورته ، وَمَنْ سلَّ سيف
البغي قتل به ، وَمَنْ احتقر لأخيه بئراً سقط فيها ، وَمَنْ واصل السفهاء
حقراً ، وَمَنْ خالط العلماء وُقِرَ ، وَمَنْ دخل مداخل السوء اتهم
يأبني ، قل الحق لك أو عليك ، وإياك والنيمة فإنها تزرع الشحناء
في قلوب الرجال

يأبني ، إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه ، فإن للجود معادن ،
وللمعادن أصولاً ، وللأصول فروعاً ، وللفروع ثمرات ، ولا يطيب ثمر إلا
بفروع وأصل ، ولا أصل ثابت إلا بمعادن طيب

يأبني ، إذا زرت فزر الأخيار ، ولا تزر الأشرار ، فإنهم صخرة
لا يتفجر ماؤها ، وشجرة لا يخضر ورقها ، وأرض لا يظهر عشبها

وقال أحمد بن عمر بن مقدم الرازي : وقع الذباب على وجه المنصور
فذهبه ، فعاد حتى أضجره ، وكان عنده جعفر الصادق بن محمد الباقر في
ذلك الوقت فقال له المنصور : يا أبا عبد الله لم خاق الله الذباب ؟

قال : ليزل به الجبابة ، فسكت المنصور

قال سفيان الثوري : سمعت جعفر الصادق يقول : عزت السلامة
حتى لقد خفي مطلبها فإن تك في شيء فيوشك أن تكون في الخمول ،
وإن طلبت في الخمول فلم توحده ، فيوشك أن تكون في العزلة والخلوة ،

فان لم توجد في العزلة والخلوة فيوشك أن تكون في كلام السلف ،
 والسعيد من وجد في نفسه خلوة تشغله عن الناس
 وروى محمد بن حبيب عن جعفر الصادق بن محمد عن أبيه عن جده
 ورفعته قال : مامن مؤمن أدخل على قومه سرورا إلا خلق الله من ذلك
 السرور ملكاً يعبد الله بحمده ويُجَدِّه ، فإذا صار المؤمن في لحده
 أتاه ذلك السرور الذي أدخله على أولئك ملكاً فيقول : أنا اليوم
 أنوس وحشتك ، وألقنك ، وأثبتك بالقول الثابت ، وأشهدك مشاهد
 القيامة ، وأشفع لك الى ربك ، وأريك منزلتك في الجنة ، كذا في
 الفصول المهمة

وفاته

توفي جعفر الصادق رضي الله عنه ابن محمد سنة ثمان وأربعين ومائة
 في شوال وله من العمر ثمان وستون سنة . ويقال : انه مات بالسم في
 أيام المنصور ، ودفن بالبقيع في القبر الذي دفن فيه أبوه وجده وعم
 جده ، فياله من قبر شريف ما أكرمه وما أشرفه

أولاده

أولاده رضي الله عنه كانوا سبعة وقيل أكثر : ستة ذكور وبنت
 واحدة وهم : اسماعيل ، ومحمد ، وعلي ، وعبد الله ، واسحق ، وموسى
 السكاظم . والبنت اسمها فروة ، كذا في الفصول المهمة

٦- الامام موسى الكاظم

ولد سنة ١٢٨ - وتوفي سنة ١٨٣ هـ

نسبه - هو ابن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن علي زين العابدين ،
ابن الحسين ، بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم ، وأمه أم ولد يقال
لها حميدة البربرية

مولده - ولد (بالابواء) سنة ثمان وعشرين ومائة من الهجرة

كنيته - أبو الحسن

ألقابه - ألقابه كثيرة أشهرها الكاظم ثم الصابر والصالح والأمين ،
ولقب بالكاظم لأنه كان يحسن الى من يسئ اليه ويكظم غيظه .
وتنقش خاتمه (الملك لله وحده)

مناقبه

علمه وفضله

قال بعض أهل العلم : الكاظم ، هو الإمام الكبير القدر ، الأوحد
الحجة ، الخبر ، جمع من الفقه والدين ما لا مزيد عليه

تعبدہ

كان أعبد أهل زمانه ، الساهر ليله قائماً ، القاطع نهاره صائماً المسمى ،
لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً ، وهو المعروف عند أهل العراق
بباب الحوائج الى الله ، وذلك لنجح قضاء حوائج المتوسلين به
دعاؤه - كان كثيراً ما يدعو بقوله : اللهم إني أسألك الراحة عند
الموت ، والعفو عند الحساب

كرمه وسخاؤه - كان يخرج بالليل وفي كفه صرر من الدراهم ،
فيعطى من لقيه ، ويضرب به المثل (بصرة موسى) وكان رضى الله
عنه أسخاهم كفاً ، وأكرمهم نفساً
وكان يتفقد فقراء المدينة فتحمل اليهم الدراهم والدنانير الى بيوتهم
ليلاً ، وكذلك النفقات ، ولا يعلمون من أى جهة وصلهم ذلك ، ولم
يعلموا بذلك إلا بعد موته

حكايته مع الرشيد

سأله الرشيد يوماً فقال : كيف قلتُم نحن ذرية رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأنتم بنو علي ، وإنما ينسب الرجل الى جده لأبيه دون
جده لأمه ؟

فقال الكاظم : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَرَكَرِ يَا وَيْحَيَّ وَعِيسَى ﴾ . وليس لعيسى
أب ، وإنما الحق بذرية الأنبياء من قبل أمه ، وكذلك الحقنا بذرية النبي
صلى الله عليه وسلم من قبل أمنا فاطمة

وزيادة على ذلك يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل :
﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ ﴾
ولم يدع صلى الله عليه وسلم عند مباهلة النصارى غير على وفاطمة
والحسن والحسين رضى الله عنهم وهم الأبناء

وروى موسى الكاظم عن آبائه مرفوعاً قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : نظر الولد الى والديه عبادة

وعن اسحق بن جعفر قال : سألت أخى موسى الكاظم بن جعفر
قلت : أصلحك الله أيمكن المؤمن بخيلاً ؟ قال : نعم . فقلت : أيمكن
خائناً ؟ قال : لا ، ولا يكون كذاباً

ثم قال : حدثني أبى جعفر الصادق عن آبائه رضى الله عنهم قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل خلة يطوى المؤمن عليها ليس الكذب والخيانة

وفاته - توفي ببغداد لخمس بقين من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة وله من العمر خمس وخمسون سنة . وقيل : انه مات مسموماً من طعام قدمه له (السندی) بأمر الرشيد بعد أن حبس مدة سنة بالبصرة بسبب الفتنة التي وصلت الى الرشيد في حقه ، وسعاية الواشين ضده بالغيبة والنيمة ، وهذه الرواية مذكورة في كتاب نور الأبصار ولما مات أدخل (السندی) الفقهاء ووجوه أهل بغداد ينظرون اليه أنه ليس به أثر من جرح أو قتل أو خنق ، وأنه مات حتف أنفه ليدارى سوء فعله

ودفن موسى الكاظم في مقابر قریش بباب التين ببغداد
أولاده - أولاده سبعة وثلاثون ولداً ما بين ذكر وأنثى وهم :
على الرضا ، وإبراهيم ، والعباس ، والقاسم ، وإسماعيل ، وجعفر ،
وهارون ، والحسن ، وعبدالله ، واسحق ، وعبدالله ، وزيد ، والحسن ،
وأحمد ، ومحمد ، والفضل ، وسليمان ، وفاطمة الكبرى ، وفاطمة
الصغرى ، ورقية ، وحليمة ، وأم أسماء ، ورقية الصغرى ، وأم كلثوم ،
وميمونة ، وغيرهم

٧ - الامام على الرضا

ولد سنة ١٤٨ - وتوفي سنة ٢٠٣ هـ

نسبه - هو ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ،
ابن علي زين العابدين ، بن الحسين ، بن علي بن أبي طالب رضي الله
عنهم أجمعين ، وأمه أم ولد يقال لها أم البنين واسمها (أروى)

مولده - ولد بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة

كنيته - أبو الحسن

ألقابه - الرضا ، والصابر ، والزكي ، والولي . وأشهرها الرضا ، ونقش
خاتمه (حسبي الله)

مناقبه

علمه وفضله - قال إبراهيم بن العباس : ما رأيت الرضا سُئل عن
شيء إلا علمه ، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الى وقت عصره
وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيبه الجواب الشافي الكافي
تعبده - وكان قليل النوم ، كثير الصوم ، لا يفوته صوم ثلاثة أيام
من كل شهر ، ويقول : ذلك صيام الدهر

معروفه وتصدقه - وكان كثير المعروف والصدقة ، وأكثر ما يكون ذلك منه في الليالي المظلمة

كرمه وجوده - من كرمه أن أبا نواس مدحه بأبيات فأمر غلامه بأن يعطيه ثلثائة دينار كانت معه ، ومدحه دعبل الخزاعي بقصيدة طويلة فأنفذ اليه صرة فيها مائة دينار واعتذر اليه

زهده وورعه - كان زاهداً ورعاً وكان جلوسه في الصيف على حصير وفي الشتاء على مسح

قال ابراهيم بن العباس : سمعت الرضا يقول وقد سأله رجل : يكلف الله العباد ما لا يطيقون ؟ فقال هو أعدل من ذلك . قال : فيقدرون على كل ما يريدون . قال : هم أعجز من ذلك . وعن ياسر الخادم قال : سمعت على الرضا بن موسى يقول : أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواضع : يوم يولد الى الدنيا ويخرج المولود من بطن أمه فيرى الدنيا ويوم يموت فيرى الآخرة وأهلها ، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا ، وقد سلم الله تعالى على يحيى في هذه الثلاثة المواطن وأمن روعته فقال :

﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾

وقد سلم عيسى^١ بن مريم على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال :

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾

ترشيحه للخلافة من قبل المأمون

ذكر جماعة من أصحاب السير ، ورواة الأخبار بأيام الخلفاء أن المأمون لما أراد ولاية العهد للرضا وحدث نفسه بذلك ، وعزم عليه أحضر الفضل بن سهل وأخبره بما عزم عليه وأمره بمشاورة أخيه الحسن في ذلك ، فاجتمعا وحضرا عند المأمون ، فجعل الحسن يعظم ذلك عليه ويعرفه مافي خروج الأمر عن أهل بيته ، فقال المأمون : إني عاهدت الله تعالى أني ان ظفرت بالخلوع سلمت الخلافة الى أفضل بني طالب وهو أفضلهم ولا بد من ذلك

فلما رأيا تصميمه وعزميته على ذلك أمسكا عن معارضته فقال : تذهبان الآن اليه ، وتخبرانه بذلك عني ، وتلزمانه به ، فذهبا الى على الرضا وأخبراه بذلك والزماء ، فامتنع فلم يزالا به حتى أجاب ، على أنه لا يأمر ، ولا ينهى ، ولا يعزل ، ولا يولى ، ولا يتكلم بين اثنين في حكومة ، ولا يُغير شيئاً مما هو قائم على أصله ، فأجابه المأمون الى ذلك ثم ان المأمون جلس مجلساً خاصاً لخواص أهل دولته من الأمراء والوزراء والحجاب والكتاب وأهل الحل والعقد ، وكان ذلك في يوم

الخميس لحمس - لون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين وأحضرهم
فما حضروا قال للفضل بن سهل : أخبر الجماعة الحاضرين برأى
أمير المؤمنين فى الرضا على بن موسى وأنه ولاء عهده ، وأمرهم بلبس
الخضرة والعود لبيعته فى الخميس

فحضروا وجلسوا على حسب طبقاتهم ومنازلهم كل فى موضعه ،
وجلس المأمون ، ثم جىء بالرضا فجلس بين وسادتين عظيمتين وضعتا
له ، وهو لابس الخضرة وعلى رأسه عمامة متقلد بسيف
فأمر المأمون ابنه العباس بالقيام اليه ومبايعته أول الناس ، فرفع
الرضا يده وجعلها من فوق . فقال المأمون : أبسط يدك ، فقال له الرضا :
هكذا كان يبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويده فوق أيديهم .
فقال : افعل ما ترى

ثم وضعت بدر الدراهم والدنانير ، وبقج الثياب والخلع ، وقام
الخطباء والشعراء وذكروا ما كان من أمر المأمون من ولاية عهده للرضا
وذكروا فضل الرضا ، وفرقت الصلوات والجوائز على الحاضرين على
قدر مراتبهم . وأول من بدىء به العلويون ثم العباسيون ثم باقى الناس
على قدر منازلهم ومرتبتهم ، ثم ان المأمون قال للرضا : قم فاخطب
الناس ، فقام فحمد الله وأثنى عليه وثنى بذكر نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم فصلى عليه وقال : أيها الناس ان لنا عليكم حقاً برسول الله صلى

الله عليه وسلم ، ولكم علينا حق به ، فاذا أدبتم ذلك ، وجب لكم علينا
الحكم والسلام

ولم يسمع منه في هذا المجلس غير هذا ، وخطب للرضا بولاية العهد
في كل بلد

« وصورة كتاب العهد الذي كتبه المأمون بخطه للرضا مذكورة في
كتاب نور الأبصار ، في مناقب آل بيت النبي المختار ، فمن شاء فليطلع
عليها لأنها طويلة جداً ولا محل لذكرها هنا

وقد زوجه المأمون ابنته (أم حبيب) في أول اثنين ومائتين
والمأمون متوجه الى العراق وقد ضربت الدنانير باسمه

وفاته - توفي سنة ثلاثة ومائتين في آخر صفر وله من العمر إذ ذاك
خمس وخمسون سنة في قرية يقال لها (سناباد) من (رستاق) من أعمال
طوس من خراسان وقبره في قبلي قبر هارون الرشيد

أولاده - خمسة بنين ، وابنة واحدة وهم : محمد القانع ، والحسن ،
وجعفر ، وإبراهيم ، والحسين ، والبنت اسمها عائشة

٨- الامام محمد الجواد

ولد سنة ١٩٥ هـ - وتوفي سنة ٣٣٠ هـ

نسبه - هو ابن علي الرضا ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ،
ابن محمد الباقر ، بن علي زين العابدين ، بن الحسين ، بن علي بن
أبي طالب رضي الله عنهم ، وأمه أم ولد يقال لها : سكينه المريسية
كنيته - أبو جعفر ككنية جده محمد الباقر ، ولذا يقال له
(أبو جعفر الثاني)

ألقابه - كثيرة منها الجواد ، والقانع ، والمرضى ، وأشهرها الجواد
ونقش خاتمه (نعم القادر الله)

مولده - ولد بالمدينة تاسع عشر شهر رمضان المعظم سنة خمس
وتسعين ومائة من الهجرة

مناقبه

ذكؤه ونباهته - اتفق أن المأمون خرج يوماً يتصيد فاجتاز بطريق
البلد فوجد صبيانا يلعبون ومحمد الجواد واقف عندهم ؛ فلما أقبل المأمون
فرّ الصبيان ووقف محمد مكانه وعمره إذ ذاك تسع سنين ، فلما قرب

منه الخليفة نظر اليه ، فالتقى الله في قلبه حبه ، فقال له : يا غلام ، مامنك من الانصراف كأصحابك ؟ فقال له محمد مسرعاً : يا أمير المؤمنين لم يكن بالطريق ضيق فأوسعته لك ، وليس لي جرم فأخشاك ، والظن بك حسن ، انك لاتضر من لاذنب له

فأعجبه كلامه ، وحسن صورته ، فقال له : ما اسمك واسم أبيك ؟ فقال : محمد بن علي الرضا . فترحم على أبيه ، وساق جواده الى مقصده

علمه وفضله وزواجه من بنت المأمون

لقد أحسن المأمون اليه ، وقرّبه وبالغ في إكرامه ، ولم يزل مشغولاً به لما ظهر له من فضله وعلمه ، وكمال عقله ، وظهور برهانه ، مع صغر سنه ، وعزم على تزويجه بابنته (أم الفضل) وصمم على ذلك فمنعه العباسيون من ذلك خوفاً من أن يعهد اليه كما عهد الى أبيه من قبل فلما ذكر لهم أنه إنما اختاره لتميزه عن كافة أهل الفضل علماً ومعرفاً وحاملاً مع صغر سنه نازعوه في اتصاف (محمد الجواد) بذلك ، وطلبوا منه اختباره بمعرفة يحيى بن أكثم . فلما امتحنه أجابه إجابات سديدة فقالوا : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

فقال المأمون : قد عرّقم الآن ماتنكرون عليه ، والحمد لله على مامن به على من السداد في الأمر ، والتوفيق في الرأي ، وأقبل على أبي جعفر

وقال له : إني مزوجك ابنتي (أم الفضل) رغم أنوف القوم ، فاخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسى وابنتى

فقال أبو جعفر : الحمد لله ، إقراراً بنعمته ، ولا إله إلا الله ، إخلاصاً بوحدايته ، وصلى الله على سيدنا محمد سيد بريته ، والأصفياء من عترته ، أما بعد ، فقد كان من فضل الله على الأنام ، أن أغناهم بالحلال عن الحرام ، فقال تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

ثم ان محمد بن على بن موسى خطب الى أمير المؤمنين عبد الله المأمون ابنته (أم الفضل) وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهو خمسمائة درهم جياذ) فهل زوجتني يا أمير المؤمنين إياها على هذا الصداق ؟

قال المأمون : زوجتك ابنتي (أم الفضل) على هذا الصداق المذكور فقال أبو جعفر : قبلت نكاحها لنفسى على هذا الصداق المذكور وبعد أن انصرف الناس تقدم المأمون بالصدقة على الفقراء والمساكين ، ولم يزل عنده محمد الجواد معظماً مكرماً الى أن توجه بزوجه أم الفضل الى المدينة الشريفة

وفاته - توفي أبو جعفر محمد الجواد ببغداد ، وكان سبب وصوله إليها إشخاص المعتصم له من المدينة فقدم ببغداد ومعه زوجته (أم الفضل) بنت المأمون لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين وكانت وفاته في آخر ذى القعدة من السنة المذكورة ودفن في مقابر قریش في قبر جده أبي الحسن موسى الكاظم ودخلت امرأته (أم الفضل) في قصر المعتصم

وكان له من العمر يومئذ خمس وعشرون سنة وأشهر ، ويقال : أنه مات مسموماً ، وأن زوجته (أم الفضل) سقته السم بأمر أبيها أولاده - خلف من الولد ، علياً ، وموسى ، وفاطمة ، وإمامة
نبت من كلامه وحكمه

من كلامه رضى الله عنه : أن لله عبداً يخصهم بدوام النعم ، فلا تزال فيهم ما بذلوا ، فان منعوها نزعها الله عنهم وحولها الى غيرهم وقال رضى الله عنه : ما عظمت نعمة الله على أحد ، إلا عظمت اليه حوائج الناس ، فمن لم يتحمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال وقال رضى الله عنه : أهل المعروف الى اصطناؤه أحوج من أهل
(م - ٢٠ - رابع)

الحاجة اليه ؛ لأن لهم أجره ، وفخره ، وذكره ، فهما اصطنع الرجل من معروف فأنما يبتدىء فيه بنفسه

وقال رضى الله عنه : مَنْ أَجَلَ إِنْسَانًا هَابَهُ ، وَمَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَابَهُ ،
والفرصة خلصة ، ومن كثر همهم سقم جسمه ، وعنوان صحيفة المسلم
حسن خلقه ، وفي رواية أخرى : عنوان صحيفة المسلم السعيد حسن
الثناء عليه

وقال : من استغنى بالله افتقر الناس اليه ، ومن اتقى الله أحبه الناس
وقال : الجمال فى اللسان ، والكمال فى العقل
وقال : العفاف زينة الفقر ، والشكر زينة البلاء ، والتواضع زينة
الحسب ، والفصاحة زينة الكلام ، والحفظ زينة الرواية ، وخفض
الجناح زينة العلم ، وحسن الأدب زينة الورع ، وبسط الوجه زينة
القناعة ، وترك ما لا يعنى زينة الورع

وقال : حسب المرء من كمال المروءة ألا يلقى أحداً بما يكره ، ومن
حسن خلق الرجل كفته أذاه ، ومن سخائه برّه بمن يجب حقه عليه ،
ومن كرمه إيثاره على نفسه ، ومن انصافه قبول الحق إذا بان له ، ومن
نصحه نهيه عما لا يرضاه لنفسه ، ومن حفظه لجوارك تركه توبيخك
عند ذنب أصابك ، مع علمه بعيوبك ، ومن رفقته تركه عدلك بحضرة

من تكبره ، ومن حسن صحبته لك إسقاطه عنك مؤنة التحفظ ،
ومن علامة صداقته كثرة موافقته ، وقلة مخالفته ، ومن شكره معرفة
إحسان من أحسن اليه ، ومن تواضعه معرفته بقدره ، ومن سلامته قلة
حفظه لعيوب غيره ، وعنايته بصلاح عيوبه

وقال رضى الله عنه : العالم بالظلم ، والمعين عليه ، والراضى به ، شركاء

وقال رضى الله عنه : من أخطأ وجوه المطالب خذلته الحيل ،
والطامع فى وثاق الذل ، ومن طلب البقاء ، فليعد للمصائب قلباً صبوراً
وقال رضى الله عنه : العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم

وقال رضى الله عنه : الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت
وقال رضى الله عنه : ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله : كثرة
الاستغفار ، ولين الجانب ، وكثرة الصدقة

وله حكم وأقوال كثيرة نكتفى بما ذكر منها والله أعلم

وقال رضى الله عنه : ثلاث من كن فيه لم يندم :

ترك العجلة ، والمشورة ، والتوكل على الله عند العزم

٩ - الامام على الهادى

ولد سنة ٢١٤ - وتوفى سنة ٢٥٤ هـ

نسبه - هو سيدنا على الهادى ، بن محمد الجواد ، بن على الرضا ،
ابن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن على
زين العابدين ، بن الحسين ، بن على ، بن أبى طالب رضى الله عنهم ،
وأمه أم ولد يقال لها (سمانة المغربية)

كنيته - أبو الحسن لاغير

ألقابه - أما ألقابه فهي : الهادى ، والمتوكل ، والناصح ، والمتقى ،
والمرتضى ، والفقيه ، والأمين ، والطيب ، وأشهرها الهادى . وكان
ينهى أصحابه عن تلقيبه بالمتوكل لكونه لقباً للخليفة جعفر المتوكل
ابن المعتصم . ويقال له العسكرى : لأنه أقام بموضع يقال له : العسكر
وهو (سُرَّ مَنْ رَأَى) ونقش خاتمه (الله ربى وهو عصمتى من خلقه)

مولده - ولد أبو الحسن الهادى بالمدينة فى رجب سنة أربع عشرة
ومائتين للهجرة

مناقبه

علمه - كان أبو الحسن العسكري وارث أبيه علماً ومنحاً ، وكان
فقيهاً فصيحاً جميلاً مهيئاً ، وكان أطيّب الناس بهجة ، وأصدقهم لهجة
كرمه وزهده وعفته - نقل غير واحد أن أبا الحسن العسكري
خرج يوماً من (سُرْمَن رَاي) إلى قرية له لهم ، فجاء رجل من بعض
الأعراب يطلبه في داره فلم يجده وقيل له : أنه ذهب إلى الموضع
الفلاني ، فقصد إلى ذلك الموضع ، فلما وصل إليه قال له : ما حاجتك ؟
فقال له : أنا رجل من أعراب الكوفة المستمسكين بولاء جدّك علي بن
أبي طالب رضي الله عنه ، وقد ارتكبتني الديون ، وأثقلت ظهري
بحملها ، ولم أر من أقصده لقضاءها . فقال له أبو الحسن : كم دينك ؟
فقال : نحو عشرة آلاف درهم

فقال : طب نفساً ، وقر عيناً ، يُقضى دينك إن شاء الله تعالى ،
ثم أنزله . فلما أصبح الصباح قال له : يا أخا العرب ، أريد منك حاجة
لا تعصيني فيها ولا تخالفني ، والله الله فيما أمرك به ، وحاجتك تُقضى
إن شاء الله تعالى . فقال الأعرابي : لا أخالفك في شيء مما تأمرني به ،
فأخذ أبو الحسن ورقة وكتب فيها بخطه (ديناً عليه للأعرابي المذكور)
وقال له : خذ هذا الخط معك فاذا حضرت إلى (سُرْمَن رَاي) فتراني

أجلس مجلساً عاماً، فإذا حضر الناس واحتفل المجلس ففعال الى بالخط
وطالبني ، وأغلظ عليّ في القول والطلب، ولا لوم عليك ، والله الله أن
تخالفني في شيء مما أوصيتك به

فلما وصل أبو الحسن الى (سُرمن راي) جلس مجلساً عاماً وحضره
جماعة من وجوه الناس وأصحاب الخليفة المتوكل ، فجاء الأعرابي
وأخرج الورقة وطالبه بالمبلغ وأغلظ عليه الكلام ، فجعل أبو الحسن
يعتذره ، ويطيب نفسه بالقبول ، ويعدده بالخلاص ، وكذلك الحاضرون
وطلب منه المهلة ثلاثة أيام

فلما انفك المجلس نقل ذلك للخليفة المتوكل ، فأمر لأبي الحسن
على الفور بثلاثين ألف درهم ، فلما حملت اليه تركها الى أن جاء الأعرابي
فقال له : خذها جميعها . فقال الأعرابي : يابن رسول الله ، والله ان
العشرة بلوغ مطلبي ، ونهاية أربي

فقال أبو الحسن : والله لتأخذن ذلك جميعه ، وهو رزقك، ساقه الله
لك ، ولو كان أكثر من ذلك ما تقصناه ، فأخذ الأعرابي الثلاثين
ألف درهم وانصرف وهو يقول : ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾

قصته مع المتوكل

في تاريخ ابن خلكان وغيره أنه سعى به الى المتوكل بأن في منزله

سلاحاً وكتباً من شيعته ، وأنه يطلب الأمر لنفسه ، فبعث اليه جماعة
فهموا عليه في منزله فوجدوه على الأرض مستقبل القبلة ، يقرأ القرآن ،
فملوه على حاله الى المتوكل والمتوكل يشرب فأعظمه وأجله ، وقال له :
أنشدني . فقال : إني قليل الرواية للشعر . فقال : لا بد . فأنشده :

« باتوا على قتل الأجدال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القل »
« واستنزلوا بعد عز من معاقلم وأودعوا حفرا يابئس ما نزلوا »
« ناداهم صارخ من بعد ما رحلوا أين الأسرة والبيجان والحلل ؟ »
« أين الوجوه التي كانت محجبة ؟ من دونها تضرب الأستار والكلل »
« فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتل »
« يا طالما أكلوا يوماً وما شربوا فأصبحوا بعد ذلك الأكل قدأكلوا »
قال : فبكي المتوكل والحاضرون ؛ وقال له المتوكل : يا أبا الحسن
هل عليك دين ؟ قال : نعم . أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها وصرفه
معظمًا مكرمًا

وفاته - توفي أبو الحسن على الهادي المعروف بالعسكري (بسرمن رأى)
يوم الاثنين لخمس ليال بقيت من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين
ومائتين وله من العمر أربعون سنة

ودفن في داره (بسرمن رأى) ويقال : أنه مات مسمومًا والله أعلم
أولاده - محمد ، والحسن ، ومحمد أبو جعفر ، وله ابنة اسمها عائشة

١٠- الامام الحسن الخالص

ولد سنة ٢٣٢ - وتوفي سنة ٢٦٠ هـ

نسبه - هو سيدنا الحسن الخالص ، بن علي الهادي ، بن محمد الجواد ، بن علي الرضا ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن علي زين العابدين ، بن الحسين ، بن علي ، بن أبي طالب رضي الله عنهم . وأمه أم ولد يقال لها : (حديث) وقيل (سوسن)
كنيته - أبو محمد

ألقابه - الخالص ، والسراج ، والعسكري ونقش خاتمه (سبحان من له مقاليد السموات والأرض)

مولده - ولد أبو محمد الخالص بالمدينة لثمان خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة

مناقبه

علمه وعبادته - وقع للبهلول معه واقعة تدل على علمه وعبادته وهي : أنه رآه وهو صبي يبكي والصبيان يلعبون فظن أنه يتحسر على ما بأيديهم ، فقال له : أشتري لك ما تلعب به ؟ فقال : يا قليل العقل ، ما لعب خلقنا

فقال له : فلماذا خلقنا ؟ قال : للعلم والعبادة . فقال له : من أين لك ذلك ؟ فقال : من قوله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

ثم سأله أن يعظه ، فوعظه بأبيات ، ثم خرّ الحسن رضى الله عنه مغشياً عليه ، فلما أفاق قال له : ما نزل بك وأنت صغير ولا ذنب لك ؟ فقال : اليك عنى يابهلول ، إني رأيت والدتي توقد النار بالخطب الكبار فلا تتقد إلا بالصغار وإني أخشى أن أكون من صفاء حطب جهنم

وعن أبي هاشم قال : سمعت أبا محمد الحسن يقول : إن في الجنة باباً يقال له (المعروف) لا يدخل منه إلا أهل المعروف ، فحمدت الله في نفسي ، وفرحت بما أتكلف من حوائج الناس ، فنظر الى وقال : يا أبا هاشم دم على ما أنت عليه ، فإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة

وعنه أيضاً قال : سمعت أبا محمد يقول (بسم الله الرحمن الرحيم) أقرب الى اسم الله الأعظم من سواد العين الى يياضها

وفاته

كانت وفاة أبي محمد الحسن بن علي في يوم الجمعة لثمان خلون من

شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين . وكان عمره يوم وفاته ٢٨ سنة
ولما ذاع خبر وفاته ارتجت (سُر من رأى) وقامت صيحةً
واحدةً ، وعظمت الأسواق ، وغلقت الدكاكين ، وركب بنو هاشم ،
والقوَّاد ، والكتاب ، والقضاة ، وسائر الناس الى جنازته ، وكانت
(سُر من رأى) يومئذ شبيهة بالقيامة

فلما فرغوا من تجهيزه بعث الخليفة الى أبي عيسى بن المتوكل ليصلى
عليه ، فصلى عليه ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه من دارهما
(بسر من رأى)

أولاده

خلف ولداً واحداً اسمه (محمد)

١١ - الامام محمد المهدي

ولد سنة ٢٥٥ هـ

نسبه - هو سيدنا محمد ، بن الحسن الخالص ، بن علي الهادي ،
ابن محمد الجواد ، بن علي الرضا ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر
الصادق ، بن محمد الباقر ، بن علي زين العابدين ، بن الحسين ، بن
علي ، بن أبي طالب رضي الله عنهم

وأمه أم ولد يقال لها : (نرجس) وقيل (صقيل) وقيل (سوسن)

كنيته - أبو القاسم

ألقابه - لقبه الامامية بالحجة ، والمهدي ، والخلف الصالح ، والقاسم ،
والمنتظر ، وصاحب الزمان ، وأشهرها (المهدي) وقيل : سمي القاسم المنتظر
لأنه ستر بالمدينة ، وغاب فلم يعلم أين ذهب ، وهو آخر الأئمة الاثني عشر
على ما ذهب اليه الامامية ، وهو عندهم الامام المهدي المنتظر فيهم
ويقولون له : اخرج يا صاحب الزمان ، فقد كثر الظلم والفساد ، وهذا
أوان خروجك ، ليفرق الله بك بين الحق والباطل (كما جاء في رحلة
ابن بطوطة)

الأحاديث الواردة في حقه

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لو لم يبق إلا يوم لبعث الله تعالى رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً . أخرجه أبو داود في سننه

وأخرج أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : المهدي مني ، أجلى الجبهة ، أقى الأنف ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت جوراً وظلماً زاد أبو داود يملك سبع سنين

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المهدي طاوس أهل الجنة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم ، وأمامكم منكم ؟ رواه البخاري ومسلم في صحيحهما

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ، ظاهرين إلى يوم القيامة قال : فينزل عيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام فيقول أميرهم : تعال صل بنا . فيقول : ألا إن بعضكم

على بعض أمراء تكرمه الله لهذه الأمة : أخرجه مسلم في صحيحه
وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضى الله
عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبشركم بالمهدى يملأ
الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه سكان السماء والأرض
يقسم المال صحاحاً ، فقال رجل : ما معنى صحاحاً ؟ قال : بالسوية
بين الناس ، ويملاً قلوب أمة محمد صلى الله عليه وسلم غنى ، ويسعهم
عدله حتى يأمر منادياً ينادى يقول :

من له بالمال حاجة فليقم ، فما يقوم من الناس إلا رجل واحد
فيقول : أنا

فيقول له : إئت (السادن) يعنى الخازن فقل له : إن المهدى
يأمرك أن تعطينى مالاً فيخشوله فى ثوبه خشواً حتى إذا صار فى ثوبه
يندم ويقول : كنت أجشع أمة محمد صلى الله عليه وسلم نفساً ، أعجز عما
وسعهم ، فإرده الى الخازن فلا يقبل منه ، ويقول : إنا لآخذ شيئاً مما
أعطيناها ، فيكون المهدى كذلك سبع سنين أو ثمانياً أو تسعاً ، ثم لاخير
فى العيش بعده ، أو قال : ثم لاخير فى الحياة بعده

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : يخرج المهدى وعلى رأسه غمامة فيها ملك ينادى :
هذا خليفة الله المهدى فاتبعوه (أخرجه أبو نعيم والطبرانى وغيرهما)

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

تتعم أمتي في زمن المهدي نعمة لم يتعموا مثلها قط ، ترسل السماء عليهم مدراراً ، ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلا أخرجته - رواه الطبراني في معجمه الكبير

وقد تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً

وتواترت الأخبار على أنه يعاون عيسى عليه السلام على قتل المسيح الدجال بباب (لد) بأرض فلسطين بالشام . والله تعالى أعلم . والصلاة والسلام على رسوله الكرام ، في المبدأ والختام

انتهى بعون الله وتوفيقه الجزء الرابع وكان الفراغ من تأليفه في مساء الجمعة ١٨ شوال سنة ١٣٥٢ الموافق ٣ فبراير سنة ١٩٣٤

السيد علي فكري

ابن المرحوم

السيد محمد عبدالله

تم طبعه يوم السبت ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣

١٨ اغسطس سنة ١٩٣٤

فهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٩	حسن جواره	٢	المقدمة
٣١	نزاهته وعفته	٤	الإمام أبي حنيفة النعمان
٣٢	وصاياه في آداب القضاء	٤	مولده ونسبه - اسمه وكنيته
٣٤	وصاياه في سياسة الناس	٦	بشارة النبي ﷺ به
	ومعاشرتهم	٧	إقباله على العلم والتدريس
٣٨	مناجاته ربه	١٣	مناقب الإمام
٤٠	دعاؤه عند موت ابنه		ترفعه ورفضه لمناصب الدولة
	وفاته وسببها	١٥	زهد وورعه
٤١	تأبينه	١٩	قناعته
٤٣	المذهب الحنفي	٢٠	فراسته - ذكاؤه
٤٥	الإمام مالك بن أنس	٢٢	حلمه وعفوه
	مولده ونسبه - نشأته	٢٤	كرم أخلاقه
٤٦	مناقبه - أخلاقه وآدابه	٢٥	أكله من كسب يده
٤٧	علومه	٢٦	كرمه ومواساته
٤٩	تبشير النبي ﷺ به	٢٩	تفقدته لأصحابه

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٠	ثناء العلماء والفضلاء عليه	٧٥	بشارة المصطفى ﷺ به
٥١	تراحم طلاب العلم على بابه	٧٧	طلبه للعلم والاجتهاد فيه
٥٢	تعظيمه للمدينة	٨٠	تبحره في الحديث - إجازته للفتوى
٥٣	تعظيمه للحديث	٨١	رحلته الى المدينة لطلب العلم
٥٥	تعظيمه للعلم	٨٥	شهادة الامام مالك بسعة علمه
٥٧	تعظيم الخلفاء والأمرأ له	٨٦	رحلته الى العراق
٥٨	أبو جعفر المنصور والإمام مالك	٨٩	رحلته الى فارس وغيرها
٦٠	المهدي ومالك بن أنس		وعودته الى المدينة
٦٢	امتناعه عن القضاء	٩٠	رحلته الى اليمن وزواجه
٦٤	صلاحه وتقواه	٩١	حسن معاشرته لزوجته
٦٥	زهده وورعه	٩٣	حادثته مع الرشيد
٦٧	وفاته - تأبينه	٩٦	حضوره بمجلس العلماء ببغداد
٦٨	أولاده		ومناظرتهم
٦٩	بعض أقواله وحكمه	٩٧	امتناعه عن تولية القضاء ومكانته
٧١	المذهب المالكي	٩٨	عودته الى مكة
٧٣	الامام الشافعي	٩٩	عودته إلى بغداد وسفره الى مصر
	مولده نسبه		
٧٤	نشأته		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٧	مذهب الشافعي	١٠١	لقاء دروسه في جامع عمرو
١٢٩	الامام أحمد بن حنبل	١٠٢	من نبغ من المصريين
	مولده وكنيته ونسبه ونشأته		والمصريات على يديه
١٣٠	طلبه للعلم ورحلاته اليه	١٠٣	تأليف الشافعي
١٣١	تأدبه احتراماً للعلم		مناقبه - زهده
١٣٢	إقباله على العلم وكثرة حفظه	١٠٤	ورعه وتقواه
	للحديث	١٠٩	عفته عن اللغو وفحش الكلام
١٣٣	رحلته في طلب الحديث	١١٠	عزة نفسه
١٣٤	ثناء مشايخه عليه	١١١	قناعته
١٣٥	ثناء نظرائه وأقرانه عليه	١١٢	كرمه وسخاؤه
١٣٧	ثناء كبار أتباعه عليه	١١٣	بره بأقاربه - ومواساته
	مصنفاته		للفقراء - حلمه وعفوه
١٣٨	مناقبه - زهده	١١٤	ثناء الناس عليه
١٣٩	كلامه في الزهد	١١٦	مرضه
١٤٢	ورعه وتمسكه بالسنة والأثر	١١٧	وفاته - جنازته ودفنه
١٤٣	تعظيمه لأهل السنة والنقل	١١٨	تأبينه
١٤٤	إعراضه عن المناصب وتواضعه	١١٩	نبذ من كلامه نثراً
١٤٥	حبه للفقير والفقراء	١٢٣	نبذ من شعره

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٤٦	إشاره العزلة والوحدة	١٧٠	زوجاته - سراريه
١٤٧	تقواه وتعبده	١٧١	أولاده ، نبذ من أقواله
١٥٠	دعاؤه ومناجاته	١٧٢	نبذ من شعره
١٥١	هيئته	١٧٣	المذهب الحنبلي
١٥٢	نظافته ، وطهارته ، وسهولة أخلاقه	١٧٥	الامام الليث بن سعد
١٥٤	حلمه وعفوه		نسبه ، وكنيته ، ومولده
١٥٥	ماله ومعاشه	١٧٦	طلبه للعلم وتقدمه فيه
١٥٦	تغفقه عن أموال الناس	١٧٧	مناقبه - مروءته وكرم أخلاقه
١٥٨	كرمه وجوده		وكرمه
١٥٩	قبوله الهدية ومكافأته عليها	١٧٩	زهده وقناعته
	الحنّة التي أصيب بها وسببها	١٨٠	صدقه - ثناء الأئمة عليه
١٦٠	قصته مع المأمون	١٨١	عظم قدره عند الخلفاء
١٦١	كيف امتحن أحمد بن حنبل؟	١٨٢	قصته مع هارون الرشيد وعفقه
١٦٥	رفع الحنّة عنه	١٨٣	وفاته
١٦٦	مرضه	١٨٤	ولده (شعيب)
١٦٧	وفاته	١٨٦	الامام سفيان الثوري
١٦٨	تأبينه وراثته		نسبه - مولده - بعض مناقبه

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٠٤	كنيته ، وألقابه ، شبهه بالنبي	١٨٨	سفيان الثوري والمهدي
٢٠٥	الأحاديث الواردة في فضله	١٨٩	امتناعه عن قضاء الكوفة
٢٠٦	مناقبه . أدبه وتواضعه	سفيان وأبو جعفر المنصور	
٢٠٧	كرمه	١٩٠	وفاته - نبذ من أقواله وحكمه
٢٠٩	تصدقته ومواساته للفقراء	١٩٥	الامام الأوزاعي
٢١٠	قصته مع معاوية ومصالحته	نسبه ومولده ونشأته وصفاته	
٢١٢	مرضه ووفاته	وعلمه ومكانته	
٢١٤	أولاده - نبذ من كلامه	١٩٦	عبادته وورعه
	وحكمه	١٩٧	سياسته ونصحه للملوك
٢١٦	مواعظه	والخلفاء	
٢١٨	الإمام الحسين عليه السلام	كرمه وسخاؤه	
	نسبه الشريف ومولده	١٩٨	شجاعته وجراته
٢١٩	اسمه	١٩٩	الأوزاعي والمنصور
٢٢٠	كنيته وألقابه وثمانه ورضاعه	٢٠٠	وفاته وسببها
٢٢١	الأحاديث الواردة في فضله	٢٠١	تأينذ ونبذ من أقواله وحكمه
٢٢٢	موجز أخبار حياته	٢٠٣	الأئمة الصالحون الأخير
٢٢٤	نشأته في حياة جده الرسول	الإمام الحسن السبط	
٢٢٥	محبة عمر للحسن والحسين	نسبه الشريف ومولده	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٥٦	بعض مراثيه	٢٢٦	صفة الحسين رضى الله عنه
٢٦٠	نساؤه	٢٢٧	مناقبه إجمالاً
٢٦١	أولاده	٢٢٩	كرمه وجوده
٢٦١	انتقال الرأس الى القاهرة	٢٣٢	حسن أدبه وظرفه
٢٦٤	الخلاف في محل وجود الرأس	٢٣٣	حلمه وعفوه
٢٦٥	زيارة المسجد الحسيني		عفته وعزة نفسه
	المواسم السنيه بالمسجد الحسيني	٢٣٤	نهييه عن الإسراف ، شجاعته
٢٦٦	موسم عاشوراء وأعمال العجم فيه	٢٣٦	فراسته
٢٦٨	العظاات والعبر من قصة الحسين رضى الله عنه	٢٣٧	عبادته - تواضعه
٢٧١	الإمام على زين العابدين	٢٣٨	علمه ونبذ من كلامه وحكمه
	مولده وكنيته ونسبه ونشأته	٢٤٠	كتابه إلى معاوية في أمر خاص
٢٧٢	مناقبه - علمه وورعه وحلمه وعفوه وإحسانه	٢٤١	كتابه إلى أهل الكوفة
٢٧٣	تعبده وصلاحه	٢٤٣	كتابه إلى أهل البصرة
٢٧٤	تصدقته وكرمه	٢٤٤	بعض خطبه في المواعظ
٢٧٥	حب الناس له وحسن خلقه	٢٤٥	دعاؤه
		٢٤٦	شعره في الحكم
		٢٤٨	خلاصة ما قيل في مقتله
		٢٥١	السبب في نزول هــ
			الكارثة العظمى

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٩٣	الإمام موسى الكاظم	٢٧٦	فضله وتعظيمه
نسبه - مولده - كنيته		٢٧٧	وفاته
ألقابه		٢٧٨	أولاده - نبذ من كلامه
مناقبه - علمه وفضله		٢٧٩	الإمام محمد الباقر
٢٩٤	تعبده - حكايته مع الرشيد	نسبه، مولده، كنيته، ألقابه	
٢٩٦	وفاته - أولاده	الأحاديث الواردة بشأنه	
٢٩٧	الإمام علي الرضا	٢٨١	مناقبه - علومه - تقواه
نسبه - مولده - كنيته - ألقابه		٢٨٢	كرمه وجوده
مناقبه - علمه وفضله		٢٨٣	وفاته - أولاده - نبذ من كلامه
تعبده		٢٨٤	مواظفه
٢٩٨	معروفه وتصدقته	٢٨٦	الإمام جعفر الصادق
كرمه وجوده، زهده وورعه		نسبه - مولده - كنيته - ألقابه	
٢٩٩	ترشيحه للخلافة من قبل المأمون	مناقبه : علمه	
٣٠١	وفاته - أولاده	٢٨٨	عبادته وتقواه، نبذ من كلامه
٣٠٢	الإمام محمد الجواد	٢٩٠	وصيته الجامعة لمكارم الأخلاق
نسبه - كنيته ألقابه		٢٩٢	وفاته - أولاده

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣١١	وفاته - أولاده	٣٠٢	مولده
٣١٢	الإمام الحسن الخالص	٣٠٢	مناقبه: ذكاؤه نباهته
	نسبه - كنيته - ألقابه	٣٠٣	علمه وفضله وزواجه
	مولده مناقبه: علمه وعبادته	٣٠٥	وفاته - أولاده
٣١٣	وفاته		نبذ من كلامه وحكمه
٣١٤	أولاده	٣٠٨	الإمام على الهادي
٣١٥	الإمام محمد المهدي		نسبه - كنيته - ألقابه - مولده
	نسبه - كنيته - ألقابه	٣٠٩	مناقبه - علمه ، كرمه وزهده
٣١٦	الأحاديث الواردة في حقه		وعفته
		٣١٠	قصته مع المتوكل

الْتِمِيرُ الصَّغِيرُ

شَرْحٌ سَهْلٌ بِالْبَصَوْرِ

نظم الاستاذ

محمد المروى

قررتَه وزارة المعارف للتعليم الأولى

تربية الطفل

للدكتور شخاشيرى

كتاب تتبع فيه أطوار الطفل وما يلزم لتربيته في صورة
محادثة بين الطبيب وأبوى الطفل . وهو أول كتاب في التربية
في أسلوبه لا يستغنى عنه من يريد أن يربي طفله تربية صحية
وخير مرشد للامهات

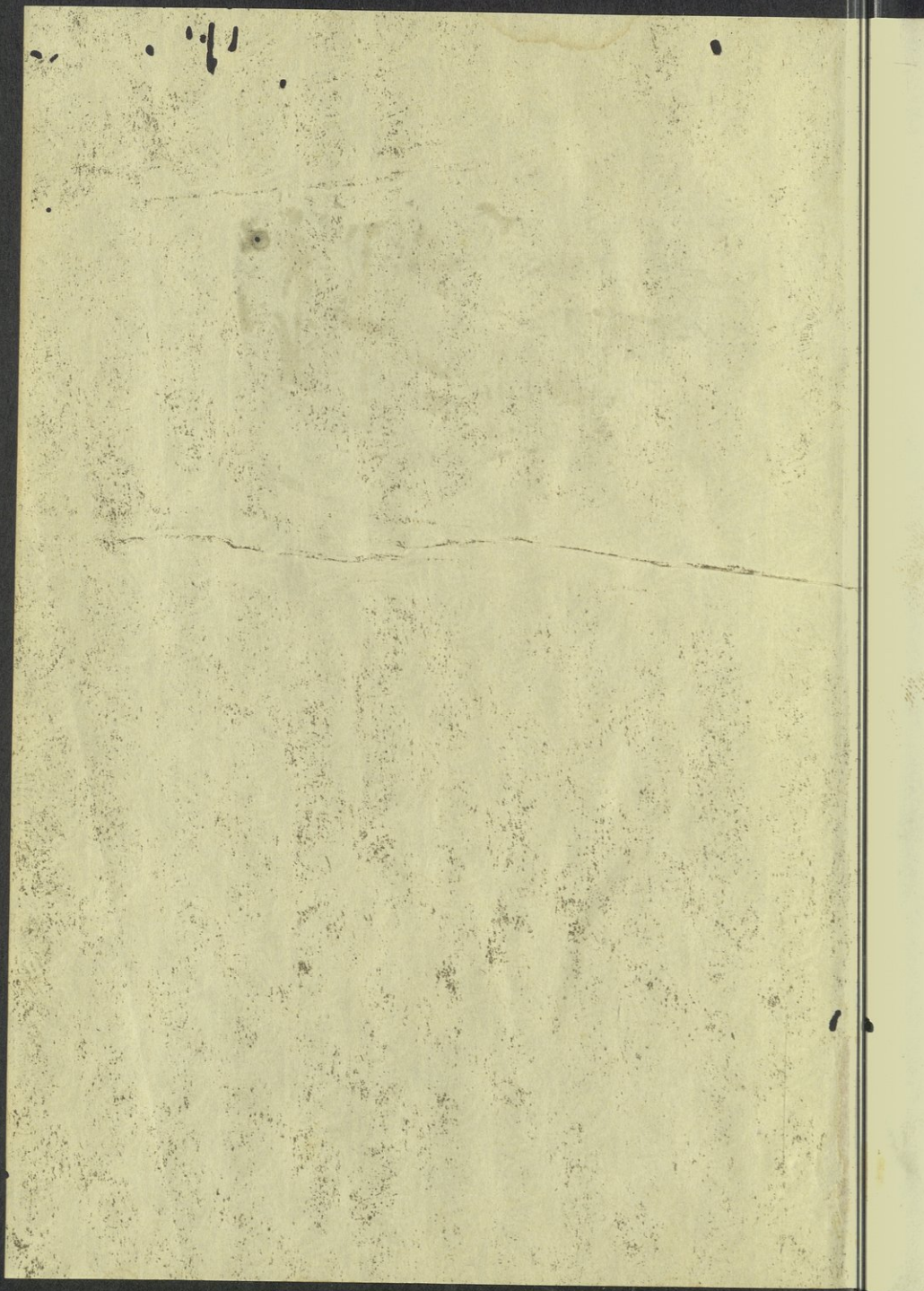
تراث البنات

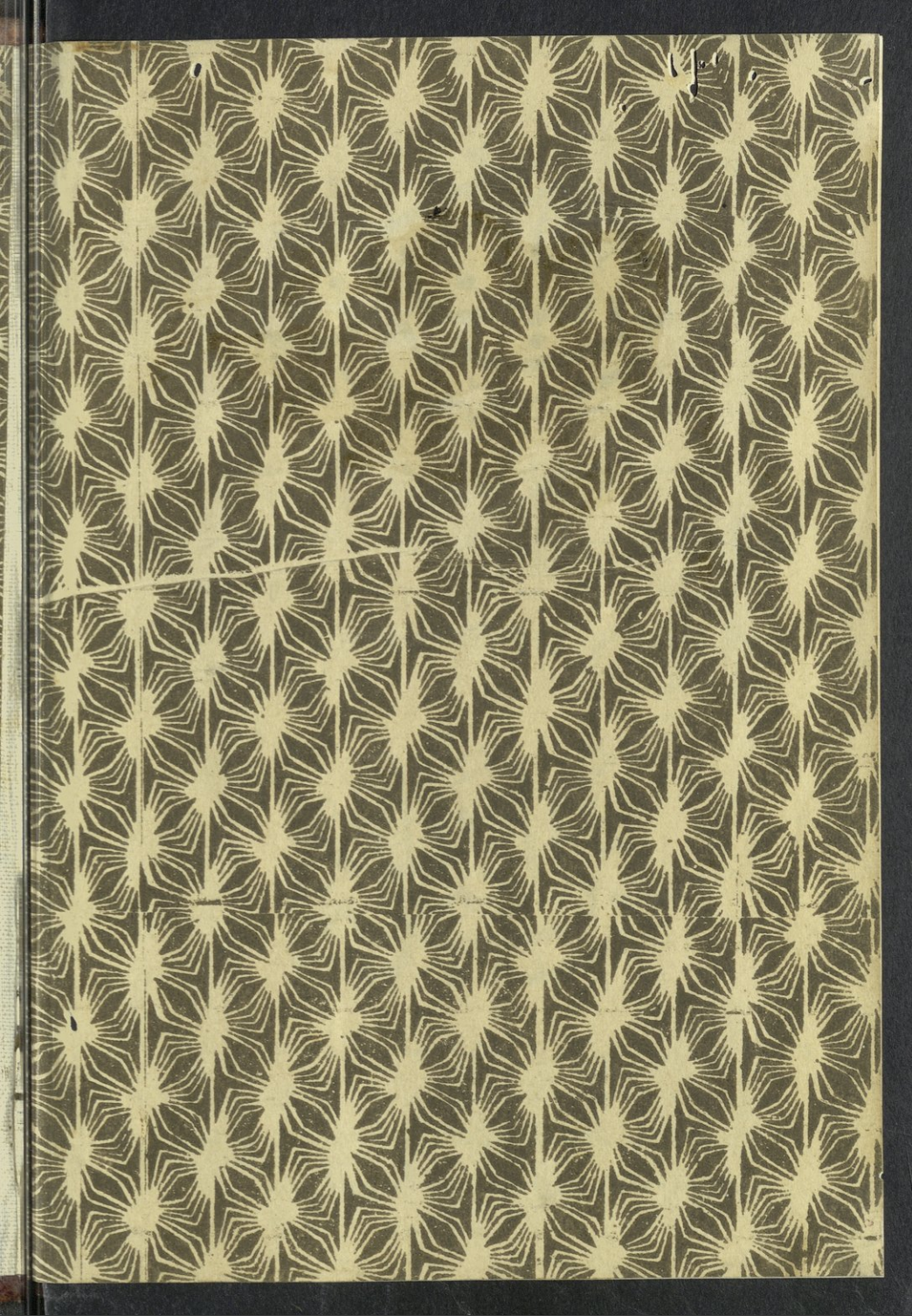
للاستاذ السيد على فكرى أمين دار الكتب المصرية

كتاب صغير يهدى النشء الى واجباتهم المدرسية ، والمنزلية ،
والاجتماعية ، فيشبون من صغرهم على مكارم الأخلاق ، ومحاسن الخصال
وجليل الأعمال ، التى يكونون بها رجالا فى المستقبل ، نافعين لأنفسهم ،
ووطنهم وأسرته

تراث البنات

كتاب لتربية البنات تربية اسلامية حققة ، فى أدوار حياتهن المنزلية
والمدرسية ، والاجتماعية ، ويشمل كثيراً من الحكايات التهديبية
والأناشيد الأدبية ، والحكم والأمثال الوعظية ، لتكون بها سيادة
مهذبة ومدبرة عاقلة ، وامرأة صالحة نافعة لأمتها وأسرته





[REDACTED]

احسن القصص

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01010502



AMERICAN
UNIVERSITY of BEIRUT

V.4: C19

